كتاب

زبدة الصحائف في اصول المعارف

تأليف

نوفل افندي نعمة الله نوفل

الطرابلسي

سرّح لحاظك في حدائق روضةٍ عظماءُ اهل الفضل من خدامها
ازهارها مبذولةٌ وثمارها للخواصِ جد الارض بل وعوامها

بيروت سنة ١٨٧٤م

فهرست كتاب زبدة الصحائف في اصول المعارف

صحيفة

فهرست

صحيفة

المقدمة

بسم الله المبدي المعيد

الحمد لله مفني الامم ومعيد الرمم الذي ميز الانسان بالنطق والعقل وزينهُ بحلية العلم والفضل وجعل جهد المتقدمين نموذجًا للمتأخرين وخصهم بمزية الابتداء في الاعمال واودع في طبيعة الكائنات من الاسرار الكامنات ما لا ينتهي فيهِ البحث والاشتغال بين زمرة المحققين الى يوم الدين

وبعدُ فيقول العبد الفقير المقرّ بالعجز والتقصير نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل الطرابلسي . انهُ لما منَّ الله سبحانهُ عليَّ بالتفرغ من الاشغال وافاني زمنٌ الشيخوخةِ الكدّ في الاعمال وكان قد اجتمع لي قبل ذلك بعض كتيبات قليلة العدد لكنها لا تخلو من انواع الفوائد والمدد طالعتها على سبيل الفكاهة وتصفحتها بقصد النزاهة . في عصرٍ ترغب اهلهُ في المعارف وتبذل على تحصيلها كل تليدٍ وطارف . كلفتني البطالة والسآمة من العطالة . ان اتحلى بالتطفل على موائد المولفين فالخص ما طالعتهُ من كتب بعض المؤرخين تاريخًا يتضمن كيفية تنقل العلوم والفنون بين الشعوب والقبائل منذ خلق الانسان الى الآن واوضح لمن هم نظيري من ابناء الوطن الذين لا يعرفون لغات الافرنج الوسائط التي استعملت لحيازة درها المكنون في كل عصرٍ وزمان في مؤلفٍ استوعب ذلك فيهِ بقدر ما يستطاع وتصل اليهِ يدي القصيرة الباع نظرًا لما عندي من الادوات القاصرة والعوائق المتكاثرة واخصها ندرة وجود

غير ما لديّ من المولفات اللازمة لاستيفاء الكلام على هذا الموضوع في اللغة العربية وعدم معرفتي لغةً تساعدني على انجاز هذا المشروع كما يجب من اللغات الافرنجية اذ انني صرفت زمان الفتوة الذي يليق بهِ التعليم كعادة امثالي في ذلك الوقت غير ملتفتٍ لغير اللغة التركية لكونها في وطني لغة اصحاب الملك والسيادة ومعرفتها لمن يرغب في التقرب اليهم مفتاح الفوز والسعادة وخاصة لبني النصرانية الذين لم يكن لهم وقتئذٍ في بلادنا وسيلة للدخول في باب الحكومة الاّ الخدمة في اقلام المحاسبات الميرية فكانت هذه اللغة بمفردها عند بعض العائلات التي اعتادت التقدم بواسطة هذه الصناعة هي الامر الجوهري لاصابة الغرض وما عداها من المعارف والاداب لا يلتفت اليهِ الاّ بطريق العَرَض لما ان الانشاآت والمحررات العربية لم تكن اذ ذاك جديرة بمزيد الاعتناء في الدواوين العثمانية ومع كل هذا فانني ايضًا لا اثق بنفسي بان اوفي حق التاليف لكوني لم اضع قدمي قبل الان في منهج التصنيف ولذلك طالما كنت اقدم رجلاً واؤخر اخرى مخافة ان يكبو جوادي اذا قل التوفيق فتتزيف عثراتي لدى ارباب التدقيق او تلغي بعض عباراتي الافاضل اللغويون وتنحيها بمعزلٍ عن القبول الايمة النحويون او ترشقها بسهام اللوم اكابر الكتبة ذوي الاقلام السلسة والافكار الرائقة والاساليب المنسجمة والعبارات الراشقة كيف لا وقد قال من لا يجب ان تخطر لهم مثل هذه الخواطر على بال لاستيفائهم كلّ ما من شانهِ ان يزيل من طرق نجاحهم ما يوجب الارتباك والبلبال ان مَن الف كتابًا او قال شعرًا فانما يعرض عقله على الناس فان اصاب فقد استهدف وان اخطا فقد استقذف وحاصل الامر انني ما برحت مترددًا بين الاقدام والاحجام الى ان تذكرت ما كان قالهُ لي بعض اصحابي الكرام وكنت اعترضت بحضرتهِ على حكاية اوردها احد ابناء هذه البلاد في كتابٍ الفهُ تاريخًا لوطنهِ مفرغة في قالبٍ يبعد عن التصديق اداه عرضهُ

فيها لان يعتسف الطريق ولا يسلك منهج التحقيق دَع اهالي بلادنا تمارس فن التاليف على اية صورةٍ ارادوها في البداءة فان ذلك لابد ان يستدعي فيما بعد تحريك الغيرة والاقدام على ما يدفع الوساوس والاوهام اذ بواسطة الاخذ والرد يتسع المجال ويحصحص الحق بين القيل والقال فصممت حينئذٍ النية واقدمت على هذه العملية مستمدًا العون من الواحد الازل الذي من اتكل عليهِ فاز بالامل وتخلص من الوجل فينجو من الزلل ويومن عاقبة الخجل وها انني القي تاليفي هذا في ساحة الاعتذار لدى مطالعيهِ الاخيار الذين اذا اسبلوا ذيل الستر على عوار زلاتهِ كان لهم الفضل او ندّدوا بعثراتهِ كان ذلك من باب العدل وقد رتبتهُ مقسما الى ثلثة كتب الاول وهو هذا وسميتهُ زبدة الصحائف في اصول المعارف اذانهُ يحتوي على مقالتين الاولى في تاريخ الفلسفة التي هي ام المعارف والعلوم والثانية في الكلام على اقسامها وما يتعلق بها او بالحري صدر عنها من كل منطوقٍ ومفهوم اما الكتاب الثاني فقد وسمتهُ بزبدة الصحائف في سياحة المعارف لكوني بسطت فيهِ الكلام على هذه السياحة الشريفة بحسب طريقة التواريخ المالوفة . والثالث دعوتهُ بصنّاجة الطرب في تقدمات العرب وهذا الثالث ولئن كان هو في حقيقة الامر قسم من الكتاب

الثاني الآن لانفراده سببًا يذكر في محلهِ من الكتاب

الثاني المذكور وعلى الله سبحانهُ التيسير في ما

تصعب معاناتهُ على مثلي من

عظائم الامور

م

المقالة الاولى

في تاريخ الفلسفة

الفلسفة حسب راي الاقدمين هي درس الحكمة وتعليمها وينسبون اليها جميع ما تمكن معرفته اما بواسطة الحواس الخارجية واما بالارشادات العقلية من كل ما يتعلق بالله وبالارواح وبالعالم ذي الهيولى . قال شيشرون الفيلسوف الروماني بانها هي علم كل ما يتعلق بالاشياء الالهية وينسب اليها وبالاشياء الانسانية والعلل التي تحتوي عليها

وقد كان الذين يجتهدون في درس هذه الاشياء والتامل فيها والبحث عنها يسمون وقتئذٍ حكماء الى ان ظهر فيثاغورس الفيلسوف اليوناني المشهور في سنة ٥٦٤ قبل الميلاد وحضر الى مدينة ايلاذة وتذاكر مع لاون الملك بابحاثٍ دقيقة شرحها لهُ بكل دقةٍ وتوضيح فسالهُ حينئذٍ الملك المذكور . اية صناعةٍ اتقنت من الصناعات فاجابهُ قائلاً لم اعرف شيئًا على الاطلاق سوى انني احبُّ الحكمة ومن ثم أُطلِق عليهِ وعلى الحكماء من بعدهِ لقب فيلسوف وهو لفظ يوناني معناه محب الحكمة

الكلام على العالم القديم غير اليونان

لايخفى بان العلوم وان تكن قد صادفت تغييرات وتقلبات شتى منذ ابتداء كون العالم الاّ انها ولا بد من كونها كانت مجموعة بكمالها في آدم اول

البشر ثم فسدت اخيرًا بفساد الطبيعة البشرية وصارت محتاجة الى الاصلاح بواسطة البحث والفحص والتدوين والتعليم ومع ذلك لم تتجافَ العالم بالكلية حيث كان لا بد لها في كل عصر من وجود اناس يصرفون جهدهم في هذه المعالجة التي اشرنا اليها كالكلدانيين الذين ازهرت الفلسفة بينهم في ابتداء الامر شيئًا فشيئًا ومنهم امتدت الى اهالي فينيقية العربية وبلاد فارس والهند ومصر واليونان وغيرهم من شعوب القرون الاولى

قال بعض المولفين ان اول من اشتهر من علماء الكلدان المذكورين هو زرواسترة الذي ذكرهُ القديس ابيفانيوس فقال انهُ كان في زمن النمرود ثم المعلم بيلوس معلم الفلك الذي كان سنة ٢١٢٠ قبل الميلاد والف للكلدانيين ادق قسمٍ في علم الفلك على اسلوبٍ سهل الافادة بواسطة تاملهِ في سير الكواكب فوضع بعد موتهِ في صف الآلهة وبنت لهُ بنتهُ سميراميس قبرًا في بابل وبعدهُ المعلم بدروسوس الذي اشتهر بالتاريخ الذي قدمهُ الى بطليموس فيلادلف ملك مصر سنة ٢٨٣ قبل الميلاد وهو اول من استخرج العلوم الكلدانية الى اليونانية فكافاهُ اهل اثينا بان البسوا تمثالهُ عندهم ذهبًا وكان من المرمر

وكان هولاء العلماء متقنين رصد الكواكب بغاية التدقيق واخترعوا لها المزاول فتقدموا اخيرًا في هذا العلم وكانت الفنون والصنائع عندهم عظيمة جدًّا واكثروا فيها من التفاخر والتزين حتى وفي الاطعمة ايضًا ثم آل امرهم للتعلق بامورٍ كاذبة فزعموا معرفة الحوادث المستقبلة من رصد الكواكب الذي يسمونهُ علم التنجيم حتى انهم عبدوا هذه الكواكب مع معرفتهم الاله الحق فاستحالت جميع علومهم الى الخرافات كتآليف باطلة عن المزعمات وتفسير الاحلام والسحر الذي استقلت قصبة مملكتهم بانتسابهِ اليها فقيل سحر بابلي واضيفت هي الى اربابهِ ايضًا فقيل لها بابل السحرة ثم تقسمت علومهم هذه على بعض عيلاتهم وصار راس كل عيلة يفرغ جهده على تقوية علمهِ وان يمتد الى بيتهِ

والذين يخلفون بعده وكانت هذه العيلات تتخذ اول الكراسي في الاقاليم وتكون معافاة من التكاليف العامة ومن الخراج

ثم لما سرَت هذه العلوم من بابل بظرف مدة قصيرة الى فينيقية العربية مصحوبةً بتلك الخرافات ظهر كذلك من هذه البلاد ايضاً علماء مشهورون منهم المعلم فيرسيد معلم فيثاغورس الفيلسوف اليوناني الآتي ذكرهُ والمعلم اوكوس او موكوس او موسكوس الذي علم بان العالم تركب من الذرات والمعلم بدريتيوس الذي يظن بانهُ كان موجوداً قبل زمن قدموس الصوري الذي كان راس العايلة التي ذهبت اخيراً الى بلاد اليونان وظهر منها تاليس المشهور اوَّل فلاسفة تلك البلاد وسوف ياتي ذكرهُ ايضاً

ثم بواسطة اتقان اهاليها معرفة سير البحار لامتداد تجاراتهم وتفرق نزلاتهم ومستعمراتهم التي انشأُوها في اكثر اجزاء الارض المعروفة وقتئذٍ اتقنوا العلوم الفلكية واخترعوا قسماً عظيماً منها وانتخبوا النجمة الشمالية المسماة بالمسمار لتكون دليلاً للنوتية في اسفارهم وجميع الامم اقتدوا بهم في ذلك حيث كان لا زال ما ظهر بيت الابرة وكانوا بهذه الواسطة يسافرون حول افريقية مع ان في ذلك الوقت كان سير السفن في وسط البحار من الامور المستحيلة والذي سهل عليهم ركوب البحر غابات جبل لبنان التي كانوا يقطعون منها الاخشاب لانشاء سفنهم

وقد افادتهم التجارب والتفكرات والاتفاقيات معرفة امورٍ كثيرة المنافع منها انهم استنبطوا عمل الزجاج واشتهروا في حسن الصباغ ولا سيما باللون الارجواني الذي كان زينةً للملوك واخترعوا حروف الهجاء وذلك عند ما كان المصريون يصطنعون لها علامات فاوجدوا هم الطريق الاسهل الدارجة وهي عمل علامةٍ لكل صوت اصلي تسمى حرفاً وحروفهم هذه صارت منشا للحروف المستعملة في كل اللغات فان اليونانيين اخذوا حروفهم منها ومن حروف اليونانيين استخرج اللاتينيون حروفهم التي هي حروف اهل اوروبا الآن

وكذلك بعد ان اتصلت العلوم الكلدانية الى بلاد فارس بما هي عليهِ ظهر من اهاليها ماني الثنوي وزرداشت وغيرها ممن وضعوا اصول العبادات عندهم وسوف ياتي ذكرهم في البحث الرابع من المقالة الثانية من هذا الكتاب في الكلام على دين المجوسية وكذلك المعلم لستانوس الذي نقل العلوم الفارسية الى اليونانيين

ثم ومن اداب هذه البلاد في ذلك الزمان القديم ايضًا اتخاذ الشمسيات والكراسي المنقولة والسجاجيد الصغيرة التي تفرش تحتها ومنهم اتصل ذلك اخيرًا بالافرنج دون تلك العادة الكريهة التي يفتخرون بكونهم هم اوّل من ابتدعها وهي خصي الادميين ليكونوا حراسًا لنسائهم

اما العلماء الذين ظهروا في بلاد الهند بعد ان دخلتها العلوم الكلدانية فسوف نذكر اشهرهم في البحث الرابع من المقالة الثانية من هذا المؤلف عندما نتكلم على الدين البرهمي الهندي وانما يقال بانهُ كان لهم علوم كثيرة . منها انهم كانوا يعرفون الفلك لكنهم يعتقدون بان الارض سطح بسيط في وسطهِ جبل تدور حولهُ الكواكب ويتكلمون على ذلك بخرافاتٍ سوف ياتي ذكرها في البحث المذكور ايضًا لتعلقها بديانتهم غير ان لهم حسابات دقيقة في حركات الاجسام السماوية واصابات زيجية يقال بانها لاتخلُّ عن الصحة الاَّ نادرًا

واليهم ينسب اختراع الارقام الهندية الحسابية المستعملة عند العرب الذين اوصلوها بالافرنج ايضًا ولعب الشطرنج المشهور الذي يقال بان مخترعه رجل يقال لهُ صصه من حكماء هذه البلاد

وهكذا ايضًا مشاهير علماء بلاد الصين فانهم يذكرون غالبًا في البحث الرابع المنوه عنهُ عند الكلام على اديان تلك البلاد

اما معارفهم واختراعاتهم فقد تستبين مما كتبهُ بعضهم في هذه الايام ونصهُ وفي الايام التي كانت فيها اوروبا بربرية وعامة سكانها يلبسون الجلود او

عراة كانت بلاد الصين بالنسبة اليها متمدنة وتمتاز من القديم بصنعة الفغفوري وقد تحقق الان انهُ ما عدا هذا الفخار الظريف الذي في كل العالم لم يزل يسمى بالصيني لمحل استنباطهِ يُنسب اليها اختراع بيت الابرة المغنطيسية المعروفة بالحك وصناعة الطبع وعمل البارود وزاد عليهِ اخر صناعة الزجاج التي ذكرنا فيما سلف بانها من مخترعات الفينيقيين وذلك قبل التاريخ المسيحي ولكن بقيت مخترعاتهم هذه ناقصة للغاية لانهم وصلوا الى درجة معلومة ووقفوا هناك وقال اخرون بانهم كانوا يحسنون النقوش والتصاوير ايضًا

واشتهر من علماء المصريين انوبيس ويقال لهُ هرمس او مركوريوس وهو عندهم معدود في صف الالهة فيزعمون انهُ عطارد اخو دازيس الهتهم التي هي القمر وزوجة كوكب الشمس المسمى ارزيس اذ ان كل علمائهم عندهم آلهة لكونهم اخترعوا اصول الشرائع والفنون والعلوم وهذا لزعمهم الوهية كل من اخترع امرًا غريبًا وكان هرمس المذكور اشهرهم ومدار علم فلسفتهم فانهُ هو الذي جعلهم يتفقهون في علم المساحة والفلك والعلوم الالهية ولهُ مولفات بقيت محفوظة بعده عند الكهنة والذين كانوا يدعونهم سحرة زمانًا قليلاً وقاربت ان تنتسي مع مرور الازمنة الى ان ظهر المعلم سيغواس ومركوريوس اخر تلقب باسم المعلم تريسناجيسطو وارجعا العلوم المصرية الى قوتها الاولى

ويقال بانهم هم اول من اخترع الة الحراثة التي ولدت التمدن بين الناس قاطبةً واول من استعمل الحديد والنار وكان ذلك مجهولاً لغيرهم واخترعوا الخبز للطعام وعمل البحيرات واتقنوا تحنيط الاموات على وجهٍ عجيب حتى انهُ الى الان يوجد في المدافن القديمة في تلك البلاد رمم القدماء محفوظةً بهيئتها الاصلية ويعتنون في الابنية المتينة الشامخة العجيبة كالاهرام وما شاكلها من المسلات وغيرها التي تدل على انهم كانوا يميلون طبعًا الى الامور المهولة لا الظريفة كانهم يفتخرون باقتحام المشاق ليتغلبوا على الموانع التي تصادمهم في عملها

خلاصة ما قيل باختصار وإن كان فيهِ تكرار

نحصر براعة هولاء الحكماء جميعًا بعدة فنون فان الكلدان قد اشتغلوا بعلم الفلك الذي ولّد عندهم علم التنجيم الكاذب ومنهم امتدت العلوم الى اهل فارس فتفقهوا خاصةً في علم الفصاحة واللغة ومن فارس على ما يقال سرَت العلوم الى العرب الذين يستبين من مجادلة ايوب واصحابه بانهم كانوا يعرفون العلوم الطبيعية والفلكية والى اهل فينيقية الذين اخترعوا بواسطة معارفهم الفلكية علم الاسفار البحرية وزاد مجدهم باختراع حروف الكتابة وقالوا بان العالم تركب من الاجزاء الهبائية (وهي الذرات المنتشرة في الفضا) ثم ان من اهل فينيقية استمد المصريون ايضًا علومهم التي اجلها الهندسة وعلم المساحة وعن المصريين اخذ العبرانيون علومهم ومعارفهم ويقال ايضًا بانهُ كان يوجد وقتئذٍ في بريتانيا وجرمانيا وفرانسا معلمون اشتهروا في ذلك العصر بمعارف سامية ولكنهم لم يوضحوها •

الكلام على فلاسفة اليونان

قد كانت الفلسفة في الازمنة المتقدمة عند الشعوب التي مرّ ذكرها كأنها طفلة حسبما يفهم من مآل ما اشرنا اليهِ من معارفها وعلومها ولم تحصل على الشبوبية الاّ عند اليونانيين الآتي ذكرهم اذ انها كانت تنمو وتتعالى هناك من يوم الى يوم الى ان ظهر عندهم سبعة فلاسفة اشهر ممن عداهم تلقبوا بكليي الحكمة وهم تاليس المليطي وشيلون اللقدموني وبيتاقوس الميليتيني وبياس البريتي

واكلبوبول اللندي وبرياندرس الكورنثي المدعو تيرانوس اي ظالم مغتصب غير ان هذين الاخيرين حيث لم يتلقبا بهذا اللقب الفاخر بحق بل بواسطة السلطة والاقتدار رفضا اخيرًا ووضع عوضهما انخرسيس الاثنوثي اخو قدويداس ملك بلاد التتار وابيمينيدس الكريتي وكان ذلك جميعهُ قبل التاريخ المسيحي بنحو ستة قرون

وكان اشتغال هولاء الفلاسفة جميعه مخصرًا في علم الشرائع ونظم الامور العامة المدنية على نوع معتدل وتدريب الناس على عوائد تليق بالانسانية انما تاليس وحدهُ دون الجميع انكبَّ على علم الهندسة والفلك وعين سبب خسوف الشمس والقمر واستخرج حساب الكسوف قبل اوانه ثم اشتغل بعلم الطبيعيات والفحص عن الامور الغامضة كما يستبين ذلك من ترجمتهِ في ما ياتي فوجه بذلك افكار الامة اليونانية الى هذه العلوم وزاد الاهلين رغبةً ومحبةً فيها الى ان تكاثر المتبحرون وازداد عدد الفلاسفة عندهم ومن ثم وقع بينهم الخلاف في الاراء وانقسموا الى قسمين يقال لاحدهما يوناني وللثاني ايطاليَاني وانضم لكلٍ منهما حزب نجمت عنهُ اقسام اخر كما يستبين ذلك من الفصول الاتية

الفصل الاول

في القسم اليوناني

هذا القسم اتبع تاليس المليطي الذي مر ذكرهُ وقد كانت ولودة هذا الفيلسوف في سنة ٦٤٠ قبل الميلاد في مدينةٍ يقال لها مليطة من مدن يونيا

ولذلك لقب بالمليطي نسبةً اليها ونسي تعليمه باليوناني نسبةً الى المملكة التي كان يعلم فيها بعد ان اخذ علومهُ عن علماء اسيا وفينيقية ومصر وكريت وتلقب حكيمًا في السنة التاسعة والخمسين من حياتهِ وكان معاصرًا للحكيم سولون واجتهد في علم الهندسة والهيئة وكان يرصد النجوم وهو اول من عرف من اليونانيين علمي الطبيعة والهيئة وكان يزعم ان العالم لا اول لهُ ولا اخر واول من قال من الروم ان الارواح ازلية ابدية غير فانية ويزعم ان الموت والحياة مستويان وان الماء هو الاصل الاول لكل شي وان الارض ليست الاَّ ماء جمد والهوا ماء ثقيل الزنة وان جميع الاشيا تتغير دائمًا من حالةٍ الى حالة الى ان يؤول امرها الى رجوعها ماء وان كلَّ ما في الكون لا يخلو عن احساسٍ وانهُ مملو بما لا يدركهُ الطرف من المخلوقات وكلها متحركة ذات روح وان الارض في وسط العالم تتحرك على مركزها الاصلي الذي هو عين مركز العالم لانها من حيث هي موضوعة على مياه البحار ثبت لها هذا الاضطراب الذي كان سببًا في تحركها وان الشمس جرم مضي بنفسه وهي قدر جرم القمر ميئة وعشرين مرة وان القمر جسم غليظ لا يمكنهُ ان يعكس نورا لشمس الاَّ بجهةٍ واحدة من سطحهِ

وهو الذي اخترع الملاعب ونظم الاشعار المسدسة واول من اخبر عن كسوفات الشمس والقمر قبل وقوعها واظهر الكهربائية بالحك اعني القوة الجاذبة التي تكتسبها الكهربا بالحك فتجذب اليها الاجسام الخفيفة كالقصاصات من الورق فقال بعدهُ تيميه تلميذ افلاطون ان الكهربائية مادة لطيفة او نسمة او شيء روحي يخرج من الكهرباء فيجذب اليها بعض الاجسام وعلى هذا اقتصرت معارف القدما الى ان اشتغل متاخرو علماء الطبيعة من الافرنج بالبحث المدقق فيها وعرفوا انها احدى المواد الثلاث الطبيعية غير القابلة الوزن والاثنان الاخران هما الحرارة والنور

ولم يكن احد قبل تاليس المذكور يفهم طريقة مقياس ارتفاع الاهرام والقلاع ونحوها من ظلها الجنوبي حين تكون الشمس في زمن الاعتدال وهو

الذي قال ان السنة (٣٦٥) يوماً ورتب قواعد الفصول وحدّد كل شهر (٣٠) يوماً وفي اخر كل (١٢) شهراً اضاف خمسة ايام لاجل تمام السنة وكان تعلم هذه القاعدة من المصريين وهو الذي رصد الدب الاصغر اي بنات نعش الصغرى الذي بهِ تهتدي الملاحون من اهل مملكة الصوريين (يعني اهل فينيقية كما سبقت الاشارة الى ذلك)

و بعد وفاة هذا الفيلسوف اعقبه في التصدر على مدرسته ميليطو احد تلامذتهِ وشرح الطبيعيات التي كان الفها معلمه واشهرها بعد موتهِ مع بعض زيادات قليلة اضافها اليها ثم توفي واعقبه رفيقهُ انكسيمينس اشهر تلامذة تاليس المذكور ايضاً

وبعد وفاة انكسيمينس المذكور تصدر تلميذه انكسفوارس الذي اوقف غلات حقولهِ ومداخيل املاكه الى المدارس وكان غنياً الاّ انهُ كان منهمكاً على اللذات الخارجة عن الحد وكان من تلامذتهِ بيركليس الخطيب المشهور قد ولد هذا الفيلسوف سنة ٤٦٩ قبل الميلاد وكان مذهبهُ ان ترتيب العالم صنعة قديمة لانهاية لها ثم عدّه اليونانيون كافراً لانهُ عرّف الشمس بانها مادة موقدة وهو اول من اشهر الفلسفة بطريقٍ جلية في جميع اليونان دون سائر المعلمين من الحكماء وكان يقول بعدم التناهي وانهُ هو الاصل لكل موجود ويقول ايضاً بالعقل الذي يفيض على كل مادةٍ ما يليق بها من الصورة فيركب موادها بالتئام ويفيض عليها الشكل اللائق بها ولهذا سماه حكماء عصرهِ بالعقل لقولهِ بهِ وليس قولهُ بان العقل ابرز الموجودات من عدم وانما كانت في حيز الوجود فرتبها وكان لايقول بالوهية غير العقل المتقدم وكان يقول لافراغ في الجو بل كلهُ مملو وان الاجسام تقبل القسمة الى ما لانهاية ولو كان الجسم صغيراً جداً بحيث انهُ لو وجد قاسم ماهر وآلة تقسيم لامكن ان يُستخرَج من رجل البعوضة اجزاء لو وضعت على الف الف سماء لسترتها من غير تناهيها في نفسها بل لاتزال قابلة القسمة وكان يزعم ان كل جسم مركب من اجزاء صغيرة

متجانسة فالدم مثلاً مركب من اجزاء صغيرة من دم والماء من اجزاء صغيرة من الماء وهكذا سائر الاشيا وانهُ عند التدقيق لا يوجد في الحقيقة جسم تام التجانس في الاجزاء بل لا بد ان يخالط بهِ اجزاء من غير جنسهِ فالحشيش مثلاً فيهِ لحم ودم وعظم وعروق لاننا نرى الحيوانات تغتذي بهِ وكل جزء من اجزاء الحيوان يجذب اليهِ ما في الحشيش من جنسهِ وحينئذٍ فتسمية الجسم باسم حشيش او خشب مثلاً يكفي في صحتها كون معظم اجزائهِ من نوع الحشيش او الخشب لاشي اخر ويكون ذلك المعظم هو الساتر لسطح الجسم الاعلى المرئي وكان يزعم ان الشمس ليست الأقطعة حديد حامية على ما ذكرنا فيما مرّ وان جرمها اكبر من جميع بلاد مورة وان القمر جسم مظلم في نفسهِ ويمكن انهُ مسكون وبهِ جبال واودية كما في الارض وان النجوم ذوات الذنب هي عدة من النجوم السيارة المتحيرة تتلاقى ببعضها من غير تعيين زمن وبعد مضي مدة من الزمان تتفرّق وان الارياح تتخلق وقت ان يجعل حر الشمس الهوا قليلاً وان الرعد ينشأ من تلاطم السحاب وتصادم بعضه ببعض حين الملاقاة وان البرق ينشأ من مماسة السحاب بعضهُ لبعض وان زلزلة الارض سببها تحرك الهوا المخزون بمغارات تحت الارض وان سبب زيادة النيل ثلج في بعض بلاد الحبشة يذوب في ازمنة معينة فيخرج منهُ ماء كثير كانهطال السيل وتجتمع في منابع هذا النهر وكان يزعم ان تحرك الكواكب ناشي من الهوا وكان يقول ان الارض ممهدة مبسوطة وانها اثقل من جميع العناصر فمن ثم ملكت القسم الاسفل من جميع العالم وان المياه الجارية على سطحها قليلة بسبب ان حر الشمس يصيرها بخارًا ثم يصعدها الى الجو الى طبقة الهوا المتوسطة ثم تعود مطرًا ينزل الى الارض وقال انهُ يرى في الليل اذا كان صحو ان في السماء بياضات متعددة تشبه القسي وتسمى طريق التبانة وزعم بعض القدماء ان تلك الطريق جعلت لسلوك بعض الالهة الصغار الى الاله الاكبر الذي هو المشتري للاستشارة وذهب اخرون الى غير ذلك اما هو فيرى ان تلك البياضات هي انعكاسات ضوا الشمس

الظاهر لنا وعلل ذلك بانهُ لايوجد بين هذه البياضات والارض كوكب يكسف هذا الضو المنعكس وكان يزعم ان اول الحيوانات ناشي من الحرّ والغمام ثم بعد ذلك تناسلت وتكاثرت واتفق ذات يوم سقوط حجر من السما فظن هذا الفيلسوف ان السما مصنوعة من حجارة وان سرعة دوران قبة الفلك اوجبت بقاء تلك الصنعة بلا خلل وانهُ لو اختل الدوران لحظةً لفسد نظام السما والارض وكان يقول ان ما كان من الارض قارًّا يصير بعد ذلك بحرًا وما كان منها في هذا الوقت بحرًا يعود في زمنٍ اخر قارًّا

ثم بعد وفاة انكسفوارس المذكور عقبهُ ارشيلاوس الملقب بالطبيعي لكونهِ اول من نقل علم الطبيعيات من يونيا الى اثينا ومن ثم خلي الحزب اليوناني المذكور من هذا العلم في اقسام فلسفتهِ

ولما خلف هذا المعلم في التصدر على المدرسة تلميذه سقراط المولود في سنة ٤٦٨ قبل الميلاد هجر الطبيعيات لانهُ راى النظر في تلك الاشيا الطبيعية لايجدي نفعًا ولا يجعل للفيلسوف خصالاً حميدة وتعلق بقراءة علوم الاداب والاخلاق وتمييز الاشيا الجيدة من الردية وجرَّد الفلسفة عن تلك الاسرار الخفية التي لا تسمح بمعرفتها الطبيعة بعد ان كان جميع الذين سبقوهُ من الفلاسفة اشغلوا ذواتهم بها وعينها لفائدة الحيوة العمومية ولزم علم الشرائع التي نظمها على وجهٍ عجيب وقسم شرائعهُ التي نظمها الى شريعةٍ تخص الانسان من حيث هو انسان والى شريعةٍ تخص الانسان من حيث هو ابٌ او مدبر اخرين والى شريعة تخص الانسان من حيث هو احد الجماعة وكان يعلم بعدم موت النفس الانسانية وبوجوب سعادة مزمعة للنفوس الصالحة حتى كما قيل انهُ هو واضع الحكمة العملية الادبية عند جميع اليونان وبعد ان عاش سبعين سنة قتلهُ اليونانيون المذكورون مسمومًا في محبسهِ

وبعد موتهِ انقسمت تلامذتهُ الى ثلثة اقسام وهي القيروانية والاشراقية والكلبية فالقسم الاول استمر على تعاليم معلمهِ سوقراط ولم يرغب في الاتحاد

مع جماعةٍ اخرى واما الثاني فانهُ حصل على وظائف في المشيخة لكونه حفظ تعاليم معلمهِ المذكور في العوائد التي كان يشرحها لتلامذتهِ شرحًا مستوفيًا ومنهُ كان بيركليس الخطيب الذي مر ذكرهُ والثالث كان يحتوي على بعض التلامذة الذين لم يدركوا الأبعض تعاليمه فانقسموا عن بعضهم وبعد ان تفرقوا اقام كل قسمٍ منهم جمعيةً اخرى جديدة واخيرًا انقرض بعض الاقسام الثلثة الاصلية المذكورة بظرف مدة وجيزة اما لانقسامهم هم ايضًا واما بداعي مضادة الغير لهم ومنهم من ماتوا قبل ان يستوفوا حياتهم الطبيعية حيث انهم توطنوا في بعض البلاد المقفرة واما الذين سكنوا منهم في مدينة اثينا فقد داموا زمانًا طويلاً وظهر منهم اخيرًا جماعة المشائين والجمعية الشينيكية التي ظهر منها بعد مدةٍ ايضا جماعة الاسطوانيين او الرواقيين كما يتضح ذلك مما ياتي

الفرقة القيروانية

بعد موت سقراط على ماذكرنا ذهب تلميذ لهُ يقال لهُ ارستيب الى وطنهِ الاصلي وهو مدينة في افريقية يقال لها شيرين (وهي القيروان) واقام فيها جمعيةً اثنا القرن الرابع قبل الميلاد وسماها القيروانية نسبةً الى تلك المدينة ودعى تعليمها ايدوني لكونه خالف فيهِ تعاليم معلمهِ حيث زعم بانهُ لايوجد فرق اصلاً بين الخير والشر وحصر سعادة الانسان الكاملة في اللذات الزمنية فقط

وكان من جملة تلامذتهِ رجل يقال لهُ ثيودور ينكر وجود الالهة فانشأ البعض من تلامذتهِ ايضًا جمعية دعوها ثيودورية نسبةً الى معلمهم المذكور كان من جملة تعاليمها انكار وجود الهٍ اتباعًا الى رايهِ

وكان ممن تخرج في هذه المدرسة رجلان يقال لاحدهما اوجه سياس وللاخر آني شيريدة فاضافا الى تعاليمها اشيا اخر واوجدا جمعية جديدة

دعوها باسمائها اعني اوجة سيائية واني شيريدية لكنها بعد مدة قليلة خمدت وتلاشى ذكرها

وكذلك كان من تلامذة سقراط رجل يقال لهُ اقليدس مغارو يميل كل الميل للجدال والخصام في الفلسفة ولذلك جدد في مدينة مغارو جمعية دعاها مغاريكية نسبةً الى تلك المدينة لكن بسبب ميل اعضاء هذه الجمعية الزائد الى الخصام في الجدال والحدة في الاجوبة دعيت اريستيكية ثم تسمت منطقية ايضاً لكون التعليم فيها كان على سبيل السوال والجواب وكان ممن تخرج في هذه المدرسة رجل يقال لهُ ادبوليدوس خلف معلمه اقليدس المذكور على المدرسة فاخترع علم الجدال ومنهم ايضاً رجل اخر يقال لهُ ستيلبوتيوس وصفهُ شيشرون بانهُ رجل حاذق مختبر في العلم لتفوقهِ في اختراع الخطابات الفصيحة

وكان اول تلاميذ سقراط رجل يقال لهُ فيدوس من الينسو فتح كذلك مدرسة في مدينتهِ المذكورة ودعاها اليانسية نسبةً اليها ثم خلفهُ عليها مينيدموس الارتريينسيو فتسمت حينئذٍ اريتريكية لكنها تلاشت في زمن اسكليبيادوس الذي خلف بليسطانوس في التصدر عليها

الفرقة الاشراقية

هذه الفرقة تدعى اكاديمية ايضاً نسبة الى مكانٍ كان عامراً كثير السكان في بلاد اثينا وكان يعلم فيهِ رجل من العلماء يقال لهُ اكاديموس فنسب اليهِ وقد حازت هذه الفرقة مقاماً عالياً تفوقت بهِ على الجميع وحيث انها دامت زماناً طويلاً حصل في تعاليمها تغييرات متعددة انقسمت بسببها الى اكاديمية قديمة واكاديمية متوسطة واكاديمية جديدة ثم ان هذه الجديدة قد تجددت مرتين ايضاً

فالاكاديمية القديمة كان واضعها افلاطون الاثينوي المولود في سنة ٤٢٨ قبل الميلاد ولذلك تسمت بالافلاطونية وتسمى تلامذتها بالافلاطونيين ايضاً ولوفور علم هذا الفيلسوف وشهرتهِ سماهُ شيشرون بالالهي ويقال بانهُ عثر على كتب موسى النبي واخذ عنها اشياء كثيرة اضافها الى فلسفتهِ ولشدة اعتنائهِ بعلم الهندسة كتب على باب مدرستهِ لايدخلها الاَّ الماهر في الهندسة وقد اعان على تقدم العلوم الحقيقية وتوضيحها بالطرق التي اخترعها لفن الهندسة المذكورة ليهتدي بها في الاستقصاآت العلمية وقد دون هذا الفيلسوف مذهبهُ من ثلاث مذاهب من مذاهب الفلاسفة فتبع هيرقليطس في الطبيعيات والمحسوسات وفيثاغورس فيما وراء الطبيعيات وفي العقليات وتبع سقراط في القوانين والاداب وقال بثلاثة اصول الاله والمادة والادراك فالاول يشبه عقل العقول والمادة تشبه السبب الاول للتولد والفساد والادراك كجوهرٍ روحاني قائم بذات الاله نعم انهُ عرف ان العالم خلقة الله ولكنهُ لم يعنِ انهُ مخلوق من عدم محض بل عنى ان الاله نظم من تلك المادة القديمة هذا العالم وشكلهُ بالاشكال المتنوعة بمعنى ان الاله اخرج المادة من حيز العمى الى حيز الظهور وميزها عن بعضها حتى صارت هذا العالم وهو اشبه بعمار يصور البيت بالالات الحاضرة كالحجر وغيرهِ

وينبغي ان يقال في حق هذا الفيلسوف ما قالهُ بولس الرسول انهُ كان من الذين لما عرفوا الله لم يمجدوهُ او يشكروهُ كالهٍ فانهُ جعل الالهة في كتابهِ المتعلق بالالهيات ثلاث مراتب علويين وهم سكان السما ومتوسطين ويسمون جنًّا ويسكنون الهوا وسفليين جعل مسكنهم الانهار وسماهم انصاف آلهة وان العلويين لايتمكن الانسان من مخالطتهم لسبب علو مسكنهم وطبيعتهم الاَّ بواسطة المتوسطين سكان الهواء وهم كوزراء للعلويين بالنسبة الى العالم لانهم يوصلون اليهم الاوامر ويقبلون القربان والنذور للعلويين وكل واحد منهم يحكم اقليمًا من العالم وهم الرؤساء في الكهانة والاخبار بالمغيبات وهم المخترعون

لخوارق العادات واما السفليون فهم رسل المنامات والعجائب وان جميع عناصر العالم وسائر اجزائهِ ممتلئة بهذا النوع والظاهر ان قدماء حكماء الامم غير المتمدنة اسسوا مذاهبهم والفوا كتبهم في الامور السفلية ونحوها من هذه الاصول

وكان يعلم تناسخ الارواح بالطريقة التي تعلمها من فيثاغورس المذكور غير انهُ زعم ان الروح مركبة من جسمين جسماني وروحاني وانها موجودة قبل الجسم وانها اتت من السما لتدخل في الاجسام المختلفة لتحيا بها وتعود الى السما بعد ان تطهر من الحال التي كانت فيها ثم بعد مضي عدة سنين تروّض بالثاني عدة اجسام مختلفة فهي دائمًا منتقلة بين طهارتها من الاجسام تارةً وتجسها بها اخرى ومن السماء الى الارض ولما كانت عقيدتهُ ان الارواح لا تخلو بالكلية عما ادركتهُ سابقًا في توارد ها على الاجسام المختلفة زعم ان المعارف ليست تجديدًا بالكلية بل منها ما هو تذكار لما سبق لها ادراكهُ وكاد ينمحي منها

وبعد ان توفي افلاطون المذكور خلفهُ على المدرسة تلميذهُ اسبوسيب الحكيم ثم اكسينوقراط المشهور وذلك نحو سنة ٣٢٨ قبل الميلاد ثم اقراطيس وكان شهيرًا ايضًا وذلك نحو سنة ٣٢٤ قبل الميلاد

وبعد اقراطيس تخلف ارشبسيلاوس فابدل الاكاديمية القديمة بالمتوسطة بسبب ادخال زينون رئيس الاسطوانيين وسوف ياتي ذكرهُ الفساد في تعاليم هذه المدرسة وتعليمهِ اموراً كثيرة منحرفة عن قواعدها الاصلية ومن ثم اخذتهُ الغيرة على تعاليم معلمهِ وشرع في نقض تعاليم زينون ودحضها بقواعد اوجبت ان يشاع عنهُ بانهُ كان ينكر معرفة اي شيءٍ كان من الاشياء الموجودة وانهُ لا يمكن اثبات شيءٍ في الوجود

ولما تخلفهُ في التصدر على المدرسة المعلم كاريناوس شرع في تجديد هذه المدرسة بواسطة شرح تعاليم معلمهِ المذكور فقال ان عدم امكان ادراك الاشياء وفهمها ليس بناشيٍ من ذات طبيعة الاشياء وجوهرها ولكن هناك شيء غامض عارض على هذه الاشياء وهو اما حقيقي واما كاذب قد جعل الاشياء تمتزج

بالحق والباطل بحيث لايمكن تمييز ذلك بدون خطر ثم اعقبهُ كليتيماكوس واعقب كليتيماكوس فيلوس الذي ذهب الى رومية وعلم فيها تلميذهُ شيشرون الفيلسوف الروماني المشهور

ثم لما تصدر على المدرسة بعد فيلوس المذكور انتيوخوس الكالوتيني اخذ في الانتصار للتعليم بان كل الاشياء هي كافية الوضوح في الحقائق بعد البحث لكن بعد ان تخلف راي الفلاسفة الاسطوانيين وصار معلمًا للجمعية الاسطوانية المتوسطة رجع وهو في سن الشيخوخة الى اكاديمية الاسطوانيين القديمة وضاد تعليمهُ هذا الجديد بالكلية

وكان بعد ان توفي افلاطون موسس الاكاديمية المذكورة على ما سبقت الاشارة اليهِ قد انقسم تلامذتهُ الاصلية الى قسمين احدهما جمعية الاكاديمية التي كنا بصددها والثانية جمعية اخرى كانت مضادة لها وزائدة عليها وقتئذٍ بالرونق والزينة وكان يترأس عليها ارسطاليس رجل من الفلاسفة ولد في مدينة استاجيرمن حدود تراس ومكدونيا سنة ٣٨٤ قبل الميلاد وتتلمذ لافلاطون ثلاثين سنة ثم استوطن مدينة مدلى ولما انتقلت جمعيتهُ هذه الى ليكاو وهو محل بناهُ اهل اثينا لتعليم الحرب دعيت جمعية المشائين لان معلمهم ارسطو المذكور كان من عادتهِ تعليم تلامذتهِ وهو ماشٍ معهم وقد اشتهر هذا الفيلسوف شهرةً عظيمة في جميع العلوم سيما علم الفلسفة والسياسة والف كتبًا كثيرة جمع فيها كل اقسام الفلسفة ووضحها باختراعات جديدة ابتدعها هو ذاتهُ فكان اول من اخترع القياس والاشكال والانواع في علم المنطق وخلف تلاميذ اجلاَّ في علم الطبيعيات واتخذه فيلبس ملك مكدونيا مودبًا لولده اسكندر الاكبر فاقام معهُ ثماني سنين وامرهُ الاسكندر ان يعمل تجربةً في كل الطبيعيات حتى انهُ اعطاهُ جماعة من صيادي السمك والطير ليجلبوا كل ما يلزم لهُ في التجربة واعطاهُ ثمانماية دينار لاجل مصروفهِ

فقسم هذا الفيلسوف الفلسفة الى قسمين عملية ونظرية فالعملية هي التي تعلم

قواعد بها تستقيم الترتيبات العقلية كالمنطق او تفيد حكمًا وامثالاً لترتيب المعاش والمعاد فهذا هو الحكمة العملية والسياسية واما النظرية فهي التي تظهر الحقائق العقلية الخالصة مثل علم الالهيات والطبيعيات وقال ان الاشياء الطبيعية ثلاثة وهي العدم والمادة والصورة

وقد برهن على نظم العدم في سلك الاصول بان مادة الشيء لابد من سبق خلوها من صورة الشيء مثلاً مادة السرير التي يتركب هو منها يلزم ان تخلو من صورة السرير يعني انهُ يجب قبل عمل السرير ان المادة التي يُصنع منها السرير لاتكون هي نفس ذلك السرير على تلك الصورة وليس قصدهُ ان العدم اصل لتركيب الاجسام بل انهُ اصل خارجي لاحداثهاما دام هذا الايجاد تغييرًا بهِ تنتقل المادة من الحالة التي ليست موصوفةً بهذا الايجاد الى حالة هذا الايجاد كالالواح التي تنتقل من الخلو عن كونها سريرًا الى كونها سريرًا

واما المادة فقد عرفها بتعريفين سلبًا وايجابًا فقال في التعريف الاول المادة هي ما ليست ذلك الشيء ولا امتدادهُ ولا عرضهُ ولا نوعًا اخر من الامور الوجودية العارضة لهُ فعلى هذا التعريف تكون مادة الخشب مثلاً ليست امتداد هذا الخشب ولا صورتهُ ولا لونهُ ولا جسمهُ ولا زنتهُ ولا صلابتهُ ولا يبسهُ ولا رطوبتهُ ولا رائحتهُ ولا غير ذلك من الاعراض التي في هذا الخشب وقال في الحد الثاني الايجابي وهو كالاول ليس بمقنعٍ وحاصلهُ ان المادة هي مبدأُ تركيب الاشياء ومنتهى تغييراتها لكن يُردُّ عليهِ انهُ لم يستفد من تعريفهِ اي شيء هو المادة والاصل الاول الذي الاشياء التي على اصل الخلقة مركبة منهُ

واما الصورة فقد افاد هذا الفيلسوف انهُ لاجل حدوث الجسم الطبيعي يلزم خلاف المادة الاولية اصل ثانٍ سماهُ بالصورة فاول بعضهم هذا بان معناهُ ترتيب اجزائهِ الاصلية وقال بعضهم ان قصدهُ بذلك هيولى جوهرية ممتازة امتيازًا تامًا عن المادة كما اذا سحقنا الحب فانهُ يطرأُ عليهِ صورة جديدة جوهرية بها يستحيل الحب دقيقًا واذا مزجنا الماء بالدقيق وعجن بهِ فانهُ يكتسب

صورةً اخرى جوهرية بها استحال الدقيق الى صورةٍ جوهرية صيرت الدقيق المزوج بالماء عجيناً فاذا اخبزنا هذا العجين اكتسب صورةً اخرى جوهرية صيرت العجين المنضج بالنار خبزاً

وقال المفسرون لكلامهِ بهذه الهيولات ان الجوهرية بجميع الاجسام الطبيعية مثلاً غير ما في الفرس من العظم واللحم والعروق والمخ فيها الدم الذي بجريانهِ في سائر العروق والشرايين يغذي جميع اجزائهِ وغير ما في الفرس ايضاً من العقول الحيوية التي هي اصول الحركات يقولون بصورةٍ جوهرية ادعائية وهي روح الفرس وهذه الصورة الادعائية ليست بمستخرجة من المادة وانما هي ناشئة من قوتها فيريدون انها هيولى غير المادة ليست جزءًا منها ولا قيدًا فيها

وعيّن هذا الفيلسوف ثقل الهوا وانشا القسم النظري في تولد الاصوات الحاصلة بواسطة تموّج الهوا وكان يقول ان الاجرام الارضية مركبة من اربعة عناصر وهي التراب والماء والهوا والنار وان الماء والتراب ثقيلان لانهما يحاولان دائمًا السقوط بالمركز بخلاف الهوا والنار فانهما يبعدان عنهُ على قدر الامكان لخفتهما وزاد على هذه الاربعة عناصر خامساً قال انهُ يتركب منهُ الاجرام السماوية وان حركتهُ مستديرة دائمًا وكان يزعم انهُ يوجد فوق الهوا في اعلا الجزء المقعّر في القمر كرة من نار تذهب اليها جميع الالتهابات النارية وتلك الالتهابات مثل المخلجان والانهر التي تصب في البحر

وكان يزعم ان المادة تقبل القسمة الى غير نهاية وان الكون ممتلىء وانهُ لافراغ وان العالم باقٍ لايزول وان الشمس تستمرّ في دورانها على الحالة التي نشاهدها كما هي كذلك قديمًا وان التناسل في الاجيال لااول لهُ وكان يستدل على ذلك بقولهِ لو ثبت ان لهُ اول انسان لكان من غير ابٍ وام وهو محال واستدل بمثل ذلك في شان الطيور فقال ان الطير من بيضة والبيضة من طير الى ما لانهاية وكان يقول مثل ذلك في سائر الاجناس والانواع التي في الكون

ويزعم ان الافلاك لاتقبل الفساد ولا تخرب وانما يعرض لها ذلك مما في الجوّ من الاشيا وكذلك اجزاؤُها لا تفسد اصلاً وانما تنتقل من محالها وان الاثار التي تبقى يتكوّن منها شيء اخر ولاتزال الدنيا بهذه الكيفية تامة لاتزيد ولا تنقص ويزعم ان الارض في وسط العالم وان الموجود الاول جعل حركات الافلاك حول الارض بعقولٍ دائمًا تشتغل بهذه الحركات وان جميع الاشيا المستترة الان بمياه البحر كانت ارضًا يابسة وان الاراضي اليابسة الآن تصير فيما بعد مياهًا بسبب انحسار البحر مما تجذ بهُ معها الانهار والسيول دائمًا من الرمال والاتربة وان كان يلزم لذلك ازمنة طويلة فتصيّر الارض بحرًا والبحر ارضًا وان هذه التقلبات هي من جملة الاسباب في نسيان الاشيا الماضية وذكر ان هناك عوارض اخرى ينشأ عنها ضياع العلوم والمعارف كالطاعون والخراب والقحط والزلزلة والخسف والحريق والفساد العظيم فهذه ايضًا ربما نشأ عنها هلاك امة كاملة الّا انهُ ينجو قليلهم بفراره الى البراري فيعيش هناك عيشة المتوحشين ويتناسل منهُ امم اخر على تداول الازمان يجتنون ثمار الارض ويخترعون العلوم والفنون ويجد دونها او يجدونها مخترعة فيستعملونها ولهذا تجد الاراء تارةً تتوافق وتارةً تختلف باراء اخرى متجددة

وكان ينقض راي ارباب الشهوات الزاعمين ان السعادة في اللذات البدنية وزيف راي ارباب الطمع والحرص الزاعمين ان السعادة في الاموال ورأى ان السعادة هي اعمال العقل الحسن وسلوك طرق الفضائل وان اشرف اعمال العقل تاملهُ في الكائنات وبحثهُ عن اصول الموجودات وعن الافلاك والكواكب وسائر الاشيا الطبيعية خصوصًا الموجود الاولي الازلي وكان يقول انهُ لابد للانسان من رزقٍ يكفيه فانهُ بدونهِ لايمكنهُ تحصيل السعادة كلها ولا يمكنهُ الاشتغال بالبحث عن ظريف الاشيا واستعمال الفضائل لان من لامال لهُ لايقدر على صنع المعروف مع احبائهِ الذي تنبسط النفس منهُ في حياتها وان سعادة المرء تصدر عن ثلاثة اشيا وهي الكمالات العقلية كسداد الراي وحسن

التدبير والضبط والكمالات البدنية كالجمال والقوة واعتدال المزاج والكمالات الدنيوية كالغنى وطيب الاصل وان الصلاح وحدهُ لايكفي في سعادة المرء بل لابد لهُ من كمالات الجسم والمعيشة فاذًا الحكيم يشقي باحد سببين اما الالام واما الاحتياج للمال بخلاف النقيصة فانها تكفي في شقاء المرء وان الحكيم لايمكن خلوهُ في حكمتهِ من بعض المكدرات وانما مكدراتهُ هينة وان الفضائل والرذائل ليست متباينة الافراد على معنى انهُ اذا وجد احدها عدم الاخر فانهُ يمكن ان الرجل الواحد يتصف بالصدق والانصاف وحزم الراي ومع ذلك تكون لهُ شهوات نفسانية تخصهُ وكان يقسم المحبة الى ثلاثة اقسام احدها شفقة القرابة وثانيها الميل للالف وثالثها محبة الاحسان

وكان يزعم ان الاعتناء بالعلوم الادبية يعين على التمسك بالفضائل كثيرًا وقال انها اعظم ما يوجب تسلية الاديب اذا صار هرمًا

ومن جملة ما قالهُ في السياسة هذه الدائرة المشهورة وهي العالم بستان سياجهُ الدولة الدولة سلطان تحيى بهِ السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك نظام يعضده الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال رزق تجمعهُ الرعية الرعية عبيد يكتنفهم العدل العدل مالوف وبهِ قوام العالم ثم ترجع الى الاول فتقول العالم بستان سياجهُ الدولة

وقال وفاقًا لافلاطون بوجود ذات اولى متصفة بصفة القضاء والقدر

وكان يقول ان سائر افكارنا اصلها الحواس واستدل لذلك بان الاكمه لايفرق بين الالوان والاصم لايفرق بين الاصوات

ثم انهُ حصر ايضًا الاشياء المتعلقة الى عشر مراتب تسمى المقولات العشر فجعل المواد داخلة تحت الاولى وجعل سائر الاعراض داخلة تحت التسعة الاخرى

المقولة الاولى مقولة الجوهر وهو جسماني وروحاني

المقولة الثانية الكم وهو اما منفصل اذا كانت الاجزاء متفرقة مثل العدد

او متصل اذا كانت الاجزاء مجتمعة وهو اما متتابع مثل حركة الفلك او قارّ وهو المسمى العُظم والامتداد للجسم من الطول والعرض والعمق فمن الطول وحدهُ نتعقل الخطوط ومن الطول والعرض نتعقل السطوح ومنها مع العمق يحصل الجسم التعليمي

المقولة الثالثة الكيف وقسمهُ الى اربعة اقسام الاول هو الاستعدادات يعني تهيئات العقل والجسم المكسوبة بالاعمال المكررة مثل العلوم والفضائل والرذائل والقدرة على الكتابة والرسم والرقص والثاني القوى الطبيعية مثل قوة النفس والبدن كالادراك والارادة وقوة الحفظ والحواس الخمس والقدرة على المشي والثالث القوى المشاهدة مثل الصلابة والرخاوة والكثافة والبرد والحر والالوان والاصوات والروائح والاذواق والرابع الصور والاشكال التي ينتهي بها الكم مثل الاستدارة والتربيع والكروية والتكعيبية

المقولة الرابعة الاضافة وهي النسبة بين شيئين مثل الاب والابن والمخدوم والخادم والملك والرعية وكنسبة القدرة والارادة لمتعلقيهما والبصر للمبصر بالقوة وكالنسبة التي تقتضي المشاركة كالشبيه والمساوي والمباين والاصغر والاكبر .

المقولة الخامسة الفعل سواء كان قائمًا بالفاعل مثل القيام والمشي والرقص والمعرفة والعشق او واقعًا منهُ على غيرهِ مثل القتل والضرب الخ

المقولة السادسة الانفعال مثل الانكسار والانحراق

المقولة السابعة الاين يعني جواب السوال الذي يتعلق بالمكان كقولك في الشام في الفراش في الدار

المقولة الثامنة المتى وهو جواب السوال الذي يتعلق بالزمان كما اذا قلت متى كان موجودًا فلان فقيل منذ مئة سنة او متى وقع هذا فقيل البارحة

المقولة التاسعة الوضع كحالة الوقوف والجلوس وكونهِ قبل او بعد او على اليمين او على اليسار

المقولة العاشرة الملك وهو وجود الشيء مع الانسان منسوب اليهِ كاللباس والزينة والسلاح فتعلق ذلك بهِ وحوزتهُ لهُ هو هذه المقولة وقد نظم بعضهم في ذلك فقال

زيد الطويل الازرق ابن برمكٍ في دارهِ بالامس كان متكي
في يدهِ سيف لواهُ فالتوى فهذه العشر المقولات سوى

غير ان الافرنج يقولون في هذه المقولات العشر التي ذكرها ارسطو وعدّت من الامور الخفية بان ليس في معرفتها كبير فائدة بل معرفتها مضرة لشيئين الاول ان الانسان يظنها مبنية على حكم عقلي ومحصورة بحصر استدلالي مع انها ليست الا اصطلاحية جعلية حصرها بعض الناس في هذه الاقسام ليظهر بها الرياسة على غيرهِ مع انهُ بوجد من يمكنهُ ان يحصرها حصرًا اخر جديدًا كما انهُ فعل ذلك بعض الناس بحصرهِ اياها في سبعة اقسام سماها المواد العقلية وهي

المادة الاولى العقل او الجوهر الدراك
" الثانية الجسم او الجوهر ذو الامتداد
" الثالثة القدر او صغر كل جزء من اجزاء الهيولات
" الرابعة وضع الهيولات على التناسب بين اجزائها
" الخامسة صورة الاشياء
" السادسة الحركة
" السابعة السكون

الثاني ان متعلمها يكتفي بمجرد الفاظ وهمية ويظن انهُ على شيء مع انهُ لم يعرف بها شيئًا لهُ في الواقع معنى واضح ومحقق

ثم بعد ان اقام ارسطاليس المذكور مدة ثمان سنوات في مكدونيا لتعليم الاسكندر المشار اليهِ في ما سلف على ما بيناهُ رجع الى اثينا وانشا مدرسة جديدة في ليكاو كما ذكرنا وتخرج عليهِ فيها كثيرون تعاقبوا في الترأس على مدرستهِ

بعد موتهِ ومنهم تلميذ لهُ يقال لهُ فيلبس استصحب معهُ برجوعهِ الى شابسين وطنهِ الاصلي كتب ارسطو التي مر ذكرها وبعد موتهِ خاف ورثاهُ من برغامس ملك الاطالادكيين لئلا ياخذ هذه الكتب منهم ويضعها في مكتبتهِ فاخفوها في مغارةٍ تحت الارض فتلف كثير منها بواسطة رطوبة الهواء والعث الى ان اخرجت بعد ذلك بنحو مئة وثلاثين سنة فاشتراها رجل يقال لهُ بيليكانوس واراد ان يصلحها بنوع من الدهان الابيض يجلى بهِ الحروف ويوضحها فلم ينل مقصودهُ بل زادها فسادًا كما ان طائفة سيلا الرومانية بعد ان رجعت من اثينا الى رومية استصحبت معها هذه الكتب عينها وغيرها وكان فترابنو معلم الغراماتيك المشهور مولعًا بتعاليم ارسطو فانكب على دراسة هذه الكتب ومطالعتها وكان يصلح ما كان ممحوًّا فيها من الرطوبة او تلفهُ العث فيضع مكانه ما كان يخترعهُ عقلهُ ورايهُ الخصوصي ثم نقلها الى كتبهِ على هذه الصورة المفسودة البعيدة جدًّا عن روحها الاصلي ومن ثم اشتهرت على هذا المنوال على يد اندرونيكوس روربوس الذي تسلمها من تيرانو

الفرقة الكلبية

وكان من تلاميذ سقراط ايضًا انتيشينيوس الاثينوي الذي كان معاصرًا لافلاطون وكان يسر جدًّا من القواعد والمبادي التي تعلم الشجاعة والاقدام على تحمل الشدائد والاتعاب والمصائب ولذلك ميز نفسهُ بعد موت معلمهِ عن رفقائهِ واسس جمعية جديدة في مكان يسمى بما معناه باليونانية هيكل الكلب الابيض فسمي حينئذٍ اضداد طريقتهِ هذه مقلديها بالكلبيين نسبةً الى ذلك المكان وقيل لكونهم كانوا في معيشتهم مثل الكلاب فكانت هذه التسمية عادلةً لمطابقتها حالتهم الدنية التي اتخذوها وسيلةً لتوبيخ نقائص العامة وقبائحهم بل كانوا يعتقدون انهم لفقرهم هذا لهم حق بان يسيئوا الادب على من عداهم

ويحتقروا النوع البشري وكان من اخص تعاليم هذا الفيلسوف هو ان الفضيلة وحدها تكفي لقيام السعادة الانسانية فهجر علم الفصاحة والمنطق والعلم المجرد وعلم الطبيعيات ولم يلتفت الاَّ الى الاداب فقط حتى انهُ خرج عن حدود المبالغة في جعل تصرفهِ الخارجي مطابقاً الى تعاليمهِ فهجر لبس الاثواب واستتر بقطعة من قماش قذرة ولم يكن لهُ بعد ذلك الاَّ عصاً يتوكا عليها وخرجٌ يضعهُ على كتفهِ

وكان من تلامذتهِ ديوجينس الكلبي المشهور الذي فاق على معلمهِ بهذا المسلك بكونهِ اتخذ لسكناهُ برميلاً كبيرًا ليبيت فيهِ وكان يقتحم الشدائد والمصائب حبًّا بالفضيلة حتى قال فيهِ الاسكندر المكدوني لو لم اكن الاسكندر لاشتهيت ان اكون ديوجينس

ثم بعد ان اعقب انتيشينيوس الذي مر ذكرهُ عدة من تلامذتهِ تخلفوهُ تلاشت طريقتهُ هذه برجلٍ من مقلديهِ يقال لهُ ميندِاميوس لبس ثوبًا مهولاً وكان يدور في الازقة مدعيًا بانهُ احد زبانية جهنم جاء ليراقب الناس وينظر افعالهم القبيحة وما يغايرون بهِ حدود الفضيلة ثم يرجع الى قومهِ ويخبرهم بذلك

وكان زينون الشيتيكوس الذي توفي سنة ٢٦٠ قبل الميلاد قد تخرج مدة على كراتيوس احد خلفاء انتيشينيوس المذكور الاَّ انهُ كان يخجل من هذا الجهل الفظيع وتلك العيشة الكلبية ولذلك هجر معلمهُ وغيَّر قواعد كثيرة من هذا التعليم بعد ان اخذ عن شيليونوس ميغاريكوس وثيودورس خرونوس وبوله مونوس وانتخب لهُ رواقًا جعل فيهِ مدرسة اقام يعلم بها نحو (٥٨) سنة ولذلك تسمت اصحابهُ بالاسطوانيين او بالرواقيين نسبةً الى ذلك الرواق ثم اجتهد في علم المنطق وزاد بهِ اشياء كثيرة وقيل بل انهُ هو الذي وضعهُ وان ارسطا ليس كملهُ وافلاطون هذَّبهُ وكذلك اجتهد في الطبيعيات وكانت قاعدة علمهِ الاخص الفضائل والاداب ويقول ان سعادة الانسان تقوم في الفضيلة وحدها وان الفضيلة والاداب يصيران الانسان مطمئن القلب عند المصيبة

وان مقاساة الشدائد ليست معيبة اصلاً وان من الحكماء من لايتبع هواهُ ومن لايحس بالشفقة ولكنهُ دائمًا محافظ على حقوق الناس وعلى ما تقتضيهِ المروءة وخرج من مذهبهِ حكماء مشاهير عظام عولوا جميعًا بعدهُ على هذا التعليم ولئن اختلفت اراؤُهم في ما سواهُ بل يظهر ايضًا ان اختلاف ارائهم في ما سواهُ كان مالوفًا بخلاف ما اختلف فيهِ غيرهم من الجمعيات

وكان من جملة التلامذة المذكورين كلاانتس الذي كان رجلاً فاضلاً في الاحتمال والصبر وتلميذهُ كريسيوس ذو الحذاقة الغريبة والاجتهاد غير المالوف في الامور العقلية حتى انهُ غير اشياء كثيرة من تعاليم سلفائهِ وزاد على ما الفوهُ في كتبهم الكثيرة العدد اشياء اخر غيرها وانقاد اليهِ جماعة منهم زينون الطارسيني وديوجينس السلفكنسي الذي كان اعظم الرواقيين وارزنهم وانتيبترس الصيدوني (اي من صيدا) وكان من اعظم علماء هذه الفرقة المولفين ومنهم ايضًا بوسيدونيوس المولود في افاميا (حماه) ببلاد سوريا ثم تصدر اخيرًا على المدرسة والمشيخة في رودس وعنهُ اخذ شيشرون الفيلسوف الروماني ايضًا وغيرهم

وقد امتدت تعاليم هذه الجمعية الى ان اخذ عنها الفريسيون في اليهودية تلك الرصانة التي كانوا يتصفون بها كما ياتي الكلام على ذلك في البحث الرابع من المقالة الثانية

الفصل الثاني

في القسم الايطالياني

هذا القسم ازهر في بلاد ايطاليا المسماة باليونانية الكبري بسبب كثرة الذين هاجروا اليها من العيلات اليونانية وقد تسمت اربابهُ بالجمعية

الايطاليانية وكان معلمهم فيثاغورس الفيلسوف اليوناني المولود في جزيرة ساموس سنة ٥٦٤ قبل الميلاد وبعد ان اتقن علومهُ اولاً في محل ميلادهِ ثم من كهنة ممفيز وثيبة بمصر ومن الفينيقيين والكلدان وبرع في معرفة عوائدهم وفي معارفهم الدينية وعلم الفلك والمساحة والموسيقى والحساب وقواعد اسرار المشترسيي القريطشي وشرائع مينونوس ونيكورغوس ذهب الى كروتونا احدى مدن ايطاليا وهناك اسس مدرستهُ حينما كان تاركونيوس المعظم يقاتل رومية وتلمذ فيها كثيرين سوف ياتي ذكر بعضهم وهو اول من امتنع تواضعاً منهُ ان يلقب حكيماً ورضي بلقب الفلسفة واول من قيل فيهِ انهُ معلم طبيعي حقيقةً وكان عالماً بالهندسة والهيئة واشتغل بعلم الاخلاق والاداب على وجه نافع ويعتقد ان الحكمة هي اول العلوم وكان يعيش على وجه الشركة مع اصحابهِ وتلامذتهِ وكان يمتحن تلامذتهُ مدة سنتين الى خمس سنوات ويجربهم في هذه المدة ويعلمهم تعليماً سكوتياً فلا يمكنهم السوال عن سبب تعليمهم

وكان يعتقد ان جميع الاشغال تحاول الى ان تجعل الانسان مشابهاً في افعالهِ للاله حيث كانت تميل للحقيقة ويحرم الحلف بالالهة وزعم ان العالم لهُ روح وادراك وان روح هذا الدولاب العظيم هو الاثير ومنهُ جميع الارواح الجزئية للادميين وسائر الحيوانات وان الارواح لا تفنى غير انها تسرح في الهواء من جهة الى اخرى الى ان تصادف جسماً ايّاً كان فتدخل فيهِ واذا خرجت من جسد الانسان يتفق ان تدخل في جسم حيوان اخر من البهائم والطيور والاسماك وغيرها او جسد انسان ايضاً وهكذا تخرج من جسم اي حيوانٍ كان الى جسم انسان ايضاً ولذلك كان يشدد في منع اكل الحيوانات ويزعم ان ذنب من يقتل الذبابة وغيرها من الهوام مثل ذنب الذي يقتل انساناً وكان يقول بالثواب والعقاب بعد الموت وهو الذي برهن على ان مربع الوتر في كل مثلث قائم الزاوية مساوٍ لمجموع مربع الضلعين الاخرين وكان يزعم ان الاصل الاول لجميع الاشياء هو الواحد ومنهُ تخرج الاعداد ومن الاعداد

تخرج النقط ومن النقط تخرج الخطوط ومن الخطوط السطوح ومن السطوح الاجسام ومن الاجسام العناصر الاربعة وهي النار والهوا والماء والتراب التي تركب منها العالم وانها دائمًا تستحيل وتتغير ويرجع احدها للاخر ولا ينعدم من جواهر العالم شيء بل جميع ما يعتريهِ محض تغيير وكان يقول ان الارض مستديرة ويقول بوجود المتقاطرين يعني انهُ لو رسم خط من قدم اي انسان الى اسفل الكرة لوقع على قدم انسان يقابلهُ ويكون ذلك الخط قطرًا للكرة وان الهواء المحيط بالارض غير شديد الحركة وهذا هو علة قابلية حيوانات الارض للموت والفساد بخلاف الهواء الذي في السما فانهُ رقيق جدًّا شديد التحرك والاضطراب دائمًا فلذلك كان كل ما في السما من ذوي الارواح لايزول ولا يفنى بل هي آلهة ابدية باقية فاذن الشمس والقمر وسائر الكواكب آلهة لانها في وسط هذا الهواء الرقيق والحرارة الفعالة التي كانت اصلاً للحياة

وذكر بعضهم انهُ اخترع اصول الالحان والانغام ولهُ تآليف جليلة في الارتماطيقي والموسيقى وغير ذلك من العلوم الرياضية ومنها مجموعٌ جميلٌ سماهُ بالموافقات الطبيعية ذكر فيهِ اراءَ جميلة في السماع والتثاقل اي قوة الجذب المتنوعة والابصار والوان الضو ومما ذكرهُ في الالوان ما نصُّهُ ان الوان المرئيات لاتكون الاَّ بانعكاس الضو المتنوع بانواعٍ مختلفة وكثيرًا ما تكون نتيجة اختلاط عناصر الضو اي الوانهِ

ومن تلامذتهِ الذين سبقت الاشارة اليهم ذا الكوس وكراندس وكانا من المخترعين للشرائع والقوانين ومنهم امبيدوقليس المولود بمدينة اغريجانطه بجزيرة سيسليا في اواسط القرن الخامس قبل الميلاد وهو الذي حصر مبادي الاشياء في الالفة والانقسام ومنهم اركيانس تاريتينينوس الذي جعل علم الحركة في الصورة ليستعمل في الصنائع (يراد بذلك معرفة جرّ الاثقال) ونياوس لوكروس الذي الف كتابًا في شرح العالم وادكسوس جينيدبوس الذي يقال بانهُ اوّل من علم في اسباب الزلازل السنوية

وقسم فيثاغورس تلامذتهُ الى رتبتين الاولى كانت تحتوي على التلاميذ المخصوصين المسمين اكروانيكي او فيثاغورسيين وكانوا في الابتدا نحو (٦٠٠) تلميذٍ يعيشون عيشة عامة كانهم واحد في كل شيء وكذلك في الدرس ايضاً وكانوا لا يظهرون لدى المعلم بل بعد ان يكرر دروسهم نهاراً يانون اليهِ ليلاً بحيث يكون محجوباً عنهم خلف ستار فيلقي عليهم الدروس من وراء ذلك الستار وكانوا يلازمون الصمت بشدةٍ خمس سنوات يتعلمون فيها اولاً الارثماطيقي اي علم العدد ثم الموسيقى ثم الهندسة واخيراً الفلسفة التي كانت مقسومة الى قسمين نظرية وعملية والقسم الاخير العملي كان يحتوي وصايا وشرائع كلية بالنظر الى العبادة الواجبة لله والتعطف نحو الموتى واكرام الوالدين وحفظ القوانين والعفاف والقوة والشجاعة وغير ذلك مما جمعهُ احد تلامذتهِ بشعر كتب بماء الذهب وكانوا يقبلون منهُ هذه التعاليم كانها وحي من الله لا يجوز نقضها بل ولا الشك بها حتى ولا فحصها ايضاً وكانوا عند ما يستشهدون بكلامهِ يقولون قال هو

واما الرتبة الثانية فكان اربابها يسمون اكروماتيكية وكان ممكناً لاي من كان ان ينتظم في سلكهم وكانوا يجتمعون في مكان يسمونهُ ايماكيوس فسرهُ القديس اكليمندوس الاسكندري بالكنيسة وكان فيثاغورس يشرح لهم فيهِ تعاليم مناسبة لحالة كل واحدٍ منهم

ثم بعد وفاة هذا الفيلسوف خلفهُ ثلاثة من تلاميذهِ على التعاقب اخرهم كان تيده الكروتيوناني وبهِ انتهت الجمعية الفيثاغورسية المذكورة غير ان كثيرين منهم تفرقوا في البلاد ووزعوا فيها هذه التعاليم حتى انها اتصلت باليهود بعد رجوعهم من سبي بابل اذ يقال بان الاسينيين وهم فرقة من فرق اليهود المذكورين اخذت عنهم وعن الكلبيين ايضاً تلك الطريقة التي امتازت بها عن باقي اليهود كما سوف ياتي ذكر ذلك في البحث الرابع من المقالة الثانية ثم ان هولاء المتفرقين انقسموا الى اربع فرق يخالف بعضها بعضاً وهي الهيرقليسية

والياتيكية والبيرهونية والابيقورية

الفرقة الهيرقليسية

هذه الفرقة تنسب الى هيرقليطس الافسسي الفيلسوف الذي ظهر امرهُ نحو سنة ٥٠٠ قبل الميلاد ويظن انها بهِ انتهت ايضاً وكان هذا الفيلسوف رجلاً متكبرًا يحتقر جميع الناس ويعيش في الجبال ويتقات بالنبات والادهان وكان يقول في زمان شبيبتهِ انهُ لايعرف شيئاً لكن لما انحل جسمهُ من ذلك التقشف رجع الى المدينة وادعى بانهُ لايجهل شيئا وكان من جملة تلامذتهِ بيسبول الفيثاغورسي الذي اتخذ قوانين الفيثاغورسيين ومزجها بقواعد اخرى وجعلها في مؤلفٍ مخصوص خباه في هيكل ديانة لكي اذا ظهر بطريق الصدفة يُعتقد بانهُ من الاسرار العلية كوحي الهي لكنهُ لم ينجح في عملهِ هذا حيث لم يتبعهُ الاَّ القليل من ادنياء الناس

الفرقة الالايكية

هذه الفرقة تنسب الى اليا او فيليا من بلاد ايطاليا وكان من اخص تلامذتها اكسينوفانوس الذي زعم بان العالم ازلي وانهُ لايمكن ان يكون من العدم وبذلك مهد الطريق الى سبينوسا الذي سوف ياتي الكلام عليهِ في الفصل السابع من هذه المقالة ليبدي زعمهُ بان العالم جميعهُ هو جوهر واحد وان هذا الجوهر هو جوهر الهي ثم من جملة الذين تصدروا على هذه المدرسة بعد اكسينوفانوس المذكور رجل يقال لهُ زينون الاليانو معلم القياس والجدال واعقبهُ لاريشبو الذي هو اول من احيا في اليونانية التعليم الكلبي القديم نظرًا الى الهبا (يعني الذرات) واعقبهُ ديموقريطس ابديريتين نسبة الى مدينة ابديري

التي هاجر اليها وكان ميلادهُ في سنة ٤٥٨ قبل الميلاد فرّقى هذا العلم الذي تلقنهُ عن معلمهِ لوقسيس وبرهن على ان اصول الاشيا الذرات والفراغ وانهُ لايتكون شيء من العدم كما انهُ لايؤول موجود الى العدم وان هذه الذرات لا يعتريها فساد ولا تغيير ثم اعقبهُ بروطاغورس الذي نفاهُ الاثينيون لكونهِ ارتاب في وجود الآلهة

الفرقة البيرهونية

هذه الفرقة تنسب الى موّلف جمعيتها بيرهون لاله انوس المولود في سنة ٢٧٤ قبل الميلاد وهو مخترع المذهب البيرهوني الاسقيطيقي وهو مذهب المشككة الذين لايجزمون بحقيقة وكانت جمعيتهُ هذه تلقب قبل ذلك بعدة القاب منها ما يدل على فحصها عن الحق ومنها ما يدل على كونها كانت تتوقف في الحكم وتتمهل بهِ واخيرًا تلقبت استيطيقة لكونها لاتجزم بحقيقة على ما ذكرنا حتى ان واضعها بيرهون المذكور كان لايحذر من شيء اصلاً لاجل اظهار رايهِ في الارتياب بكل الامور فلا يخشى خطرًا حتى اذا مر في الطريق كان لايتجنب الحيوانات المارة ولا لطم الاحمال كما جرت عادة الناس ولولا اصحابهُ الذين كانوا يصدون عنهُ تلك الاخطار لكان هلك فيها لامحالة واذ كان غافلاً في بعض الاوقات دفع كلبًا كان هجم عليهِ ليعضهُ فقال لهُ بعض الحاضرين ان هذا ليس من مذهبك فتأوَّه قائلاً ما اصعب خروج الانسان من اوهامهِ

والذي حملهُ على تعليق الحكم بالاشياء وعدم الجزم بحقيقةٍ هو على ما قالهُ بعضهم ان معرفتنا الاشياء انما هي عبارة عن ادراك النسبة بين بعضها مع بعض واما الاشياء في حد ذاتها فمجهولة الحقائق لنا جهلاً كليًا فانك تجد مثلاً ورق الصفصاف تستطيبهُ المعز ويجدهُ الانسان مرًّا ونبات الشوكران يسمن الطير

السماني ويقتل الانسان وديموفون الذي كان وكيل مائدة الاسكندر احرقهُ الظل وجمد جسده برد الشمس عليهِ واندرون المرتي جاب رمال برقة ولم يظما اصلاً وبعض الاشياء يُعَد في بلد من العدل والانصاف وفي غيرها من الجور والاجحاف وقد يكون الشيء فضيلة عند بعض امم رذيلة عند اخرين فان العجم يتزوج الرجل منهم ببنتهِ وذلك موبقة عند اليونان وبعض الامم لايقول في الزوجة بالوحدة وبعض الامم ينبذون هذا القول والسرقة محمدةٌ عند امةٍ تسمى القيليقية ويعاقب عليها عند اليونان ولأرسطو مقالة في اللذة تباين مقالة انتيشينس ومقالة ابيقورس تباينهما معًا وبعض الفلاسفة يثبت القضا والقَدَر وبعضهم ينفيهِ والمصريون يدفنون موتاهم والهنود يحرقونهم واليابونيون يطرحونهم في البحيرات وبعض الاشياء لونها في الشمس يخالف لونها في ضوء القمر ولونها في ضوء الشمعة وعنق الحمامة يظهر بالوان مختلفة على حسب الجهات الذي ينظر منها وشرب قليل من النبيذ يقوي المعدة وكثيرهُ يعكر الحواس ويفسد العقل والشيء الذي هو على يمين انسان هو على يسار اخر وبلاد اليونان شرقية بالنسبة الى ابطاليا غربية بالنسبة الى بلاد العجم وبعض الاشياء مستغرب في بعض الاماكن مبتذل في اماكن اخر والرجل يكون ابًا بالنسبة لبعض الناس واخًا بالنسبة لبعض اخر وبالجملة فالتنافي في احوال الاشياء هو الذى حمل بيرهون وتلامذتهُ على عدم تعريف شيء بالحد لزعمهم ان لاشيء في الدنيا معروف حقيقةً بنفسهِ بل لابد في معرفتهِ من مقابلتهِ مع غيرهِ لادراك النسبة بينهُ وبين غيرهِ ولما كانوا لايعرفون شيئًا محققًا تركوا جميع البراهين قائلين ان البرهان انما يؤسس على شيء واضح ضروري لايحتاج لدليل ولا شيء في الدنيا بهذه الصيغة لما ان ما نترأى بداهتهُ من الاشياء يلزمنا ان نبين حقيقة العلة التي اوجبت بداهتهُ ولا سبيل الى ذلك

الفرقة الايبقورية

هذه الفرقة تنسب الى ابيقور احد تلامذة بيرهون الشهيرين المولود في سنة ٣٤٠ قبل الميلاد وكان ظهوره في زمن انطونيوس وبي القيصرين الرومانيين ولما سكن اخيرًا في اثينا اشترى بستانًا فيها ليعلم فيهِ ولذلك تلقبت جماعتهُ بفلاسفة البستان ولا زالت تلامذتهُ تتعاقب في التخلف على مدرستهِ مدة (٢٢٧) سنة وكانت افاضل الرجال ومقدموا المشيخة يرغبون في تعاليمهِ ويرسمون صورته حتى على الاواني والخواتيم وسرت تعاليمهُ الى بلاد فلسطين لان الصدوقيين وهم فرقة من اليهود قد اتخذوا اخص قواعدها فانكروا عناية الله وخلود النفس ووجود الارواح وكانت فلسفتهُ منقسمة الى ثلثة اقسام الاول يدعى قانونيًّا لكونهِ يفحص باختصارٍ عن الحق وعن اشياء تختص بالحواس والاخبار عن المزمعات ثم اللذات والانفعالات النفسانية ثم يضع قوانين للالفاظ والكلمات مخالفة لعلم المنطق الذي كان يحتقر التوسع فيهِ ويحسبهُ من التخيلات السفسطية والقسم الثاني كان يحتوي على الطبيعيات وبهِ يشرح راي ديموقراط في الاجزاء غير المنقسمة المسماة بالهيولى وغير ذلك مما ينكر فيهِ على الالوهية ووجود النفس والقسم الثالث كان يحتوي على علوم الاداب والشرائع التي بها يعلم ان مبادي الحيوة وسعادتها قائمة في اللذات والشهوات والظاهر ان غرضهُ بذلك اللذات المصحوبة بالفضائل التي يلزمها القناعة والتوسط في الامور ولكن تجاوز الحدود في هذا المذهب غيَّر حالهُ وغيَّر نظامهُ فصار اصحابهُ يوثرون الشهوات على ما عداها ويكثرون الفساد

الفصل الثالث

في ظهور الفلسفة المنتخبة والفلاسفة الاسكندرايين

وبينما كانت فرق الفلاسفة المذكورة تشتغل بمضادة بعضها بعضاً سواء كان ذلك في بلاد اليونان بالذات او في بلاد ايطاليا على ما ذكرنا اتخذت الفلسفة مصدرًا جديدًا في مدينة الاسكندرية من بلاد مصر على عهد اوغسطوس قيصر الروماني الذي نقل الحكومة الرومانية من المشيخة الى الامبراطورية سنة ٥١ قبل الميلاد وكان جميع طلبة العلم يتقاطرون الى هذه المدينة لياخذوا عن تلك المدرسة العظمى التي كانت اسسنها وجمعت كتبها النفيسة الدولة البطليموسية حتى لم يكن لها وقتئذٍ نظير يضاهيها في العالم وكان من قواعد هذه المدرسة انهُ لا يجب ان يتوقف الطالب على تحصيل العلم من معلم مخصوص بل ينبغي تحصيل الحقائق من جميع الفلاسفة بشرط موافقتها للعقل والصواب وقبولها بعد البحث المستطيل وكان المعلم بوتامون هو الموسس لهذا النوع من الفلسفة الذي تسمت اصحابهُ اكليسنيكيين ولذلك كان هذا المكتب مع ما فيهِ من البدع والضلالات الكثيرة والقول بالحلول الذي تولد من اختلاط مذاهب الفلاسفة فيهِ لا يخلو من الفوائد اذ كان قد اخترع اكتزيبوس فيهِ طلونيةً او آلةً لرمي السهام بواسطة قوة مرونة الهوا واخترع رجل اخر يقال لهُ هيرون الجرو وهو الالة المعروفة عند الجريين بالعيار ترفع بها الاثقال من الحجارة وغيرها وتكلم على تمدد الهواء من الحرارة واظهر بطليموس فيلادلف الذي تولى مملكة مصر بعد وفاة ابيهِ سنة ٢٨٢ قبل الميلاد حركة القمر والف كتابًا شهيرًا في الجغرافيا وكان لهذا المكتب نفع اخر عظيم

وهو المحافظة على ملح الاداب القديمة ومستظرفاتها وكشف القناع عن مخدراتها ولاسيما في الفلسفة حيث انهُ وفق بين مذاهبها المختلفة لكن لما استمرت بهِ الحرية استمرّ بهِ كذلك الخلل وعقيدة اللاادرية وهي مذهب بيرهون الذي مرّ ذكرهُ وبما انهُ كان لها السلطة على المذاهب الفلسفية كان لا يمكن جبر فسادها الاّ بمذهب الاسطوانيين الذي كان يعادلها وهو مذهب زينون وقد سبق الكلام عليهِ

وكان قد تخرج في هذه المدرسة كثيرون ممن اعتنقوا اخيرًا التعاليم الانجيلية كالقديس يوستينوس الكبير المولود في بلاد نابلس سوريا والقديس ايريناوس والقديس غريغوريوس الثاولوغوس (على رواية بعضهم) والقديسة كاترينا الشهيرة وغيرهم فتحولت بهم الى كونها صارت مسيحية وكان اول من علم بها من الفلاسفة الاكليسنيكيين رجل يقال لهُ سيدتيا الاثيني ثم تبعهُ باتنينوس والقديس اكليمندوس الاسكندري الذي كان يقول لا اقول ان الفلسفة هي الاسطوانية ولا الافلاطونية ولا الابيقورية ولا الارسطوطاليسية لكن اقول ان كل قاعدةٍ وتعليمٍ من تعاليم هولاء الفلاسفة متى كان مستقيمًا ويعلم العدل والصلاح فيكون هو الفلسفة المنتخبة حقيقةً ولذلك كان هولاء الفلاسفة الاكليسنيكيون ينعكفون على التعاليم التي لا تضاد الديانة المسيحية فيتخذون الفلسفة الاسطوانية في قواعد الاداب والذمة وفلسفة ارسطو في الجدال والقياس والبراهين وفلسفة افلاطون في ما يختص بالله وبالارواح والنفس الناطقة وباقي الاشياء غير المادية ويجعلون هذا الفيلسوف في الرتبة الاولى دون غيرهِ لانهم احتسبوا قواعد تعليمهِ تتفق مع الديانة المسيحية وقواعدها الجوهرية باكثر مما تتفق معها تعاليم غيرهِ من الفلاسفة

ثم في زمان القديس اكليمندوس الاسكندري المذكور اعني نحو سنة ٢٠٠ بعد الميلاد ظهر رجل من تلامذتهِ يقال لهُ امينوس سكاس مولود من ابوين مسيحيين وكان في الاصل حمّالاً الاّ انهُ تعلم في هذه المدرسة وبعد ذلك رجع الى ديانة اجدادهِ الوثنيين وجدد فلسفة الافلاطونيين المتاخرين وعارض بها

الديانة المسيحية في المشرق وكان يدّعي بانهُ لا يعرف شيئًا من التعاليم التي علمها المسيح واتباعهُ للعالم لم يكن معروفًا منذ القديم ومسلم بهِ من الاكاديمية يعني تعاليم افلاطون ولما اتسعت في هذا المكتب دائرة تعاليمهِ هذه وداخلها شيء مما يحرض على التعمق في العبادة واستعمال ما يستخدم بهِ الجن من الروحانيات وكان ذلك مما يميل اليهِ اهل ذلك العصر كثرت معارضة اصحابهِ الى الدين المسيحي وانضم اليهم روساء المعتقدات الوثنية وجاهروا بذلك حتى وفي نفس مدينة رومية التي كان وقتئذٍ قد تسلطن بها الانجيل وكان من جملتهم رجل من اصحاب امينوس المذكور يقال لهُ بورفير الصوري ذهب اليها مع قلوديانوس دوايكربوس واصحابهِ الافلاطونيين واشتهر فيها بما ابداهُ من المعارضة للديانة المسيحية على وجه التعنت والعناد الذي لايلايم الفلسفة فكان ذلك سببًا الى اندراس المكاتب الوثنية اذ ان الملك قسطنطين الاول امر وقتئذٍ بغلق مكتبهم الذي فتحوهُ في رومية وغلق مكتب الاسكندرية ايضًا وكان ذلك في سنة ٣٢٤ مسيحية ثم لما رجعوا وفتحوا مكتب الاسكندرية ثانيةً صدر امر القيصر ثيودوسيوس الاكبر بتخريب هياكل الوثنيين ومعابدهم فخرب هيكل سربيس في الاسكندرية وحرقت المكتبة ايضًا باغراء البطريرك ثيوفيلوس الاسكندري وذلك في سنة ٣٩٠م ثم بعد ذلك قطّع ارباب الحمية الدينية من النصارى هباتيا بنت تيون الفيلسوف الوثني اربًا اربًا حيث كانت حملتها غيرتها على اعادة هذا التعليم هناك وذلك في سنة ٤١٥م اما مكتبهم في اثينا فقد دام الى سنة ٤٥٠م واعاد فيهِ بلوتاركه بن نسطور احد اصحاب كريسنت الكاهن الاكبر ذلك المذهب الافلاطوني وبعدهُ الف فيهِ ايضًا خليفتهُ سريانوس مولفاتٍ تصدّى فيها الى التوفيق بين الاثار الدينية المنقولة عن ارفة وفلسفة فيثاغورس وافلاطون وبذلك حمل خلفاءهُ ان يجعلوا لهذا المذاهب قواعد واصولاً يكون مبنيًّا عليها

وكان لسريانوس المذكور تلميذ يقال لهُ بروكلوس لم يفتهُ شيء من هذه

العلوم التي اشتمل عليها هذا المذهب فألَّف في العلوم الرياضية والطبيعية وعلم الاخلاق وما وراء الطبيعيات والاداب والميثولوجيا واسرار السحر الوهمية وكان قد اختار معارف افلاطون واصول ارسططاليس وعمل عليهما وضم الى ذلك ما نتج عن قوة قريحتهِ من المعارف غير انهُ لما الجأتهُ ضرورة الترغيب في المذهب المذكور الى التوفيق بينهُ وبين جاهلية اليونان لم يمكنهُ ما كان قائمًا بذهنهِ من تهذيب الشرك بجعلهِ لهُ طريقًا قانونيًّا لا يُعدَل عنهُ فشحن فلسفتهُ بالاوهام الشرقية واثار ارفة والكهانة الادعائية والتخيلات التي نشأت عن التعمق في تلك العبادة ثم بعد موتهِ تعاقب على هذا المكتب ثلاثة من اهالي بر الشام وهم مارنوس النابلسي وايزيدور الغزي ودمسيوس الدمشقي الذي كان اخر مفسري مذهب افلاطون ومن ثم صدر امر يوستنيانوس الاول قيصر القسطنطينية بغلقهِ فغلق في سنة ٥٢٩م ولم يبقَ في اثينا الّا مكاتب الفقه والنحو وبانغلاقهِ اندرس هذا المذهب مع عبادة الاوثان وخلفهُ في المكاتب والكنائس مذهب ارسططاليس الى ان عادت الفلسفة السكولاستيكية (اي المدرسية) كما يستبين ذلك من البحث الآتي

وبعد ان توفي القديس اكليمندوس الاسكندري الذي مرّ ذكرهُ خلفهُ المعلم اوريجانوس الذي لشدة ما كابدهُ من الاضطهاد في ايام داكيوس القيصر الروماني الذي تولى المملكة سنة ٢٤٩م سقط في عبادة الاوثان ثم اقلع عنها والف مراثيَ محزنة يندب بها نفسهُ وكان فاضلاً شهيرًا يتقاطر اليهِ الوثنيون فضلاً عن المسيحيين ليتعلموا منهُ وبعدهُ تخلف ابراكليوس ثم اعقبهُ القديس اناطوليوس اسقف اللاذقية الذي حيث لم يعجبهُ راي افلاطون الذي كان يقتدي بهِ الفلاسفة المسيحيون الاكليستيكيون الذين مرّ ذكرهم في الامور المختصة بالاشياء غير المادية على ما اشرنا اليهِ في ما سلف شرع ان يعلم في الاسكندرية تعليم ارسطو فكان هو اول من اختار راي هذا الفيلسوف في هذا الباب واتبعهُ خلفاؤهُ الذين هم ارنوبيوس لاكبتانثيوس واوسابيوس سيناسيوس والقديس

الديا: علم يعز

لاسنينوس ولا زال الحال على هذا المنوال الى ان وقعت العداوة بين اليونانيين واللاتينيين ولاسيما اضطهادات لاون الايساوري قيصر القسطنطينية الذي تولى المملكة في سنة ٤٥٧ م للعلوم والعلماء ومن ثم اخذت الفلسفة الاكليسنيكية المذكورة في الخمود منذ القرن السادس للميلاد ولم يبقَ من مدارسها في المشرق الّا القليل جدًّا بل وجد في الاسكندرية معلم يقال لهُ فيلونوس يعلم فيها تعاليم ممتزجة من تعاليم افلاطون وارسطو الّا انهُ اخيرًا صار يعلم تعاليم فاسدة يسمونها تريشنياريا الى ان اندرست من تلك المدينة العلوم مع ما كان باقيًا فيها من اثار خزانة كتبها الشهيرة بواسطة الفتح الاسلامي الذي وقع في سنة ٦٤٠م

الفصل الرابع

في ما حدث بعد ذلك على سائر المكاتب والمدارس

وكما اندرست خزانة كتب الاسكندرية بواسطة الفتوحات العربية اندرست كذلك معالم المكاتب والمدارس التي كانت باقية في انطاكية وبيروت وقيسارية بمجرد رؤيتها الى اعلام المسلمين واما مكاتب دمشق فخربها يزيد بن عبد الملك الاموي وذلك في سنة ٧١٩م

وكانما البلاء قد احاق وقتئذٍ بكل مكاتب الامبراطورية الشرقية حتى في المدن التي لم يستولي عليها المسلمون اذ ان مكتب اوكتوغونة الذي كان احدثهُ الملك قسطنطين الاول في سنة ٣٢٠م وكانت تعارض فيهِ فلسفة

افلاطون بفلسفة ارسطو وتوغل فيهِ الفلاسفة بالاحكام الشرعية والقوانين الالزامية ثم وسع دائرتهُ القيصر ثاودوسيوس الثاني في سنة ٤٢٩م ولما تولى يوستنيانوس الاول في سنة ٥٢٧م سطعت انوارهُ على ظلمات الفقه الروماني حيث حل مشكلاتهِ وكشف القناع عن معضلاتهِ قد اوقد فيهِ لاون اللوزرياني حريقةً اكلت ما كان باقيًا فيهِ من الكتب بعد ذلك الخطب الذي كان اصابهُ في سنة ٤٧٦م فعدمت مكتبتهُ باجمعها وذلك في سنة ٧٣٠م

ولما كانت هذه الحوادث باجمعها قد وقعت بعد ان هدم الدين المسيحي قواعد الشرك واندرست اثارهُ وصارت الامبراطورية الشرقية في امنٍ وطمانينةٍ من هذا القبيل استراح امناء الدين المسيحي وصاروا لا يشتغلون الاَّ بمشاجرات واهية فترتب على ذلك انحطاط الاداب البشرية عن درجتها حيث صارت غير ضرورية في المدافعة عن الدين وانما حوفظ على بعض فروع لازمة كالتاريخ والفقه ولذلك لم يظهر بعدئذٍ من اشتهر بين احبار المسيحيين الاَّ القديس يوحنا الدمشقي في القرن الثامن وفي القرن التاسع ظهر في القسطنطينية فوتيوس بطريركها الشهير وانتيستيس ولاون التسالونيكي الذي لقب بالحكيم او بالفيلسوف واجتهد بان يرفع العلوم ويحييها لكن ظروف تلك الاوقات لم تساعدهُ على ما اراد وكذلك فيلوس وميخائيل الافسسي وفي القرن الحادي عشر ظهر ايضًا ميخائيل سيللوس الذي كتب مجموعات ارسطو ودرس جيدًا تعاليم افلاطون الى ان اشتهر بالفضل واوجب قسطنطين الملك ان ينعم عليهِ برتبة امير واخيرًا افتتح العثمانيون مدينة القسطنطينية في سنة ١٤٥٣م فاندرست بذلك معالم الامبراطورية الشرقية

اما الرومانيون فلا يخفى بانهم لم يخرجوا من حيز الخشونة الى التمدن الاَّ منذ افتتحوا بلاد اليونانيين وسادوا عليها ولم يبارحهم ظلام الجهل والغباوة الاَّ بواسطة اختلاطهم بهم ومع كل ذلك لم يبلغوا الى درجتهم لكونهم عند ما كانوا مشغولين بتلك الفتوحات العظيمة كانت نفوسهم تابي العلوم والمعارف لزعمهم

بانهُ لايمكنهم ان يحصلوا بواسطتها على ما يوملون ان ينالوهُ بواسطة الاسلحة ولذلك لم يكن في زمان قدماء الملوك الرومانيين من حاز على شيء منها واما في زمان القناسل الذين ابتدأت حكومتهم في اثناء القرن الخامس وانقرضت في اواسط الجيل الاول قبل الميلاد فكان يوجد بينهم قليلون اشتهروا بالبعض منها ولكن في زمان القياصرة وجد فيهم كثيرون ممن خدموا العلوم واستحقوا الانتماء اليها وكان ابتداء ذلك منذ تولى المملكة يوليوس اغسطوس قيصر الذي نقل الحكومة من المشيخة الى الامبراطورية في سنة ٥١ قبل الميلاد ومن ثم اخذوا في التمدن اذ ان هذا القيصر نفسهُ كان من اعظم الخطباء وابرع الكتبة ولهُ جملة مولفات نفيسة ولا زالوا يتقدمون في العلوم والمعارف الى ان انقرضت الامبراطورية المذكورة من تلك البلاد بهجوم البربر الذين مزقوا اقاليمها واقتسموها فيما بينهم

غير ان هولاء الذين اشرنا اليهم بانهم خدموا العلوم في تلك المدة كانوا غير متفقين في الاراء ايضًا فاسسوا جمعيات مختلفة اخذًا عن اليونانيين الذين كانوا قدوةً لهم في العلوم الفلسفية اذ منهم من انقاد الى التعاليم الاكاديمية وهم مكسيموس بروطو الاول ومكسيموس تارنتيوس وفارون ومانيوبيسو ومكسيموس وتوليوس وشيشرون

ومنهم من انتسب الى الجماعة الفيثاغورسية وهم كادينوس ونيجيديوس وفيكولوس

ومنهم من ذهب المذهب الاسطواني وهم شيبيون الافريقي وموتيوس ونسيقولا وكاتو الاونيشنسي وتوليئوانه اوس وسيناكور دوفينسي معلم تارون وابيكتاتوس الايرابولي المولود في فريجيا وكان جل تعليم فلسفتهِ محصورًا في قضيتين وهما احتمل وامتنع

ومنهم من اتبع اراء المشائين وهم تيرانو واندرونيكوس اللذين في عصرهما ظهرت كتب ارسطاليس صاحب هذه الطريق واستخرجت من المغارة التي

كانت مدفونة فيها تحت الارض كما سبقت الاشارة الى ذلك وكتب ثاوفراستو والكسندر الافروديتي الذي شرح كتب ارسطو وكان اول من علّم في رومية تعاليم المشائين بواسيو الذي كتب كتبهُ الخمسة الشهيرة في شرف الفلسفة

ومنهم من انتمي الى تعاليم ابيقور وهم لوكراسيوس الذي نظم هذا التعليم باللغة اللاتينية وبلينوس ولوكيانوس ولاارسيوس

ومنهم من اتبع قواعد افلاطون وهم تراسيللوس والشينوس وتوآروس بتريسيوس وابوليوس واينكوس ونوسينوس مكسيموس تيريوس بلوطرخس القرنثي الذي علم القيصر بن تريانو وادريانو

ومع ذلك لم تطل مدة هولاء الفلاسفة لسبب الحروب التي اثارها البربر والغارات التي اغاروها على المالك الرومانية واوقعت العلوم والفنون في خطرٍ عظيم لولا ان الدين المسيحي هو الذي تكفل بحفظ التمدن والمدافعة عنهُ مدةً انتهت بموت كرلوس الاكبر وهجوم النورمنديين على بلاد فرانسا في القرن التاسع من الميلاد ولذلك لم يظهر في تلك المدة من يستحق الذكر من الناس العظام الّا المعلم بيدا الملقب بالمحترم الذي كان في القرن الثامن وعرف سبب المدّ والجزر بطريق الحدس والتخمين الى ان برهن عليهِ اخيرًا المعلم اسحق نيوطون وسوف يأتي ذكرهُ في محلهِ

اما الحرَف والصنائع فكانت بخلاف ذلك اذ قد ذكر الفاضل العلامة خير الله افندي المورخ العثماني بانهُ صار لها وقتئذٍ نوع تقدم في فرانسا كايجاد الساعات ذات البندول وطواحين الهواء وبيت الابرة ودواليب الماء المتنوعة والمرايات ويظن ايضًا بان البارود اخترع في اوروبا في تلك المدة ايضًا

ومن ثم غرقت ممالك اوروبا التي كانت خاضعة الى القيصرية الرومانية في بحار الجهل باجمعها حتى انهُ في القرن العاشر من التاريخ المسيحي انعدمت الاثار الشهيرة من جميع الجهات ولم يبقَ اثر للمكاتب والمدارس وصار العلم غريبًا لا مأوى لهُ الّا الديورة والكنائس ولم يستفق اهل تلك البلاد من هذا

النوم العميق الأبعد ان حملهم جهلهم الفظيع لاثارة تلك الحروب المهولة الدموية الشهيرة بالصليبية التي ابتدأت في زمن فيلبس الاول بن هنري الاول ملك فرانسا سنة ١٠٩٦م بقصد استخلاص الاراضي المقدسة من تسلط المسلمين

الفصل الخامس

في التجاء العلوم الفلسفية الى الممالك العربية

لايخفى بانهُ بعد ان استقرت دولة العرب التي كانت هاجمت المملكة الشرقية في مبادي القرن السابع من التاريخ المسيحي ببغداد وانتشرت سطوتها في ما افتتحتهُ في اقاليم اسيا واوروبا وافريقية من البلاد شرع الخليفة هرون الرشيد العباسي وبعدهُ ابنهُ عبد الله المامون الذي تولى الخلافة سنة ٨١٣م في طلب العلوم الفلسفية اليونانية وكان المامون المشار اليهِ اشدَّ رغبةً من ابيهِ في ذلك اذ انهُ كان يكرم العلماء واصحاب المعارف ويجمعهم من كل جهة ليزين بهم دار سلطنتهِ ويعتني بكل جهدهِ في ترجمة كتب الفلاسفة اليونانيين الى اللغة العربية

وكان المترجمون الذين يعتمد عليهم في هذا الامر اربعة وهم حنين بن اسحق العبادي ويعقوب بن اسحق الكندي وثابت بن قرة الحراني وعلم بن فرجان الطبري فترجموا لهُ مولفات فيثاغورس وافلاطون وارسطاطيس وبقراط وجالينوس وغير ذلك من كتب الفلاسفة والاطباء فقط اذ لم يعبأ العرب بغيرها من المولفات التاريخية والشعرية

وكذلك فعل ايضاً عبد الرحمن الاخر الملقب بالناصر في بلاد الاندلس من اسبانيا فانهُ طلب من رومانس قيصر القسطنطينية رجلاً يعلم عبيداً لهُ ليكونوا مترجمين عندهُ فارسل اليهِ راهباً يسمى نقولا ثم لما ترجم افرس بن رشد الكردوفي كتاب ارسطاليس قُرئَ كذلك هذا الكتاب في مدارس كردوفا وفي افريقية بين المراكشيين وانصبوا على درسهِ وعدّوهُ قسماً من العلوم الرياضية لما فيهِ من الحكم والبراعة

ثم بعد ان انكب العرب على دراسة هذه الكتب ومطالعتها وبرعوا فيما حصلوهُ منها ظهر منهم اناس من ذوي النشاط التام لقبوا بفلاسفة المسلمين

واحد هولاء الفلاسفة هو يعقوب بن اسحق الكندي احد المترجمين الذين مرّ ذكرهم قال بعض المورخين ان دولة المعتصم كانت تتحلى بهِ وبمولفاتهِ وقال صاحب تذكرة الحكم بانهُ لم يشتهر غيرهُ بالفلسفة في الاسلام (ولعلهُ اراد بذلك العرب فقط)

وبعدهُ ظهر الفارابي ابو النصر محمد بن طرخان بن اوزلغ ويعدونهُ من اكابر فلاسفة المسلمين قال بعض المولفين انهُ لم يكن فيهم من بلغ رتبتهُ وهو تركي الاصل من مدينةٍ يقال لها فاراب وكان يقول بعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكونات وخصوصاً في النوع الانساني وهو الذي لخص كتاب ارسطو في كتابهِ المسمى بالثمانية في علم المنطق وعلّق عليهِ شروحاً واخترع القانون وهو الة للطرب توفي بدمشق سنة ٣٣٩ للهجرة (سنة ٩٥٠م)

وبعدهُ ظهر الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن سينا البخاري تخرج على الحكيم عبد الله الناتلي فاحكم على المنطق والطبيعيات والالهيات والطب ولهُ فيه مولفات عظيمة وكان يخالف الفارابي في قولهِ بعدم انقراض الانواع وردّ على ذلك برسالةٍ سماها حي بن يقظان توفي سنة ٤٢٨ للهجرة (سنة ١٠٣٦م)

ويحيى بن حبش بن اميرك الملقب بشهاب الدين السهروردي كان بارعاً في فن الشعبذة ولهُ فيها نكات غريبة وكان يعتقد ازلية العالم ولهُ رسالة

معروفة بالغربة الغربية اشار بها الى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء كرسالة الطير للفارابي وحي بن يقظان لابن سينا المذكور بن قتل في سنة ٥٨٧ للهجرة (سنة ١١٩١م)

وكان ايضاً للعرب عدد ليس بقليل من المكاتب والمدارس التي اندرست اخيراً باندراس دولهم من المشرق والمغرب وكانوا قد انشأوها في بغداد وغيرها من بلاد اسيا وفي بلاد اسبانيا والقيروان تفرغوا فيها للعلوم الهندسية والفلكية والطبية والكيمياء والنباتات وعلم المنطق وما وراء الطبيعيات

وقد اشتهرت هذه المكاتب والمدارس وقتئذٍ شهرة عظيمة حتى ان من اشتهر في المعارف من جميع الامم مدة القرن الثاني عشر والثالث عشر من التاريخ المسيحي كان في الغالب قد تعلم عن العرب بل لم تعرف الناس فلسفة ارسطاليس مدة القرون الوسطى التي نهايتها القرن الخامس عشر من الميلاد الاّ بواسطة معرفة تراجم مولفاته باللغة العربية حيث كان مترجموها معتبرين وقتئذٍ كانهم اعظم مرشدٍ وانجب دليل في معرفة مذهبهِ

الفصل السادس

في اتصال مولفات ارسطو باهل اوروبا عن العرب وظهور الفلسفة السكولاستيكية اي المدرسية

ثمّ لما جاءت عساكر الصليبيين من بلاد اوروبا بقصد استخلاص الاراضي المقدسة على ما سبقت الاشارة اليهِ مرّوا في غزواتهم هذه وسيرهم جهة اورشليم باراضٍ نضرة لحسن زراعتها اكثر من اراضيهم وبدول متمدنة اكثر

من تمدن دولهم ووجدوا في اسيا اثار تلك العلوم والفنون التي كان اسسها الخلفاء العباسيون على ما ذكرنا وخاصةً بعد ان استولت هذه الامة الحربية على مدينة القسطنطينية في اثناء تلك الغزوات ايضًا وشاهد القوم ما فيها من حالة التمدن وحسن التربية القديمة والتجارات والصنائع وما شاكل ذلك من الامور التي ادهشتهم حيث لم يكن وقتئذٍ في بلادهم شيء منها فكان لايمكنهم ان يجوبوا هذه البلاد بدون ان يكتسبوا من علومها ومعارفها شيئًا جديدًا تستصحبهُ معها عساكرهم التي تستبدل عند عودتها الى بلادها ولذلك لم تمضِ برهة من الزمان بعد تلك المحاربة الّا وظهرت التحسينات في دواوين امراء اوروبا وملوكها واخذت العلوم في الانتشار شيئًا فشيئًا في بلادهم

ولما بحثوا عن مولفات ارسطو وغيرها لينقلوها الى لغاتهم كانت اللغة العربية هي بمفردها التي يمكنها ان تجود عليهم بذلك نظرًا لاختلاطهم وقتئذٍ باهلها وجهلهم اللغة اليونانية غير ان تلك التراجم العربية التي اخذوا عنها كان قد داخلها الفساد من وجهين على ما قالهُ كثيرون من مؤرّخيهم الاول من مترجمي تلك الكتب الاصليين كيعقوب بن اسحق الكندي وغيرهِ بسبب عدم اتقانهم اللغة اليونانية التي كانت وقتئذٍ مهجورة من بلادهم ولذلك لم يعلموا حقيقة مقاصد هذا الفيلسوف في بعض قضايا فاوردوها بمقتضى ما اوصلهم اليهِ اجتهادهم والوجه الثاني من ابن سينا الذي كان يحذف اشياء كثيرة من اصل النصول ويضع عوضها غيرها من اختراعاتهِ وتخيلاتهِ

ثم بعد ان استخرج اهالي اوروبا كتب هذا الفيلسوف الى اللغة اللاتينية على هذا الوجه الفاسد أُستعملت للتعليم في مدارس آكسونه سو وباريس وغيرهما من مدن اوروبا التي كان انشاها قبلاً كرلوس الاكبر الذي بموتهِ طفئت انوار العلوم من اوروبا على ما ذكرنا وطالت مدة استعمالها نحو (٥٠٠) سنةٍ هجرت فيها تعاليم افلاطون من المدارس المسيحية وتصدرت عوضها تعاليم ارسطو هذه بما هي عليهِ من الفساد وكان يشرحها لهم في خلال تلك المدة الطويلة المعلم

يوحنا سكوطوس وروبرتوس البلونياني وسيمون دولبمنيسو وارموندوس اسقف كانتوارى انسه والمعلم اوغوس وغيرهم ويحسبونها كقاعدةٍ دينية لاتجب مضادتها الى ان تغلبت الدولة العثمانية على مدينة القسطنطينية حسبما ذكرنا في ما سلف وجلت من كان باقيًا فيها من ارباب المعارف فتوجهوا بكتبهم الى ايطاليا وغيرها من مدن اوروبا وافاليها واستوطنوا هناك ومن ثم استخرجوا نسخ فلسفة ارسطو التي كانوا استصحبوها معهم الى اللغة اللاتينية على وجهٍ مدقق وحينئذٍ تصححت تلك النسخ المنقولة عن الترجمة الاولى المستخرجة عن الاصل العربي على ما تقدم

فاخذ حينئذٍ المجتهدون منهم في شرح هذه الترجمة الجديدة وكان ممن تفوق بذلك على غيره ثيودورس كازا ويوحنا الارجيرو بولي وبيزانيتوس الذي كان اول من علم في مدارس رومية تعاليم المشائين اليونانية التي تقررت لها السيادة على غيرها ولئن كان جناديوس خليفة غريغوريوس الدرابزوني من اعظم الحامين للفلسفة الافلاطونية واجتهد معهُ كثيرون في ان يرجعوا هذه الفلسفة كان منهم جه مينسوس وبليوس ونيساريون الدرابزوني الذي صار كردينالاً ومرسيليوس فيسنينوس الذي استخرج فلسفة افلاطون الى اللغة اللاتينية ويوحنا بيكوس امير ميراندولا وقونتة كونكورديا الملقب ببلبل عصرهِ غير ان فلسفة ارسطو قد وجد لها محامون اشد باسًا وتلقبت حينئذٍ بالفلسفة السكولاستيكية يعني المدرسية فمن ثم اوجبت الحدة الفائقة الحد التي كانت تحصل في المجادلات والمحاورات بين تلاميذ هذه المدرسة مع بعضهم انقسامها الى طوائف مختلفة كما جرى نظير ذلك في الفلاسفة القدماء وكان انقسامها في اول الامر الى قسمين وهما

الاول الاسميين وهم الذين ذهبوا بان الاشياء كافة سواءٌ كانت اجناسًا او انواعًا لاتوجد الاّ في الاسماء ولهذا كان المنطق حسب ارائهم آلة لاتبحث الاّ في الالفاظ فقط وكان رئيسهم دوشِلوس الانكليزي غير ان هذا التعليم لم يدم في

اياموزمانًا طويلاً فجدده المعلم غوليلموس اوكانوس المدرس بمدينة اكسونيا نسه الذي تلقب باللاّينغلب وتبعهُ فيه ريكاردوس سويست وغريغوريوس الارمني وجبرائيل بيال وبطرس الالايكوس احد الكردينالية ويوحنا جرنسون كارشيلاريوس من باريس

والثاني الذاتيين وهم الذين يرون بان جميع الاشياء توجد في نفس الامر ولها صورة حقيقة ما بين الموجودات الشيمية وكان المبتدي في هذا التعليم المعلم نوه سيوس غير انه لم تكن له فرصة لتأييده فلما ظهر المعلم ادواردوس الذي صار اسقفًا على كامه رتشي في القرن الثاني عشر للميلاد احيا هذا العلم وخلفهُ فيه المعلم لامباردوس اسقف باريس لكونه نظم اراء اباء الكنيسة القدماء وشرحها المعلم اليكسندروس الاليسوسي الملقب بالعالم الذي لايمنع ومنبع الحموة وكان ممن تبع هذا التعليم ايضًا المعلم البرتوس الكبير الذي من تلامذته القديسان توما الاكوينيسي وبونا فنتورا

فانشا توما الاكوينيسي المذكور مدرسة تسمت بالمدرسة التوماوية او الاكوينسية نسبةً اليه ثم انشا رجل اخر يقال له يوحنا رونس سكوتوس وهو من الذين اتبعوا هذا التعليم ايضًا وتلقب بالعالم الدقيق مدرسة اخرى مخالفة للتعليم التوماوي المذكور فنسبت اليه ودعيت السكوتيسية ودام هاتان المدرستان مدةً يسيرة الى ان ظهر البعض من العلماء ورفضوا تعاليمهما واتخذوا بعض قواعد من اخص تعاليم ارسطو وشرحوا في تعليم مخالف لذينك التعليمين

وكان هناك رجل من ملاك ايطاليا يقال له .. رس وكان حاذقًا ومحاميًا حسنًا لتعاليم ارسطو غير انه كان كافرًا فبذر في تعاليمه انكار وجود الالوهية واتبعه جماعة منهم اونه ..وس وسبينه .. فكانا نظيره ايضًا بعلمان تعاليم مكروهة جدًّا مضادة لحقوق الطبيعة

فعلى هذا المنوال كان استعمال تعاليم ارسطو هيجان عظيم في المدارس حتى كادت الفلسفة باجمعها تسقط في وهاد العدم ولم .. باسليمًا سوى صناعة

الجدال في الاشياء العقلية المجردة وكانت هذه الصناعة مما يضعف الفلسفة ويقربها الى الملاشاة لو لم يظهر بعد ذلك في اقاليم اوروبا كثيرون من المولفين الفوا مولفات كثيرة في ازمنة مختلفة وبواسطة مولفاتهم هذه التي احتوت على الاختراعات الجديدة في الاشياء الطبيعية انهضوا الفلسفة واسعفوها وساعدتهم في ذلك عناية الملوك العظام الى ان رفعوا منار الفلسفة الى هذه الدرجة العالية التي هي عليها الآن بالتدريج كما يستبين ذلك مما ياتي في البحث الثالث من المقالة الثانية

الفصل السابع

في ظهور الفلسفة الجديدة

كان رجل من الاشراف يقال له ارمينودوس لولبوس ولد في سنة ١٢٣٥ للميلاد وبعد ان شب وتخرج في العلوم الف خمسة كتب في علم المنطق الجديد المدعو الصناعة الكبرى ثم لما اختصرت كتبه هذه سمي حينئذ الصناعة الصغرى وقد قبلت من البعض لكن الاكثرون لم يقبلوها غير انه اكتسب بذلك فخر اول المخترعين واشترك معه في هذا الفخر رجل اخر من بلاد ايطاليا يسمى لاوريسنوس فالا لكونه كان شديد المضادة لارسطو

ثم ظهر في سنة ١٥٨٧ م رجل اخر يقال له برنردينوس تالاسيوس كونسنتينوس من مدينة كالابريا الف تسعة كتب في الاشياء الطبيعية بالنظر الى مباديها الخاصة وشرع في محاربة المشائين مع كثرة عددهم واخيرًا اقام الاكاديمية الشهيرة بمدينة نابولي

وفي هذا الزمان عينهِ اشتهر بين العلماء بطرس ارموس المولود في سنة ١٥١٥ وكان معلم الفصاحة الهندسية بمدينة باريس ومضادًا لجميع الفلاسفة الاقدمين حتى ان شيشرون ايضًا لم ينجُ من لسانهِ فاستطاع بواسطة اجتهادهِ ان يبطل تعاليم ارسطو من المدارس ويبدلها بتعاليمهِ التي الف فيها ثلاثة كتب الاول في الجادلات المنطقية وهذا هو المنطق الجديد والثاني يحتوي على تنقيحات ضد تعليم ارسطو والثالث في علم المجرد الذي بعد قليل من الزمان أُقصي بامر الملك من بلاد فرانسا وتسمت اخيرًا اصحابهُ اريمستي

وربما عدّ من هذه الجماعة توما او باسيوس ابيقور العصر الجديد المولود في مدينة ماليبوري من بلاد الانكليز في سنة ١٥٨٨ م اذ انهُ جمع مبادي الفلسفة ما عدا المنطق في ثلاثة كتب الاول يبحث عن علم الجسم والثاني يبحث في الانسان من حيث هو انسان والثالث في الشرائع ويظهر من كتبهِ هذه انكارهُ على الالوهية ومبادي الظلم والقهر في الملوك المتعدين المغتصبين

ثم تبع هذا المعلم رجل يقال لهُ اريمو برنردوس مولود في إلفاسيا سنة ١٤٩٣ م وتوطن اخيرًا مدينة ساليسبورغ الى ان مات سنة ١٥٤١ ولمحبتهِ في تجديد العلوم الف كتابًا مختلطًا بالفلسفة واللاهوت تخرج عليهِ جماعة منهم مَن تصدر على مدرستهِ

ثم ظهر في بلاد الانكليز رجل يقال لهُ فرنشيسكو باكوس من مدينة فادولاميو وكان قنصلير المملكة ويرغب في تجديد العلوم فالف مجموعًا في الفلسفة واشهرهُ في سنة ١٦٢٠ م ضمنهُ تعاليم متنوعة تخالف تعاليم ذلك العصر كل الخلاف عاكس بها منطق المشائين وتحديداتهم في علم الطبيعيات ولكونهِ كان ذا مقام ولهُ شهرة في العلوم تمسك علماء ذلك العصر بفلسفتهِ ومنهم المعلم بلاسيوس بسكاليس في فرانسا والمعلم غليلي وتلميذهُ تروشيللي في ايطاليا والمعلم اوطوكوبريكوس في جرمانيا والمعلم روبرنستون بوابلموس في انكلترة وغيرهم من العلماء المشهورين الذين اتبعوا فلسفتهُ وخاصةً في علم الطبيعيات وحصلوا

بذلك على اثمار جزيلة جنوها بكدهم وجهدهم

ومن هنا اخذت مهابة ارسطو ان تند في في المدارس واكتسبت الفلسفة صورةً جديدة اعاق نموها ما كان يفعجا لاَ من التغييرات فيها اذ انهُ كان عند ما تحدث صورة من تلك الصور يجتهد مقلدوها في وضع شروح يعلقونها عليها لا لاجل تحصيل الحقيقة بل لاجل المحاماة عن راي معلمهم

ومن هذه الجماعات الموصوفة بالفلاسفة الحديثين طائفة تلقبت عندهم بالكاسيندية نسبةً الى كاسيند وخوري بيسكوبوس كنيسة دانينسيس في بلاد فرانسا ومعلم الماتيماتيك في اكاديمية باريس المولود سنة ١٥٩٢ م اخذ مبادي ابيقور وتعليمهُ في الهيولى فقط ولم يتبعهُ في ما يناقض الدين وعدَّل في الاشياء الطبيعية تعديلاً ليس بيسير واتبعهُ جماعة كثيرة العدد

وكان من هذه الجماعة رجل يقال لهُ كارتسيوس مولود في مدينة اكرطورنو سنة ١٥٩٦ م انشا جمعية جديدة دعيت كارتسيانية نسبةً لهُ اجتهد في تحصيل العلوم وانعكف في هولاندا على التاملات الفلسفية واخترع التجريبات والفحص في مفعولات الطبيعة وردها جميعها الى القياس والوزن على موجب القوانين الهندسية مدة خمس وعشرين سنة وسلم هذه المدرسة نوعًا جديدًا واسلوبًا مخالفًا جدًا لما كان قبلاً وللحين قبل الاكثرون تعاليمهُ بكل رغبة فسرت في جميع بلاد الفلمنك وفرانسا وانكلترة وغالب جرمانيا وتخرج عليها كثيرون من المشهورين بالعقل والحذق وبعضهم اشتغلوا بتوضيح قواعد معلمهم والبعض باختصارها ومنهم من ابقاها على ما هي عليهِ او زاد عليها ومن هولاء الاخيرين كان رجل يقال لهُ مالبرانشيو فاق الحدود في رايهِ الخصوصي الذي بناهُ على مبادي كارتسيوس المذكور نظرًا الى الصور العقلية حتى صار قريبًا من الوسواس

وهناك ايضا رجل من اليهود مولود في مدينة امستردام من بلاد الفلمنك في سنة ١٦٣٢ م ثم اقتبل الديانة المسيحية وتسمى بناديكتوس سبينوسا غير انهُ

انكر اخيراً وجود الالوهية واشهر مبادي فلسفة كارتِه سيوس المذكور مبرهنة بنوعٍ هندسي وكان يعلم الشرائع على هذه الطريقة وألف تعليمًا سماه اللاهوت المدني (اي انه جعله في حوزة التدبير المدني) ومولفات اخر استعمل بها مبادي هذا الفيلسوف على وجهٍ يثبت عقيدته في انكار الالوهية وشهد على نفسهِ بانه تلميذ اوبه سيوس الخاص (وقد مرَّ ذكرهُ)

لكن لم تطل مدة هذه الفلسفة الكارتسيانية المذكورة حيث وجد لها معاند قوي وهو المعلم اسحق نيوطون الشهير المولود في انكلتره سنة ١٦٤٢م وبهِ تسمت الجماعة النيوطونية فاخذ هذا المعلم في نوعٍ من الفلسفة مخالف بالكلية الى فلسفة كارته سيوس اذ ان كارته سيوس كان يزعم بانه لايجوز الفحص عن المفاعيل الطبيعية ما لم تعرف العلل قبل ذلك واما المعلم نيوطون فكان يرى بانه يجب الترقي الى معرفة العلل من المعلولات والمفعولات الطبيعية وانه لايجوز للفيلسوف على وجه الاطلاق ان يعين العلة ما لم يقدر ان يبرهن عن حقيقتها اما بالبرهان العقلي واما بالاختبار الحسي ومن ثم سقطت تخيلات كارته سيوس المذكور بالكلية بواسطة هذا المبدا الذي وضعهُ نيوطون وقبلهُ جميع العلماء الافاضل مع الانواع والاساليب التي عينها في مبادي الهندسة والعلوم النظرية حتى يمكن ان يقال بانه لايوجد والحالة هذه فيلسوف لا يعتبر مبادي هذا الرجل العظيم وتعاليمهُ ولا يمكن احصاء افاضل الرجال الذين برعوا فيها سواء كان ذلك في علم التجربة الحسية اوعلم المساحة والجبر ومبادي الهندسة الفلسفية وغير ذلك مما شرحوهُ واوضحوهُ بكل دقةٍ في مولفاتهم العظيمة

وفي هذا العصر الذي بهِ كانت تفتخر انكلترة في نيوطونها المذكور افتخرت كذلك جرمانيا ايضًا بكونوفيردوس غوايلموس لبنيسيوس العالم الشهير المولود في مدينة له بيسيا في سنة ١٦٤٦م الذي طرح جملة مبادي من الفلسفة السكولاستيكية التي مرَّ ذكرها قبلاً وعدَّل واصلح في كثير من قواعدها واوضح بذلك ما كان مغلقًا عليهِ من تلك الصور المختلطة وميزهُ جليًا وازال ما كان

فيها من الالفاظ اللاغية التي لا معنى لها واستعان على ذلك بالاسلوب الهندسي واوضح ما اخترعهُ من هذه القواعد في مولفاته التي منها كتابهُ المسمى ثاود كسيا ومولف اخر في الطبيعيات الجديدة التي البس بها هذه الفلسفة رداء لامعًا اشرقت بهِ اشراقًا ليس باليسير وخاصةً فيما يتعلق بالمنطق والعلوم الطبيعية الّا انهُ قد سمح في القياسات المجردة باكثر من اللازم ولذلك لم يخلُ من السقوط في اراء مخالفة للقياس وفاسدة وقد تخرج عليهِ كثيرون في بلاد جرمانيا تولدت منهم الطائفة الليبنسيانية نسبةً لهُ وهي مشهورة خاصةً في العلوم الطبيعية ومن هذه الطائفة ظهر المعلم بولفيو الذي اشتهر بكثرة التآليف التي جمع فيها كل اقسام الفلسفة والهندسة العامة وانقاد اليهِ كثيرون ممن اقتفوا تعاليم ليبنسيوس المذكور في المنطق والطبيعيات ومنها ايضًا جاورجيوس والتس الذي اقتفى اساليب تعاليم ليبنسيوس وبولفيو المذكورين في مبادي العلوم الطبيعية المطبوعة في ويانه سنة ١٧٥٢م وزاد على تعاليمها بجودة قريحتهِ

وهناك قوم اخرون قد اختاروا منذ تجديد العلوم في اوروبا راي الاكلينيكيين الذين سبقت الاشارة اليهم بعدم الانتماء الى معلم مخصوص بل رغبوا في اخذ كل ما دلَّت عليهِ الفطنة بانهُ صواب موافق للحق من تعاليم اي فيلسوفٍ كان ولذلك كانوا يخدمون الفلسفة اما بدرسٍ خاص واما بدرسٍ مشترك مع اخرين ولا يمكن حصرهم لكثرة عددهم ومنهم كبرنيق ونيكونيم اللذان اشهرا بان الارض هي التي تدور لا الشمس اما كبرنيق فكان يرى بان الارض هي التي تدور والشمس ثابتة مستقرة على الاطلاق واما نيكونيم فابقى الشمس على دورانها وحل الاعتراضات التي تناقض هذا الراي من اختلاف سير الكواكب المتحيرة ثم بعد هذين ظهر ايضًا عدة اشتهروا في التعاليم التي وضعوها نظرًا للحركة والكواكب السيارة وحركة الماء والاشكال ومنهم اوطونوبركيو ويقال لهُ ايضًا اوتود يغريك الذي اخترع الالة المفرغة للهواء في سنة ١٦٤٥م وسكه نه ريو الذي كان اول من اكتشف النقطة السوداء التي تظهر في الشمس

كل سبعة وعشرين يوماً فزعم بعض الفلكيين بانها كرة قريبة من الشمس تحجب نورها عنا فلا تنعكس الينا اشعتها من تلك النقطة الأبهذا اللون المعتم وقال اخرون انهُ من اصل قرص الشمس التي هي بقدر جرم الارض ١٣٢١ الف مرة وينعكس الينا من الاماكن المحروقة منها وليس من الامكنة التي فيها معظم اضطرام لهيبها ويستشهدون على ذلك بظهور هذا اللون مدة تلك الايام المذكورة واختفائهِ بقدرها ايضاً ومنهم ريشيولو الذي فاق غيرهُ في العلوم الفلكية وفرنشيسكو مولف الكتاب المسمى بعلم الطبيعة والصناعة

والى هنا ينتهي بنا الغوص في هذا البحر الذي لم يبقَ لهُ والحالة هذه قرار نظراً لانتشار انواع العلوم وكثرة العلماء الذين لا يحصى لهم مقدار وخاصةً المشتغلين في الاشياء الطبيعية والبحث عما اودعهُ فيها من المنافع القدرة الالهية وحسبنا في ذلك ما حصلوا عليهِ في هذا القرن المشعشع بالانوار من فوائد الضوء والكهرباء والبخار ونقتصر على هذا الحد اكتفاءً بما نختم بهِ كلامنا في هذه المقالة من بسط تواريخ اخص الفوائد الحاصلة من اجتهاد الفلاسفة المذكورين للجنس البشري على مقتضى ما وقفنا عليهِ في بعض الكتب والتواريخ التي طالعناها بقدر الامكان

الفصل الثامن

في تواريخ اخص الفوائد الحاصلة من هذا الاجتهاد

لا يخفى بان الكتب السماوية المقدسة تخبرنا عن عدد مهم من عظائم الصناعات البشرية بانهُ كان موجوداً في العالم القديم قبل الطوفان العام غير

انها لا تمكننا من معرفة زمن ظهور كل منها في اية سنة كان بعد خلقة آدم ابي البشر بالتدقيق وانما نعلم فقط بانها وجدت في ذلك العصر اعني منذ خلق الله الانسان اول الى زمن الطوفان المذكور ولذلك نوردها هنا بالتتابع على نسق الاصل المنقولة عنهُ وهي

(١) ترتيب ايام الاسبوع وتكريس اليوم السابع للراحة بامر الله
(٢) خياطة الاثواب وسـ ـها بوحي من الله
(٣) عمل الانسان في ا . . . . ل من ابتدا به كان قايين بن آدم
(٤) رعاية المواشي واوز . . . . . ما كان هابيل بن ادم ايضًا
(٥) تقديم القرابين لله . . . . . ـرتبه بسبهما ما قدمهُ ولدا ادم المذكوران
(٦) قتل النفس عمدًا . . . . من ابتدا به كان قايين المذكور
(٧) بناء المدائن واول ما ذكر منهُ المدينة التي بناها حنوك بن قايين
(٨) سكنى الخيام اول ما ذكر في الكتاب عن يابال من سلالة حنوك المذكور
(٩) ايجاد العود والمزمار لتوبال اخي يابال المذكور
(١٠) ايجاد الات النحاس والحديد لرجل يقال لهُ توبال قايين من ولد حنوك ايضًا
(١١) صناعة النجارة وانشاء السفن اول ما ذكر من ذلك السفينة التي عملها نوح للوقاية من الطوفان الذي كان حدوثهُ سنة ٢٣٤٩ قبل الميلاد

وكذلك في العالم الجديد بعد الطوفان وجد ايضًا كثير من الاختراعات والاكتشافات التي وان ذكر المؤلفون العصر الذي عُرفت فيهِ فما ذاك الا باعتبار اول ذكرٍ ورد لها في التواريخ المكتتبة حيث لم يجدوا لها ذكرًا في ما كان مؤلفًا من الكتب قبل ذلك التاريخ ولذلك كان لا يمكن ان تُعرَف عين السنة التي ظهرت فيها بل واذا عُرفت ايضًا قد لا تمكن معرفة واسطة الايجاد ولا اسم الموجد فضلاً عن كونهِ لا يمكن الحكم القطعي على اي اكتشاف كان من

الامور التي عُرفت اخيرًا في بعض المحلات سواء كانت قريبةً منا ام معروفة لنا بانهُ حادث على وجه الارض وليس لهُ اسبقية في زمنٍ مجهول او مكان آخر لانعرفهُ وحسبنا دليلاً على ذلك ما يقال عن كثير من الاختراعات التي نعتبرها حادثةً في اوروبا منذ ازمنة قريبة كالبارود والورق وبيت الابرة وغير ذلك بانهُ كان معروفًا لاهل الصين قبل ذلك بمداتٍ طويلة ثم من اين نتحقق ايضًا بان معرفة هذه الاشياء لم تتصل باهل الصين من محل آخر لا نعرفهُ وجدت فيهِ في عصرٍ نجهلهُ. اذ ان كثيرًا من الصناعات التي كانت في الدنيا القديمة اعني نصف كرة الارض المعروف قديمًا بالنسبة الينا قد وجد ايضًا في الدنيا التي عرفناها من عهدٍ قريب اعني نصف كرة الارض المسمى باميركا فانهُ يقال بان اهالي مكسيكو كانوا يعرفون صناعة صياغة الذهب فيصطنعون منهُ الحلى والزينة فضلاً عن صنع المنحوتات وغيرها سواء كان ذلك حطيطًا في نوعهِ ام دنيًّا في صناعتهِ بالنظر لما يوجد نظيرهُ عندنا او بالعكس وليس ذلك فقط بل انهم زاحموا ايضًا قدماء المصريين على مجد بناء الاهرام العظيمة حيث قد وجد عندهم اهرام عجيبة تشاكلها في الرسم والبناء هذا ويعتقد المتاخرون ايضًا بان اول اكتشاف الحديد كان في سنة ١٤٠٠ قبل المسيح عندما احترق جبل ايدا في جزيرة اكريت على ان موسى النبي الذي وجد في اوّل القرن الخامس عشر قبل المسيح اعني قبل احتراق الجبل المذكور بنحو قرن كامل قد كتب في سفر التكوين بان رجلاً من ولد قايين يقال لهُ توبال كان ابًا لصانعي النحاس والحديد ومن المعلوم ان هذا الرجل هو من اهل العالم القديم الذي كان قبل حدوث الطوفان

ثم ان ما سوف نوردهُ في هذا الجدول الآتي من الايجادات والاختراعات التي هي قبل التاريخ المسيحي لا يمكننا ان نذكر تواريخهُ الَّا اتباعًا للاصطلاح المعوّل عليهِ عند الاكثرين الآن اي ان ميلاد المسيح كان بعد خلق آدم باربعة الاف واربع سنوات لسببين الاوّل مجاراةً للمورخين الذين اخذنا اكثر ما هو

مورد هناك برمته عنهم والثاني لتكون سلسلة التاريخ جاريةً على نسقٍ واحد حالة كونه لايخفى على احد عدم الاتفاق على صحة ذلك التاريخ ليس من جمهور كبير من المورخين فقط بل ومن ذات المسيحيين انفسهم ايضاً اذ ان البعض منهم يعتبرونهُ هذا الاعتبار عينهُ اي انهُ كان بعد خلق ادم باربعة الاف واربع سنوات على ما ذكرنا والبعض يعتبرونهُ اكثر من ذلك اي انهُ بعد خلق ادم بخمسة الاف وخمساية وثمان سنين وكل من الفريقين يستند في حسابهِ الى مجموع انساب للاباء الذين منهم انتسل نوح وابرهيم وهلمَّ جرًّا الى المسيح على ان الفرق ناشيٌ من اغفال البعض من اولئك الاباء ذكروا في بعض محلات ولم يذكروا في غيرها كما نراهُ واضحًا بين التوراة السبعينية والعبرانية وما ادرانا بانهُ لم يهمل ذكر كثيرين غيرهم ايضًا في كلتيهما كما أُهمل قينان المذكور في سلسلة نسب المسيح الموردة في العهد الجديد ولم تذكراهُ في سفر التكوين ولا غرابة في هذا اذ انهُ لم يكن قصد موسى النبي ولا غيرهُ من كتبة الوحي ضبط تاريخٍ عمومي للخليقة محددون فيهِ الازمنة تحديدًا مدققًا منذ خلق ادم الى الاعصر التي وجدوا هم فيها انما قصدهم الوحيد هو مجرد الاتصال الى ظهور الشعب الاسرائيلي من تلك الانساب التي ذكروها ومجيء المسيح من نسلهِ ايضًا ولذلك كان لايعتمد كل الاعتماد على صحة كل تواريخ تلك الايجادات والاختراعات المدرجة في المدة التي اشرنا اليها وانما ذكرها هنا كيلا نخسر فائدة الصحيح منها بعلة الضعيف فيها

ومن ثم كان ما ينبغي ان يعوّل عليهِ في ملاحظة مثل هذه التواريخ هو اولاً انهُ لما كان اوّل ما يفطن بهِ البشر من جميع العلوم هو الاصول النظرية اي التي تكون ادلتها عقلية فقد كان الناس يتكلمون في الاعصر الاول عن الامور الطبيعية باوهامهم وينسبون الحوادث لما جعلوهُ الهة كاله الحسن واله العقل فكانهم اعتبروا العالم كجسمٍ آلي لهُ وظائف

ثانيًا ان اوّل من دوّن العلم الطبيعي هم قدماء المصريين الّا انهم جعلوا

اجتهاداتهم في المشاهدات الفلكية فانقنوا عن غيرهم تقسيم السنة الى اشهرٍ يعود كل منها في زمنٍ وفصلٍ لا يتغير وتقدموا في علم الهندسة وبنوع اخص المساحة حيث ان فيضان ماء النيل يتسبب عنهُ اختلاط الحقول والمزارع في كل سنة ولذلك التزموا ان يبذلوا جهدهم الى ان صاروا يمسحون الارض مساحةً صحيحة ويقيسون زيادة ماء النيل ويعرفون مقدارها وكانوا قد تلقنوا هذين العلمين من رجل يقال لهُ انوبيس الذي تعلموا منهُ ايضا معرفة سير الكواكب باستعمال الالات الهندسية الى ان صارت الجغرافية وعلم النجوم مقصدهم الاعظم وكان هناك رجل اخر غيرهُ يسمى اوزريس اخترع الة الحراثة فلذلك نظموا هذين العالمين في سلك الالهة كما هي العادة عند اهالي تلك الاعصر في تأليه كل من اخترع امرًا غريبًا بالنسبة الى معارفهم كما يتضح ذلك من البحث الرابع من المقالة الثانية من هذا الكتاب ويدعون ايضًا بانهم هم اوّل من استعمل الحديد والنار عندما كان ذلك مجهولاً لغيرهم واخترعوا الخبز للطعام وعمل البحيرات وصبغ الزجاج وتلوينهُ بالوانٍ مختلفة كلون الزمرد والعقيق وغير ذلك ويزاحمون الفينيقيين ايضًا على مجد اختراع حروف الكتابة وربما تسوغ لهم هذه الدعوى بالنظر الى استعمال الرموز والاشارات الموضوعة منهم للدلالة على معانٍ مخصوصة (الامر الذي على ظني ساعد كثيرًا في اتخاذ عبادة الاوثان سواءٌ كان ذلك ابتدي بهِ عندهم او عند غيرهم قبلهم) وليست بالصورة المستعملة الآن اذ ان هذه المأثرة العظمى واختراع عمل الزجاج واللون الاحمر وانتخاب النجمة الشمالية المدعوة بالمسمار لدلالة النوتية في سير البحار قبل ظهور بيت الابرة المعروف بالحك جميع ذلك على الاصح من اختراعات الفينيقيين في ذلك الزمن المجهول التاريخ كما ان اختراع المزاول لاتقان رصد الكواكب هو من اختراع الكلدانيين الذين اداهم تعمقهم في العلوم الفلكية الى ترك عبادة الله والسجود للاجرام السماوية فكانوا بذلك اوّل من ابتدع العبادة المجوسية التي سوف يأتي الكلام عليها في القسم الرابع الذي مرّ ذكرهُ ثم زعموا ايضًا معرفة

الحوادث المستقبلة من رصد الكواكب المذكورة فاستحالت جميع علومهم الى الخرافات كتآليف باطلة عن المزمعات وتفسير الاحلام والسحر وعنهم سرت هذه الاباطيل الى سائر الشعوب والقبائل وافسدت علومهم وانتفت معارفهم الى ان ظهرت الفلاسفة من اليونانيين الذين صرفوا اموالاً لا تحصى وكابدوا اتعاباً لا تستقصى في ذهابهم الى المعابد الهندية والمصرية حتى دخلوها وتعلموا العلوم التي كان يتعلمها روساء الديانات ويعلمونها فيها ثم رحلوا بعد ذلك الى اوطانهم الاصلية ببلاد اوروبا ونشروها هناك على ما سبقت تفاصيله في ما مرَّ ومن ثم اخذت العلوم في الارتقاء الى ان وصلت واحالة هذه الى اعلى الدرجات كما سوف يتضح ايضاً في القسم الثالث من المقالة الثانية وها ك جدول التواريخ الذي وعدنا بهِ في ما مرّ ما ذكرناهُ تاركين العهدة في ما كان منهُ محلاً للارتياب على من رواه

سنة ق م	
٣٣٤٧	الاذن الالهي للبشر باكل لحوم الحيوانات
٣٣٤١	عصر العنب وانتباذهُ
٣٣٠٤	ايجاد سكة الفلاحة والمنجل
٢٢٣٤	اصطناع الطوب لبرج بابل
٢٢٠٤	غرس الزيتون وغيرهِ. ايجاد الدقيق. ونحو هذا الزمان ظهرت عبادة الكواكب بين المجوس وغيرهم من العالم الجديد
٢١٥٤	اصطناع الخبز والغزل والحياكة
٢١٣٠	ظهور المعلم بيلوس الفلكي الذي الف للكلدانيين ادق قسم في علم الفلك فوضعوهُ في صف الالهة
٢١٠٤	الخياطة والتطريز واللون الاحمر
٢٠٥٩	مبدأ ظهور عبادة الاوثان عند الصابئين
٢٠٢٤	ايجاد المعادن

سنة	ق م
٢٠١٩	صناعة النحاس
١٩٢١	دعوة ابرهيم الخليل من اور الكلدانيين لعبد الله في ارض كنعان
٢٠٠٤	حل المعادن وتذويبها
١٩٥٤	صبغ المعادن وتلوينها
١٩٠٤	ايجاد السيوف والحراب
	ولعلهُ نحو هذا الزمان كان بناء الهرم الاكبر في الجيزة بمصر في عصر الملك شوفو واخيهِ نوشوفو من ملوك الدولة الرابعة وزعم اخرون ان قيام الاهرام بمصر كان سنة ١١٩٤ ق م اما اذا جارينا مانيثو الكاهن المصري في تاريخ عصر هذين الملكين فيلزمنا ان نرجع في التاريخ الى ما قبل آدم
١٨٨٤	ايجاد القوس والنشاب
١٨٥٤	ايجاد المقلاع والترس
١٨٢٤	ابتداء ركوب الخيل
١٨٠٤	اصطناع المرايا المعدنية
١٧٧٤	قطع الحجارة
١٧٥١	نقل مسلة فرعون من مقلعها الى الاسكندرية في عصر الملك طوطميس الثالث وعلى رواية بعضهم ان عمارة المسلات بمصر كانت في سنة ١٢٢٤ ق م
١٧٣٣	ظهور فن القراءة والكتابة
١٧٠٤	ابتداء المتجر الاجتماعي
١٦٥٤	سير المراكب على النجم
١٦٠٤	ترتيب السنة الشمسية (٣٦٥) يوماً عند المصريين
١٥٨٤	وجود الدارصيني والزعفر

سنة ق م	
١٥٦٤	اخراج الدم من العروق
١٥١٨	ادخال صناعة الصيني الى اوروبا
١٥٠٤	استعمال المقيئ
١٤٩٤	استعمال الضمادات عند المصريين
١٤٩١	ظهور موسى النبي الذي اخرج الاسرائيليين من مصر وبدء الشرائع الدينية المكتتبة بوحيٍ من الله
١٤٧٤	حمام البخار عند الاسقوثيين
١٤٣٤	اصطناع المصريين بحيرة ميريس ويقال ان في هذا القرن كان ابتداء رسم الخارطات بمصر في زمن سيزوستريس ثالث ملوك الدولة التاسعة عشرة وروى اخرون بان عمل خارطات رسم الارض كان سنة ٥٦٤ ق م
١٤٠٠	اكتشاف معدن الحديد عند ما احترق جبل ابدا في اكريت ويقال انهُ نحو هذا الزمن كان استعمال التصوير بالالوان والنقش عند المصريين
١٣٨٤	استعمال الحصار والدروع
١٣٧٩	وجود المنشار والمثقب
١٣٠٤	ايجاد الرنك والبيكار
١٣٨٤	اختراع المزاول
١٣٥٤	اختراع دولاب الفخار وفي تاريخ الفلاسفة ان الذي اخترعهُ هو انخرسبس الفيلسوف الاسقوثي الذي جاء الى اثينا في الاولمپياد (٤٧) اي نحو سنة ٥٨٨ ق م
١١٨٤	صناعة عظم الفيل
١١٥٤	صناعة الجركاش المجدول

سنة	ق م
١٠٠٤	ايجاد العساكر المرتبة عند المصريين
٩٣٠	ضرب المعاملة عند اليونانيين
٩٠٠	ظهور اوميروس الشاعر اليوناني
٨٨٤	ترتيب شرائع ليكورغة في سبارته من بلاد اليونان
٨٠٤	وجود المغناطيس
٧٧٦	بداءة التاريخ الاولمبيادي عند اليونانيين
٧٥٤	دخول الكتابة الى بلاد اليونان
٧٤٧	بداءة التاريخ الكلداني
٧٣٨	ممارسة الحروب في السفن
٧٣٤	عمل مراسي المراكب
٧١٤	استعمال الرياضيات
٦٩٤	اصطناع الشمع المقصور
٦٦٠	بداءة استعمال الكتابة بحروف الابجدية في مصر وترك الكتابة الهيروغليفية القديمة في عصر ابساماتيكوس راس الدولة السادسة والعشرين
٦٥٤	دورة الفينيقيين حول افريقية بحرًا وقيل سنة ٦٣٦
٦٤٠	مولد تاليس اوّل فلاسفة اليونان الذي هو اوّل مَن اشتغل بدراسة العلوم الطبيعية واظهر الكهربائية بالحك
٦٣٤	تقويم خسوف القمر
	وفيها ولد بوذة رئيس الآلهة عند الصينيين
٦٠٨	اختراع الشطرنج والنرد المعروف بالطاولة
٥٦٤	مولد فيثاغورس الفيلسوف اليوناني منشي قسم الفلاسفة الايطاليانى الذي سبق الكلام عليهِ وهو اوّل من قبل فيهِ انهُ

سنة	ق م
	معلم طبيعي حقيقة والف كتاباً سماه بالموافقات الطبيعية ذكر فيه اراء جميلة في السماع والتشاغل اي قوة الجذب المتنوعة والابصار والوان الضوء
٥٥٤	ابتداء السلطة الملكية بتملك كورش ملك فارس وفيها استعملت المنافخ ببلاد اليونان
٥٤٩	مولد كنفزة ويقال كُوُن فوتش او كون فوشو الفيلسوف واضع الشرائع الادبية لاهل الصين
٥٣٤	غرس الكرم والزيتون في جنوبي فرانسا
٤٩٤	ايجاد قلم الرصاص
٤٨٧	ظهور زرداشت الفيلسوف واضع شرائع المجوس ببلاد فارس
٤٨٠	ظهور هردوتوس ويقال له هردوت اوّل المورخين ببلاد اليونان
٤٦٤	ممارسة البلور المحرق وخاصته في ان يجمع الاشعة الشمسية والحرارة الى نقطة ليلتهب منها ما قابلها من الاجسام على بعد مخصوص
٤٦٠	مولد ابقراط الذي هو اوّل من دون علم الطب وكان هذا العلم سرّاً مكتوماً بين بني اقليميوس يتوارثونهُ خلفاً عن سلف اخذاً عن الذين وضعوا اصولهُ كشيرون القنطوري واسكولاب المعدودين عند اليونان في صف الالهة كما يذكر ذلك في ما ياتي ولذلك يقال بان ابقراط المذكور هو اول من اخترع الطب المؤسس على النظر في احوال المرضى والتجريبات واخترع لذلك المرستانات يعني بيوت الصحة
٤٥٨	مولد ديموقريطس الفيلسوف اليوناني من الفرقة الايليانيكية التي مر ذكرها في قسم الفلاسفة الايطاليانيين وهو الذي تكلم على الجوهر الفرد وكان تكلم قبلهُ على ذلك المعلم اكسينوفانس اول

سنة	ق م
	تلامذة الفرقة المذكورة وامبيدوقليس تلميذ فيثاغورس الذي مرّ ذكرهُ وزادا في المعارف الطبيعية ولاسيما ديموقريطس المذكور فانهُ شرح نواميس سقوط الاجسام في الهواء والخلو وتكلم على الهواء والضو والنار
٤٥٠	شيوع معرفة القطن بواسطة اخبار هردوطعن وجوده ببلاد الهند
٤٣٢	اكتشاف دورة القمر كل (١٩) سنة وتُعرَف بقاعدة القمر لماتون الاثيني
٤٢٨	مولد افلاطون الفيلسوف اليوناني موسس الاكاديمية القديمة التي ذكرت في الفرقة الاشراقية وهو الذى اعان على تقدم العلوم الحقيقية وتوضيحها بالطرق الهندسية التي اخترعها وقال تلميذه تيميه ان الكهربائية مادة لطيفة او نسمة او شيء روحي يخرج من الكهرباء فيجذب اليها بعض الاجسام
٤٣٤	عمل السفن ذوات الخمسة مجاذيف
٤٠٠	مولد منسيوس صاحب التصانيف في الفلسفة العقلية عند الصينيين
	ويقال انهُ في هذا القرن اكتشف الزئبق (معدن معروف)
٣٨٤	مولد ارسطاليس الفيلسوف اليوناني موسّس جمعية المشائين من الفرقة الاشراقية التي مرّ ذكرها وهو الذي توغل في كثير من المسائل الفلسفية والفلكية والطبيعية وعين ثقل الهواء وانشا القسم النظري في تولد الاصوات الحاصلة بواسطة تموّج الهواء ولكونهِ كان غير متبحرٍ كما يجب في العلوم جعل العناصر اربعة فقط وهي الماء والتراب والهوا والنار ويقال بانهُ هو اول من شرَع في تشريح الحيوانات وفي ترجمتهِ التي سبق ايرادها ما

سنة ق م

يغني عن الاطالة

وفي زمنهِ اخترع رجل يقال له ارخيناس البكرة والبرمة فكان بذلك هو الموسس الاول للعلم الطبيعي المكانكي

٣٥٤ استعمال العربات المسلحة في فرانسا

٣٣٤ عمل دولاب الساقية اي الناعورة

٣٢٣ قيام الدولة البطليموسية اللاغوسية بمصر وانشا المدرسة التي جمع فيها اول ملوك هذه الدولة علماء البلاد ورتب لهم ارزاقًا من بيت المال وانشا خزانة كتب جمع فيهاما ينوف عن (٤٠) الف مجلد وسماها الام ثم جمع اخرى وسماها البنت وحيث كان ماهرًا في علم الفلك والهندسة اظهر حركة القمر والف كتابًا في الجغرافيا وكان ذلك نحو سنة ٢٨٠ ق م

واخترع ايضًا رجل اخر يقال له اكتزيبوس في هذه المدرسة طلونبةً او آلةً لرمي السهام بواسطة قوة مرونة الهوا المتكاثفة

واخترع ايضًا رجل اخر يقال لهُ هيرون الالة المعروفة بالجرو ويسميها البحريون بالعيار ترفع بها الاثقال من الاحجار ونحوها وتكلم على تمدد الهوا من الحرارة وهو صاحب النافورة الشهيرة بنافورة هيرون وهي آلة ينضغط بها الهواء من نفس تركيب الآلة

وفي هذه المدرسة ايضا ابتدا هروفيلوس وفيلوس من الاطباء بتشريح الاجسام البشرية

وفيها تُرجمت ايضًا التوراة السبعينية في زمن بطليموس فيلادلف الذي تملك سنة ٢٨٣ ق م

وبامر هذا الملك ايضًا كتب مانيتو الكاهن المصري تاريخ

سنة	
	ق م
	مصر باللغة اليونانية وقد استخرجهُ من الدفاتر الرسمية والاوراق والاثار والرسوم القديمة الموجودة فيها
٢٨٩	ضرب المعاملة الفضية برومية
٢٨٨	قيام التمثال المشهور في جزيرة رودس اصطنعهُ رجل يقال لهُ كاريز اوشاروس وهو تلميذ بوسيبس الشهير يقال بانهُ اقام في عملهِ (١٢) سنة ثم لما سقط بزلزلةٍ حدثت بعد عدة قرون اشتراهُ البعض من اليهود ونقلوا نحاسهُ على (٩٠٠) جمل
٢٨٣	بناء منارة فاروس بالاسكندرية في تملك بطليموس فيلادلف الذي مرّ ذكرهُ
٢٦٤	محلات الموسيقى
٢٥٠	علم تركيب الالات
٢٣٤	عمل الطلومبات الكبرى لطفي الحريق
٢١٤	عمل مقياس الساعات
٢٠٠	دخول صناعة عمل الزجاج عند الرومانيين
١٧٤	ايجاد افران الخبز العامة
١٦٦	بداءة تسلط الرومانيين على بلاد اليونان فكان ذلك واسطة دخول التمدن الى بلادهم
١٥٨	ادخال الساعات المائية الى رومية
٧٤	تصوير البقاع
٥٤	دخول الصابون الى بلاد فرانسا
٥٠	اصلاح يوليوس قيصر الروماني حساب السنة الشمسية بجعلها (٣٦٥) يومًا و(٦) ساعات
٤٤	ايجاد النشادر

سنة	ق م
١٤	تركيب الترياق
٤	ميلاد المسيح وبهِ تغيرت صورة الدنيا الى هيئةٍ جديدة

سنة	ب م
٥	بدء التاريخ المسيحي المستعمل الآن

وفي هذا القرن الذي هو الاوَّل من سني التاريخ المسيحي كتب تلامذة المسيح الكتب التي عليها توسَّس ديانتهُ وهي الانجيل يعني البشائر الاربع وكتاب اعمال الرسل ورسالات بولس ويعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا وعند نهاية هذا القرن كتب يوحنا ايضًا سفر الروَّيا عند ما كان منفيًّا في جزيرة بطمس

سنة	
١٥٠	ظهور جالينوس الطبيب واتساع دائرة الطب
٢٠٠	عمل طاقات الزجاج الملونة عند الرومانيين
٢٥٠	غرس الكرم في بلاد جرمانيا
٢٩٦	قيام عمود السواري بالاسكندرية وينسب ذلك الى القائد بومباي اقامهُ تذكارًا للملك ديوكليسيان الروماني الذي حاصرها بهذه السنة
٣٠٠	ايجاد الطواحين في بلاد النمسا

ولعلهُ نحو هذا الزمان اخترع الحك اي بيت الابرة عند الصينيين

سنة	
٣١٨	اوَّل الجامع المسكونية الدينية عند المسيحيين
٣٨٥	عمل السروج للخيل

ونحو هذا الزمان وضع ديوفانتِس علم الجبر وهو اول معلم بتعليم الكميات اللامتناهية

سنة	
٤٠٠	تصعيد الماء الايدرسكاونكا (كما في الاصل)

سنة ب م

ونحو هذا الزمان وضعت قوانين ثاودوسيوس الثاني قيصر القسطنطينية التي لم تزل معتبرة من بعض الوجوه عند الروم الاورثوذكس

وكذلك وضع ايضاً انطونيوس بمصر اصول الرهبنة عند النصارى ولذلك سُمي ابا الرهبان

٤٥٠ وضع الاجراس في الكنائس واوّل من وضعها كان باولينوس اسقف تولا من مدن ايطاليا

٥٠٠ ادخال دود القزّ الى اوروبا عن يد راهبين احضراهُ من بلاد الصين خفيةً في عكازتيهما وقيل سنة ٥٢٢

وفي هذا القرن دخل فن القراءة والكتابة الى بلاد روسيا

٥٢٠ ايجاد طواحين المراكب برومية وفي بعض المولفات ان بليساريوس رجلاً رومانياً اخترع طواحين الماء في سنة ٥٥٥ ب م

٥٢٩ انشاء المكاتب اليومية للتعليم

٥٣٢ بداءة استعمال التاريخ المسيحي واوّل من شرع بهِ وتبعهُ الناس فيهِ كان ديونيسيوس الاسقوثي او السكيثي وكان لحد هذا الزمن يورّخ المسيحيون بالتاريخ الروماني الذي يبتدي من تاريخ رومية سنة ٧٥٣ ق م

٥٣٤ تنقح الشرائع والقوانين بامر يوستنيانوس قيصر القسطنطينية وهي التي صارت اخيراً اساساً بنيت عليهِ الشرائع المدنية في اوروبا

٥٤٠ وجود الراوند

٥٥٠ عمل الواح الزجاج للشبابيك

٦٠٠ وجود الاقلام

٦٢٢ بداءة التاريخ الاسلامي من هجرة صاحب الشريعة الاسلامية

سنة	ب م
	وتمدن العرب وشروعهم في القيام بواجباتهم الدينية على ما ياتي اولاً في ايام خلافة ابي بكر اوّل خليفةٍ بعد صاحب الشريعة المشار اليهِ جمع القرآن في صحفٍ اخذًا عن الحفظة الذين سمعوهُ وتلقنوهُ من فمهِ ثم في ايام عمر بن الخطاب الخليفة بعد ابي بكر انتدب اقوام لجمع الاحاديث الشريفة ليستند اليها في الاقضية والاحكام الشرعية وفي ايام عثمان بن عفان الخليفة الثالث جمعت صحف القرآن في المصاحف غير ان خطوط الصحابة الذين كتبوهُ لم تكن وقتئذٍ مستحكمة الاجادة ولذلك كثر التصحيف الى ايام عبد الملك بن مروان فكان ذلك سببًا اولاً في وضع ابي الاسود الدؤلي علم النحو دفعًا لاسباب اللحن في القراءة ولعلهُ كان ايضًا داعيًا لابدال الخط الحميري بالخط الكوفي في ذلك الوقت ثم لامر الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان عاملاً لعبد الملك المشار اليهِ على البصرة كاتبهُ النصر بن عاصم فوضع النقط افرادًا وازواجًا وخالف بين اماكنها تمييزًا للحروف المشتبهة
٦٣٥	استخراج السكر من القصب
٦٤٣	بدء تدوين الشرائع والقوانين في الكتب عند فاتحي ايطاليا من الجرمانيين
٦٦١	وضع البريد في البلاد الاسلامية منذ تولى الخلافة معاوية بن ابي سفيان اول الخلفاء الامويين
٦٧٣	ايجاد النار اليونانية التي كان بدء استعمالها لدفع العرب عن محاصرة القسطنطينية وكانت تحرق في وسط الماء اخترعها رجل يقال لهُ كالينيكوس السوري وقبل ان هذه النار كانت معروفةً

سنة	ب م
	لاهل الصين قبل ذلك بزمنٍ طويل
٦٩٥	بدء ضرب المعاملة في الاسلام
٧٠٥	بناء المارستانات ودور المرضى في البلاد الاسلامية في ايام الوليد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة بهذه السنة
٧١٤	عمل الورق من القطن (ولعلهُ في الصين ويابان)
٧٤٠	عمل السجادات (ولعلهُ في اوروبا)
٧٥٤	ترجمة المنطق وبعض كتب في الفلك والمناظرات الى اللغة العربية . ووضع الفقه المالكي والحنفي في ايام ابي جعفر المنصور الخليفة الثاني من بني العباس
٧٦٠	اصطناع ماء الفضة المعروف بالكذاب
٧٨٦	ابتداء التفات العرب الى كتب العلوم القديمة ونهي جنودهم عن احراق المكاتب في البلاد التي يفتحونها واشتغال ادبائهم في تهذيب اللغة العربية وترتيب قواعدها فدوَّن ابو عبيدة اللغة ووضع ابو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب المثلث في اللغة ووضع الخليل بن احمد العروض ووضع الهراء او المازني الصرف وذلك جميعهُ في ايام هرون الرشيد الخامس من بني العباس الذي تولى الخلافة بهذه السنة
٨٠٠	نمو الفلاحة وكرب الحقول في بلاد جرمانيا
	وفيها كان دخول اوَّل ساعة دقاقة الى بلاد فرانسا اهداها الخليفة هرون الرشيد المشار اليهِ الى كرلوس الاكبر الايمبراطور الروماني وملك فرانسا وكانت هذه الساعة مصنوعة مع غاية الاتقان تعرَف بها الاوقات بواسطة رنين كراتٍ تتساقط على التعاقب في اناء من النحاس وفيها (١٢) تمثالاً على هيئة فرسان

سنة ب م

لكل واحد باب يفتحهُ ويغلقهُ عند تمام الرنة فتعجب وقتئذٍ عظماء الفرنساويين منها وظنوها من صناعة السحر ولو وافقهم هذا الامبراطور لكانوا خربوها ليفحصوا عن الحركة الشيطانية التي زعموا بانها كانت تدبرها

وفي هذا القرن ظهر المعلم بيدا رئيس دير ويرموث بانكلترة ويلقب بالمحترم فعرف اسباب المد والجزر بطريق الحدس والتخمين الى ان برهن عليهِ اخيرًا المعلم اسحق نيوطون الذي سبق ذكرهُ في الكلام على الفلاسفة النيوطونيين

وفيهِ ايضًا بيّن ورجيل اسقف سلزبورغ وجود المقاطرين

٨١٣ وضع الفقه الشافعي

وفيها تولى الخلافة المأمون بن هرون الرشيد الذي اهتم بترجمة الكتب الفلسفية والعلمية الى اللغة العربية فترجم لهُ المترجمون مولفات فيثاغورس وافلاطون وارسطاليس وبقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم

وكان هذا الخليفة راغبًا في كثيرٍ من العلوم والمعارف واشتهر خاصةً بعلم الفلك فامر ببناء بيت للرصد وهو هيكل معد للنظر في احوال النجوم وحساب سيرها ويقال بانهُ هو الذي حرر ميل دائرة فلك البروج على دائرة الاستواء فوجدهُ بالانحراف (٢٣) درجة . و(٣٥) دقيقة

وتوصل ايضًا الى معرفة مساحة قطر كرة الارض على وجه الضبط عن يد ابي عبدالله محمد واخويهِ احمد والحسن اولاد موسى بن شاكر الخوارزمي فتحقق ما قالهُ القدماء بان قطرها (٨٠٠٠) ميل

سنة	ب م
	ويقال ايضاً بان ابا عبدالله محمداً المذكور هو الذي اخترع علم الجبر والمقابلة الذي هو من اعظم مخترعات العقل البشري ولعلهُ هو اوّل من عرف هذا العلم في الاسلام تنسبوهُ البواذ المعروف بان واضعهُ الاصلي هو رجل من اليونان يقال لهُ ديوفانتوس وذلك نحو القرن الرابع او السادس ب م
	ومن ثم تفرغت العرب بالكلية الى دراسة العلوم الفلسفية والطبيعية والفلكية والطبية ووصلوا فيها الى درجةٍ سامية كما سبقت تفاصيل ذلك في الفصل الخامس من هذه المقالة بل زعم بعضهم بانهم هم الذين وضعوا علم الجيولوجيا في القرن العاشر وما بعدهُ وعنهم اخذهُ الافرنج واتموهُ على ما هو عليهِ الآن وسوف نتكلم عليهِ في القسم الثالث من المقالة الثانية من هذا الكتاب
٨٥٠	نحو هذه السنة وضع الفقه الحنبي
	وفيها ايضاً وضع عبد الله بن المعتز العباسي علم البديع
٩١٠	نحو هذه السنة نقلت العرب الاترج المدوَّر من الهند وزرعوهُ بعمان ثم نقل منها الى البصرة والعراق ونقلوا ايضاً البرتقال من بلاد اوروبا الى المشرق وقيل ان اصلهُ من بلاد الصين نُقل الى بلاد البورتغال فلما نقلهُ العرب منها الى المشرق سموهُ باسم البلاد التي نقلوهُ منها
٩١٢	استيلاء عبد الرحمن الاخر الملقب بالناصر على بلاد الاندلس واخذهُ في ان يجعل مدينة قرطبة عاصمة مملكتهِ شبيهة بمدينة بغداد اعني مركزاً للخلافة والعلوم ولذلك طلب من رومانس قيصر القسطنطينية رجلاً يعلم عبيداً لهُ ليكونوا مترجمين عندهُ وانشا في بلادهِ المعامل والورش العظيمة فانتشرت بين المسلمين

سنة	ب م
	في تلك البلاد العلوم والمعارف وازهرت واتت باثمار لم يات بها غيرهم من اهالي تلك الاعصار فانهم اتقنوا فن الزراعة ونقلوا اليها زراعة النخيل والخرنوب والقطن والتوت وقصب السكر (يقال بان هذا القصب نقلهُ الافرنج الصليبيون من طرابلس الشام الى جزيرة سيسيليا ثم بعد ذلك زُرع في الاقاليم الجنوبية من اسبانيا) وعلموا اهالي البلاد الاصليين ايضاً صناعة رفع المياه ونقلها الى الاعلى بواسطة النواعير وادخلوا بينهم صناعة الورق من القطن في القرن الحادي عشر من التاريخ المسيحي وعنهم اخذهُ اهالي اوروبا واتقنوا ايضاً علم البحر والتجارة وغير ذلك ولما ترجم افرس بن رشد الكردوفي كتاب ارسططاليس فقري في مدارس كردوفا وفي افريقية بين المراكشيين وانصبوا على درسهِ ومن ثم زها في مدارس العرب هناك علم الجبر وطريقة الحساب العشري التي كانوا اخذوها عن الهنديين وافادوا الاهلين ايضاً انواعاً من الطُرَف كالفروسية واللعب بالرماح وتعاطي المعاني الغريبة في الاشعار ولذلك يقال بان ما اخذهُ الاسبانيول المذكورون من هذه العلوم مدة اقامة العرب في بلادهم كان اوَّل وسيلة لدخول المعارف الى بلاد اوروبا ويروى بانهُ لا زال الى الآن يوجد في المكتبة الملكية نحو (٣٠٠٠) مجلد من الكتب العربية التي كانت موجودة بها في زمن الخلفاء
٩٢٠	ابدال الخط الكوفي بالخط البغدادي ويقال ان الذي فعل ذلك هو ابن مقلة وزير المقتدر بالله العباسي
	ونحو هذا الزمان ظهر ابو الحسن الاشعري امام اهل السُنّة والجماعة
٩٦٩	ظهور معدن النفط والترمنتينا

سنة ب م

٩٨٠ مولد الشيخ الرئيس ابن سينا البخاري اوّل فلاسفة المسلمين

٩٩٠ اول ساعةٍ ذات رقاص اخترعها البابا سليبسترس الثاني لما كان راهبًا ويقال ايضًا انهُ هو الذي أدخل ارقام الحساب الهندية الى اوروبا

٩٩٦ تملك الحاكم بامر الله مصر وظهور الديانة الدرزية

١٠٠٤ بناء دار الحكمة بمصر التي انشاها الحاكم المذكور ثم هُدمت في ايام الملك صلاح الدين الايوبي

١٠١٦ بدء وضع القوانين وممارسة التمدن والعمار ببلاد روسيا

١٠٦٥ ساعات البكر نودي لبعيد

١٠٧٠ وضع نواميس الفرسان

١٠٨٠ ايجاد طواحين الهوا

١١٣٧ تقدم حالة الجمعية السياسية بعض تقدمات عظيمة في بلاد اوروبا وسبب ذلك عثورهم في مدينة اتلفي من بلاد ايطاليا على كتابٍ من كتب قوانين يوستنيانوس التي مرّ ذكرها

١١٤٠ بدء انتباه اهالي اوروبا الى العلوم والفنون وظهور التحسينات في دواوين امرائهم وتاسيس المدارس ببلاد فرانسا منذ تولى حكومتها الملك لويس السابع

ونحو هذا الزمن نقل الافرنج الصليبيون قصب السكر من طرابلس الشام الى ايطاليا كما ذكرنا في ما مرّ

١١٤٦ تاسيس ديوان العلماء في فيرنيسا عاصمة بلاد التوسكانا من ايطاليا والذي اسسهُ هو ليوبولد والدوك الاعظم

١١٥٠ مولد فخر الدين الرازي المشهور احد فلاسفة المسلمين

١١٩٨ حساب الهندي بالعربي (لعلهُ علم رسم الرقم الموجود الآن)

سنة	م
١٢٢٠	ايجاد الزجاجات العدسية للعوينات والنظارات ومخترع العوينات راهب من مدينة بيزا يقال له اسبينا
١٣٥٠	تمليح اللحم والسمك المكبوس
١٣٥٣	عمل قساطل الرصاص لجرّ الماء
١٣٥٥	انشاء مرستان للعميان بباريس عاصمة فرانسا
١٣٦٥	ادخال وكلاء الاهالي والرعايا في المشاور العمومية وكانت البداءة في ذلك ببلاد الانكليز ثم قلدها فيه باقي الدول
١٣٩٠	ابتداء النظارات الطويلة
	وفيه عمل الشمع من الشحم للتنوير وسمي بالكافوري
١٣٩٥	عمل ساعات الدقاقات في اوروبا
١٣٩٩	ادخال طواحين الهوا الى اوروبا بواسطة الصليبيين
١٤٠٠	اصطناع المرايا الزجاجية ببلاد البندقية
١٤١٥	بدء ابطال المقاتلات الشرعية والامتحانات المسماة بقضاء الله التي كانت تفحص بها الدعاوي ببلاد اوروبا
١٤٢٨	انشاء مدرسة للاعاب في مدينة طولوزة فحصلت منها فوائد كثيرة لاهالي اوروبا
١٤٣٥	اختراع البارود في اوروبا براهب نمساوي يقال له شوارتس ويقال ان استعماله كان سنة ١٣٥٨ م اما في بلاد الصين فكان معروفًا قبل ذلك بعدة قرون
١٤٤٥	ابتداء الفرنساويين بالحروب النارية وكان ابتدا بها قبلهم الانكليز اذ ان الامراء الفرنساويين كانوا يزعمون بان استعمال الاسلحة التي تقتل من بعيد مخل بالشجاعة
١٤٤٦	عمل الورق من الخِرَق

سنة	ب م
١٣٥٠	ايجاد المدافع والقنابل في اوروبا ويقال بانها كانت مستعملة في بلاد الصين من سنة ٦١٨ ق م
١٣٦٦	سحب القصب والتليّ
١٣٨٠	استخراج العرَق نوع من المشروبات
	ونحو هذا الزمن اصطنع الاصطرلاب والحك وهو بيت الابرة في اوروبا ويقال بانهُ كان للدوك اينيريكوس ثالث اولاد يوحنا الكبير ملك البورتغال مداخلة في ذلك
١٣٩٠	عمل دبابيس الأُبَر
١٣٩٢	اختراع ورق لعب القمار في فرانسا لاجل تسلية ملكها كرلوس بيانيمه اي المحبوب لما اعتراهُ داء الجنون وقيل بل نقل اليها من بلاد اسيا وعلى رواية اخرى ان العرب واليهود وغيرهما من الاجناس الشرقية ادخلوهُ الى اوروبا في سنة ١٣٨٥ ب م وشاع استعمالهُ في ايطاليا سنة ١٣٩٩
١٤٠٠	معمل الترياق والعقاقير الطبية في مدينة ليسيا
١٤٠٤	عمل البرانيط اختراع رجل سويسري بفرانسا
١٤١٠	التصوير بالوان ممزوجة بالزيت
١٤١٦	دخول صناعة الخزَف الشبيه بالصيني الى اوروبا
١٤٣٠	مرستان الطاعون بالبندقية
١٤٣٢	استعمال البريد في اوروبا
	وفيها كان استعمال البنادق جمع بندقية ويقال بارودة جمع بوارِيد
١٤٣٦	عمل المركبات المسماة كاروسة
	وفيها اخترع يوحنا غوتمبرج صناعة الطباعة واول ما طبعهُ كان

سنة	ب م
	الكتاب المقدس باللغة اللاتينية ثم ذهب هو وشريكهُ ببعض نسخٍ منهُ ليبيعاها في باريس وباعا النسخة الواحدة بعشر ليرات حالة كونها كانت تباع قبل ذلك بنحو ماية ليرا لكن لما اشتري القوم منها ووجدوا النسخ مطابقة بعضها بعضًا بكل دقةٍ في الحروف والصفحات زعموا انها كتبت بقوةٍ سحرية لاسيما لما راوا فيها بعض سطورٍ مكتوبة بمدادٍ احمر لم يبقَ عندهم حينئذٍ ريب بان تلك السطور كتبت بدم الشياطين وكادوا يبطشون بهذين الرجلين لو لم يفشيا لهم سرَّ هذه الصناعة وتطلقهما مشورة باريس
١٤٤١	بدء الكوميديات في بلاد ايطاليا
١٤٤٧	تاسيس مكتبة الفاتيكان برومية وهي اوّل المكاتب المعتبرة في ايطاليا
١٤٥٢	حفر الصور على القوالب وهو النقش على النحاس والخشب اخترعهُ توماز وفنجير صائغ من بلاد فلورنسا وقيل سنة ١٤٦٠
١٤٥٣	مهاجرة مَن كان باقيًا من اهل المعارف بمدينة القسطنطينية وتوجههم بكتبهم الى اوروبا بسبب استيلاء الدولة العثمانية على هذه المدينة واستيطانهم هناك وبواسطتهم قطع كلٌّ من علمي الفلك والطبيعة علاقة الاوهام التي كانا عليها من قبل وتجدد مجمع العلماء بمدينة بيزا ورفع بولس توسكانلي ميلهُ الذي هو اعظم آلةٍ فلكية وجدت في الدنيا لاجل تعيين الانقلابين وفيها صنع لورنز ودولبابا ساعةً بديعة يُعرَف بها زيادة عن معرفة الساعات حركات الشمس والكواكب السيارة والكسوف والبروج وجميع التقلبات السماوية
١٤٦٣	اختراع الهيدروكرافي وهو فن تخطيط البحور والبحيرات والانهر

سنة	ب م
	وسائر المياه بحيث يظهر رسم وشكل شطوط البحور والخلجان والثغور والجزائر والروُوس والاقنية والبواغيز والمجاري والاجوان والاماكن التي يصل الى عمقها مقياس الاعماق في البحار لرجل من الملاحين يسمى هنري
١٤٦٦	ايجاد معمل نسج الحرير في ليون احدي مدن فرانسا
١٤٦٨	اكتشاف الكهربائية بواسطة بحث رجل يقال لهُ جليبر وهو طبيب انكليزي من مدينة كولشيستير
١٤٨٦	اكتشاف راس الرجاء الصالح لبرثولماوس دياس
١٤٩٢	اكتشاف امريكا لخرستوفورس كولمبوس الجنويزي
	ونحو هذا الزمن وضع البريد ببلاد روسيا وترتب دستور للقوانين فيها ايضاً
١٤٩٨	اكتشاف طريق الهند الشرقي من جهة راس الرجاء الصالح
١٥٠٠	اصطناع ساعات العب لبطرس هله الالماني من نورمبرغ
١٥١٥	تاسيس المكتبة الملكية ومدرسة العلوم ودار الطباعة بفرانسا
١٥٢٠	اصطناع زناد الطبنجات
١٥٢٤	ابطال المقاتلات الشرعية من بلاد روسيا وادخال فن الطباعة اليها
١٥٤٥	اصطناع الابر للخياطة في انكلترة
١٥٦٠	استعمال شرب التبغ وعمل السيكارات
١٥٦٣	اصطناع السكاكين او المَدَى يقال بانها كانت قبل ذلك تُعمل من الصوان والصدف
١٥٧٠	ايجاد الطبنجات المضاعفة
١٥٧٦	اكتشاف حجر المغناطيس الارضي لرجل يقال لهُ روبرت نورمان

سنة ب م	
١٥٧٩	ايجاد آلة تقسيم الموازين
١٥٨١	اكتشاف اقليم سيبيريا ببلاد روسيا
١٥٨٣	اصلاح البابا غريغوريوس الثالث عشر حساب السنة الشمسية على وجه الضبط بجعلها (٣٦٥) يومًا و(٥) ساعات و(٤٩) ثانية ومن ثم حصل الفرق الكائن في حساب السنة بين الشرقيين والغربيين
١٥٨٨	ابتداء طبع الجرائد ونشرها في بلاد الانكليز وقيل سنة ١٦٣٠
١٥٩٠	ايجاد دولاب الغزل الهندي وهو اوّل معمل لنسج القطن في انكلترة وبعدهُ دخل الى فرانسا في القرن السابع عشر
	وفيها اتقنت المرايا في اوروبا وتلبست ورق التنك الزيبقي
١٥٩٣	اصطناع التيلوسكوب وهو النظارة التي بها تُنظر الاجسام التي تكون في غاية البعد لرجل الماني يقال لهُ غريغوري وقيل يوحنا ليبرسهي
	ونحو هذا الزمان اثبت غلليلي الايطاليانى دوران الارض وكان قال بهِ رجل يقال لهُ كبرنيك من بلاد بروسيا وذلك في سنة ١٤٧٣ ب م ويقال ان اول من قالهُ كان احد تلامذة فيثاغورس قبل هذا التاريخ بنحو الفي سنة
	وفيهِ اخترع غلليلي المذكور البندول الذي جعلهُ المعلم هوجينس مقياسًا للزمان وصنع منهُ اول ساعة منتظمة السير وبعدهُ بيسير وصلت الساعات الى درجة عالية من الاتقان
	وفيهِ قال غلليلي المذكور ايضًا بامكان وزن ثقل الهوا واثبت ذلك تلميذه تروبشلي في سنة ١٦٣٠ فقال ان هذا الثقل يعادل ثقل عمود من الماء ارتفاعهُ (٣٢) قدمًا او عمود من الزئبق

سنة	ب م
	ارتفاعهُ (٢٨) قيراطًا واخترع لذلك البارومتر اعني ميزان البرودة الذي بقي مدةً طويلة يسمى انبوبة تروبشللي وانجز اخيرًا هذه المأثرة باسكال الفرنساوي سنة ١٦٤٢ ب م
	وفي هذا القرن ظهرت مولفات يوحنا بلك الادبية ببلاد ايطاليا وهو اول من عارض في علم التنجيم وقال ببطلانهِ وكانت وقتئذٍ دواوين ملوك اوروبا مشحونةً باصحاب هذه الصناعة فاخذت وجاهتهم في التدني
١٦١٠	اكتشاف توابع المشتري
١٦١٧	اختراع دولاب لضرب المعاملة
١٦٣٠	ايجاد طاولة المساحة
١٦٣٤	ايجاد الميكروسكوب وهي النظارة المكبرة لرجل يقال لهُ زخريا جانسن هولاندي وقيل لدربيل الاتي ذكرهُ
١٦٣٨	معرفة حركة دوران الدم لوليم هارفي الفيلسوف الانكليزي
١٦٣٨	ايجاد الترموميتر وهو ميزان الحرارة لكرنيليوس دربيل الهولاندي
١٦٤٣	مولد اسحق نيوطون الفيلسوف الانكليزي الذي اظهر معارفهُ وصرف تاملهُ في جميع الاعمال المتعلقة في العلوم الطبيعية والفلكية وراى ذات يوم سقوط تفاحة من شجرتها فكان ذلك كافيًا لهُ في اظهار القوة الجاذبة اعني الناموس الضابط لانتظام العالم باسرهِ واضاف الى ذلك القوة الدافعة وهي قوة مضادة للاولى ليحصل التعادل وكان قبلهُ بنحو نصف قرن تكلم الماهر ربكارت على هذه المسائل الدقيقة التي تكلم عنها هذا المعلم الذي نورها بنورٍ ابهى مما كانت عليهِ واقتفى العلماء اثرهُ في ذلك
١٦٤٧	اول زراعة الرز ببلاد امريكا

سنة	ب م
١٦٥٠	اول آلة كهربائية عمل اوثون دغريقة الهولاندي ويقال له اوتود يغريك ايضًا وبواسطتها ميز دوفاي الطبيعي الفرنساوي الكهربائية الى نوعين زجاجية وراتنجية ولما كانت الكهربائية توجد في بعض الاجسام مفرطة وفي بعضها قليلة سموًا الاولى موجبة والثانية سالبة
	ونحو هذا الزمان اسس الكردينال ريشيليو وزير لويس الثالث عشر ملك فرانسا ديوانًا لارباب العلوم في مدينة باريس وشيّد فيها الرصد المعروف الآن وبستانًا الخ للنباتات
	وفيهِ اظهر ريمير الدانياركي سرعة سير الضوّ
	وفيهِ اوضح ماريوط الفرنساوي الفرق الذي يحصل بين سرعة سير الاجسام حال سقوطها على حسب مقاومة الهوا وحجم الجسم
١٦٥٣	ايجاد الالة المفرغة للهوا لاتود يغريك الذي مرّ ذكرهُ اصطنعها في مغدبرج من بلاد بروسيا وتسمى الانانبوماتيقية يعني طلمبة الهوا
	ومن هذا الوقت اخذت العلوم الطبيعية في التقدم والنجاح واشتغل ديوان علماء فيرنيسا الذي سبق ذكرهُ بعلم السماع وخواص الضو والحرارة وما يحصل في الانابيب الشعرية وقبول الماء للانضغاط
١٦٥٥	عمل زجاجة يعلم منها حصول المطر
١٦٧٤	اكتشاف الاوكسيجين للطبيب بريستلي الانكليزي
	وفيها اخترع المعلم شارل الميقاسكوب اي نظارة الاجسام التي يرَاد رسمها وهي نظارة مهيَّئة لتحصيل صور الاجسام القليلة الامتداد
١٦٧٥	اختراع زجاجة جلّابة للضوّ
١٦٧٦	ادخال صناعة الشبت والمادام من الهند الى اوروبا

سنة	ب م
١٦٨٢	بدء تقدم شعوب روسيا بادخال العلوم والفنون والصنائع العظيمة الى بلادهم منذ تولى القيصر بطرس الاكبر
	ونحو هذا الزمان عُرفت حركات النجوم ذوات الذنب
١٦٨٣	اول الكلام على الضياء المنطقي لرجل يقال لهُ كسيني
١٦٨٧	ايجاد مرايا الحريق
١٦٩٠	عمل غمن المراكب
	وفي هذا الوقت اخترع ساوري الانكليزي المغناطيس الصناعي
	وفيهِ ظهرت الات البخار ايضًا واول من شرع بعملها رجل يقال لهُ بابين طبيب فرنساوي وقد اتقن ايضًا الالة المفرغة التي سبق ذكرها اتقانًا زائدًا بحيث لم يحصل في تركيبها بعدهُ الَّا تغيير قليل
١٧٠٧	وجود معدن الصحون الانكليزي الابيض وبعدهُ بسنة واحدة ظهر المعدن الاخر الاسانجوني
	وفيها اظهر المعلم غلواني الكهربائية الحيوانية فنسبت اليهِ وقيل لها الغلوانية وهو طبيب من بولونيا ببلاد ايطاليا وهذه الكهربائية تحصل باللمس ثم وضحها المعلم فولطه ووضع العمود الكهربائي الذي ادَّى كرويكس هانكس لعمل الحياض الكهربائية
١٧١٣	تطعيم الجدري من الجدري
١٧١٥	اختراع اوراق النقود بفرانسا
١٧٢٣	مرآة نظارة
١٧٤٠	اول توقيع الزجاجات الاكرومانية على الميكروسكوب المعلم سلليغ
	وفيها اخترع المعلم ليبركهن من برلين الميكروسكوب الشمسي وسمي بذلك لان استنارة الجسم المراد رؤيتهُ فيهِ انما تكون بضو

سنة	ب م
	الشمس الذاتي لاالذي في الظل
	وفي هذه السنة عملت معامل صب الحديد في انكلترة
١٧٤٧	عمل زجاجة ليدا التي سميت باسم القرية التي اخترعت فيها ويقال لها الجرة الكهربائية اخترعها موشينبروك وكوينووس
١٧٥٠	بدء تقسيم الجغرافيين الارض الى اراضي اولية وثانوية وثالثية الى غير ذلك مما هو شائع في عرفهم الآن
١٧٥٣	اختراع مانعة الصاعقة لفرانكلين من امريكا
١٧٥٥	اختراع الة الخياطة في بلاد الانكليز
١٧٦٠	انشاء مدرسة لتعليم الصم البكم والعميان القراءة والكتابة والرياضيات في مدينة باريس ثم اقتدى بها في ذلك باقي بلاد اوروبا
١٧٦٦	اكتشاف الهيدروجين لكاونديش الطبيب الانكليزي ثم بعد ذلك اعني في سنة ١٧٧٦ اكتشف المعلم ماكير تركيب الماء من الاكسجين والهيدروجين وصنعهُ منهما وبعدهُ ظهر الشهير البوزييه الفرنساوي الذي كلل كيمياويي فرانسا بتاج الفضل والشرف حيث ابدى المعارف الصحيحة المتعلقة بالتحليل والتركيب الثانوي للماء وكان ذلك سببًا لتولد الكيميا الغازية
١٧٦٩	بدء زرع القطن ببلاد امريكا
١٧٧٠	بناء المستشفى الشهير للايتام في موسكا في تملك القيصرة كاترينا
١٧٧٣	معرفة النتروجين اي مولّد النطرون للطبيب روثفورد
١٧٧٦	ظهور فن التنويم لطبيب الماني يسمى مسمر
١٧٨١	اكتشاف كوكب سيّار سمي اورانوس وهو اوّل الكواكب المكتشفة حديثًا اكتشفهُ الفلكي هرشل الانكليزي وكان هذا المعلم قد انقن

سنة	ب م
	التيلوسكوب انقانًا عجيبًا تمكنت بواسطتهِ الابصار من الروية من مسافات لانكاد تدرك من اقصى السماوات بحيث لو وجد انسان اخر امكنهُ ان يتقن هذه الالة كاتقانهِ لجوز العقل ادراك اقرب الكواكب الينا ادراكًا كليًّا حتى يعلم ان كان فيها سكان او نبات او غير ذلك
١٧٨٣	اختراع المركبات الهوائية المسماة بالبالون للاخوين مونغولفيه وصعدا فيها الى الجوّ في تلك السنة ولا زال الجهد في انقانها الى الآن
١٧٩٠	ايجاد المطبعة الميكانيكية لنيكولسون الانكليزي وهي تطبع من ذاتها بدون مساعدة الايادي
١٧٩٤	اصطناع البيل الذي يستعمل للتذويب وللتلغراف الكهربائي اخترعهُ رجل يقال لهُ ولتا من فرانسا
١٧٩٩	اختراع المطبعة الحجرية للويس سنفلدر من مدينة براغ بالمانيا وفي هذا القرن وجد سوسور الذي هو اوّل من تبحر في علم كائنات الجوّ فاخترع الالات الايغرومترية اي الات مقياس الرطوبة وبين الاراء الصحيحة الباحثة عن النداء والمطر والثلج ومات سنة ١٨٠٠ ب م
١٨٠٠	تطعيم الجدري من البقر لادوارد جنّر الطبيب الانكليزي
١٨٠١	ايجاد الة النسج الميكانيكية تنسج من ذاتها بدون مساعدة الايادي اخترعها جاكر الفرنساوي
	وفي هذه السنة اكتشف رجل اخر يقال لهُ بياظي كوكب سيار اخر سماهُ سريس
	وفي هذا القرن اشتغل رجل اخر يقال لهُ كولونب بالمغناطيسية واظهر ان هناك جملة معادن قابلة للتمغطس وعين وجود عنصر

سنة	ب م
	الحرارة المتحد والخفي الذي كان تكلم عنهُ رجل يقال لهُ استال قبل ذلك بقرن وسماهُ فلوجيسنيك اي عنصر اللهب ثم اثبت رجل اخر يقال لهُ شيل تشعشعهُ على خط مستقيم وانعكاسهُ من سطح المرآة المعدنية وانحصارهُ في نقطةٍ اذا كانت المرآة مقعرة
	وفيهِ وضع نابوليون الاول ايمبراطور فرانسا مجموع نظامات قانونية يسمى بالكوتيشي اتخذهُ اغلب دول اوروبا دستوراً يعملون بهِ وخاصةً في الامور التجارية
١٨٠٢	اكتشاف كوكب سيّار ثالث يسمى بلاس ومكتشفهُ يدعى اولبرس ثم بعدهُ بسنتين اكتشف فلكي اخر يقال لهُ هاردنق كوكب رابع ايضاً سماهُ وسته ولا زال الفلكيون يكتشفون نجماً بعد نجم الى ان صار والحالة هذه عدد ما اكتشفوهُ الى وقتنا هذا يتجاوز (١٢٠) نجماً غير المعروف قديماً
١٨٠٤	اصطناع الحياض الكهربائية لكرويكس هانكس على ما ذكرناهُ قبلاً
١٨٠٧	ظهور اوّل باخرة من السفن التجارية سافرت في البحر وذلك من نيويورك الى فيلادلفيا ببلاد امريكا
١٨١٤	استعمال المكابس التجارية
١٨١٦	اختراع الستينوغراف وهي كتابة مختصرة بها يتمكن الكاتب من استيعاب كتابة كل ما يسمعهُ بسرعةٍ لرجل يقال لهُ رامزي من هولاندا
	وفي هذه السنة حدث اسراج الغاز في لوندرة
١٨٢٠	اختراع الايليكترو ديناميك وهو فرع من العلم الطبيعي غايتهُ معرفة الحوادث الصادرة من تفاعل الكهربائية والمغناطيسية في

سنة	ب م
	بعضها ومخترعهُ المعلم ارسنيدت الطبيعي من كو بنهاغن قصبة بلاد اسوج
١٨٢١	ظهور الكهربائية بالحرارة للمعلم سيبيك
١٨٢٢	اهتداء المعلم شمبوليون الفرنساوي الى قراءة كتابة المصريين القديمة المسماة بالهيروغليفية
١٨٢٤	عمل اريو الطبيعي الفرنساوي فهرست الحجارة والحديد والغبار والجواهر الرطبة الساقطة من الجوّ من سنة ١٤٧٨ قبل الميلاد الى سنة ١٨٢٤ ب م زعم فيهِ انها تزيد عن (٣٥٠) سقطة فانكر عليهِ بعضهم صحة ذلك بدليل وقوعها بظرف (٣٠) سنة بعد سنة ١٨٢٤ المذكورة اكثر من (٥٠) مرة
١٨٢٩	اختراع الطرق الحديدية لجورج وروبرت ستيفانسون من انكلترة واوّل سفرها كان من ليفربول الى مانجستر
١٨٣٨	اختراع السيتربوسكوب وهي نظارة ذات عينين تجسم بها الصور وتستعمل في البيوت لاجل الفرجة لواتستون الانكليزي
١٨٣٩	اختراع الساعات البرقية لرجل يقال لهُ ستاينهل من مونيخ عاصمة باڤاريا ثم بعد ذلك بسنة اتقنها المعلم واتستون المذكور
	وفي هذه السنة ظهر الفوتغراف اي التصوير الشمسي اخترعهُ رجل يقال لهُ يوسف نيسيفور بنايس الفرنساوي وكان ابتدا بهِ سنة ١٨١٢ ثم تممهُ بالاشتراك مع داغير الباريزي على الصفائح النحاسية سنة ١٨٣٩ حينما اخترع فوكس ثالبوت الانكليزي اخراج الصورة على الورق ايضاً واشتهر ذلك سنة ١٨٤٥
	وفيها ايضاً كان وضع التنظيمات الخيرية والاصلاحات الملكية والعسكرية وتاسيس المدارس الرشدية في ممالك الدولة العلية العثمانية

سنة ب م	
١٨٤٤	عمل الة الذنب للوابورات المسماة في بلادنا بالدفاش اخترعها اريكسون المهندس من اهالي اسوج وهو في البلاد المتحدة الامريكانية وكان فكر فيها قبلهُ رجل يقال لهُ دوكي فرنساوي سنة ١٧٣٧ ب م وفي هذه السنة مُدَّ اوَّل تلغراف برًّا
١٨٥٠	اوَّل تلغراف مُدَّ بحرًا
١٨٥٨	اكتشاف زيت الحجر المسمى بزيت البترول
١٨٦٩	بدء السفر في الخليج الذي فتح حديثًا في ظل الدولة العلية العثمانية لايصال البحر الابيض بالبحر الاحمر باهتمام موسيو دوليسبس الفرنساوي وبهِ انفصلت اسيا عن افريقية

هذا ما امكننا جمعهُ من تواريخ الايجادات والاختراعات والتقدمات البشرية بصرف النظر عن اشياء كثيرة من الامور المخترعة حديثًا اهملناها لعدم وقوفنا لها على تاريخ بل ولا على اسم الموجد او المخترع وبهِ انتهت المقالة الاولى من هذا الكتاب

المقالة الثانية

في ماهية الفلسفة واقسامها

الكلام على الفلسفة

ذكرنا في افتتاح الكلام على المقالة الاولى بان معنى الفلسفة في اللغة اليونانية هو محبة الحكمة والرغبة فيها وبما ان هذه الحكمة هي المعرفة الصادقة الحقيقية الموضحة للاشياء الطبيعية بعللها وجب ان نميز هذه المعرفة الفلسفية من المعرفة المؤرخة والمعرفة الهندسية لان المورخة تقوم بمجرد معرفة الشيء والهندسية لا تبحث الاّ عن الكمية والنسبة فقط واما المعرفة الفلسفية فهي تفحص عن السبب الذي منهُ يكون الشيء على هذه الصفة او على غيرها

والفرق بين هذه المعارف الثلاثة هو ان الذي يعرف مثلاً بان حرّاً الشمس في الزوال تارةً يزيد وتارةً ينقص تُدعى معرفتهُ مؤرخة والذي يعرف انهُ يصدر من كثرة انضمام الاشعة الشمسية وانصبابها ويمكنهُ ان يحدد الحرارة فتدعى معرفتهُ هندسية واما الذي يعرف ان عُظم درجة الحرّ هو من شدة انضمام هذه الاشعة المذكورة وانصبابها غير المنحرف فهو الذي تدعى معرفتهُ فلسفية انما حيث كان من المقرّر بان معرفة المسببات سابقة على معرفة الاسباب وان كل المعارف البشرية تبتدي من الاختبار فلذلك يجب على طالب المعرفة الفلسفية ان يكون حاصلاً على المؤرخة والهندسية مضبوطتين في حدودهما ليعيناهُ على المعرفة الفلسفية واما الذين يجتهدون في مجرد هاتين الاخيرتين فقط فلا يكونوا قد تمموا واجبات الفيلسوف اصلاً

ثم نظرًا لاتساع هذه الفلسفة وقصر حيوة الانسان مع ضعف العقل البشري يجب كذلك الاعتراف بان نفس الموصوفين بسعة المعارف من اعاظم الفلاسفة فضلاً عن من هم دونهم لم يعرفوا الاَّ القليل بل ان ما عرفوهُ بالنسبة لما لم يعرفوهُ بعد ليس بشيء ايضًا ولا يمكن لاحدٍ منهم ان يتكلم عن كل مادةٍ ما لم يكن سفسطيًّا

وقد كان الحكماء الشرقيون الاقدمون يحددون هذه الحكمة التي هي الدواء الخاص لمعالجة العقول البشرية من مرض الجهل المستحوذ عليها تحديدًا بطريق الاجمال فيقولون انها معرفة جميع الاشياء بعللها الطبيعية وهذه العلل هي اربعة علة غائية وعلة فاعلية وعلة مادية وعلة صورية

ويقسمونها كذلك الى قسمين عملية وتدعى ايضًا فعلية ونظرية وتدعى عقلية

فالعملية هي نوعان احدهما المنطق وهو ما يعصم افعال العقل من الخطا والثاني الاداب وهو ما يبحث عن تقويم افعال الارادة

والنظرية هي ما تستقر في معرفة موضوعها ولا تجاوز الى العمل فتعرف اذًا لكي تُعرف فقط لا لتعمل وهي على ثلثة انحاء الاول طبيعية وهي ما تتصرف بالجسم الطبيعي من حيثُ انهُ طبيعي الثاني الهندسة وهي تتامل بالكمية المقاسة والثالث الهيئة وهي ما يتبصر بالاشيا المطلقة كالباري تعالى والملائكة والجوهر والعرض ومن ثم حددوهُ بانهُ علم نظري يبحث عن الموجود الكامل الحقيقي المجرد عن كل مادة لانهُ لايتنازل الى الاشياء المادية بل ترك ذلك للطبيعيات (وهذا غير العلم اللاهوتي المعروف عند النصارى بالثاولوجيا)

واستثنى بعض المولفين الهندسة بقولهِ انها نُفيت من مدارس الفلاسفة منذ زمنٍ قديم وابقى الاجزاء الاربعة فقط التي هي المنطق والاداب والطبيعيات والالهيات على ما ذكرنا ثم ان هذا التقسيم وان يكن ليس بعيدًا عن الصواب الَّا ان متاخري الافرنج لهم فيهِ نظر اخر سوف تذكرهُ في البحث الثالث من هذه المقالة

فالنوعان الاوليان اللذان هما المنطق والاداب يخصان العمل لان علم المنطق يتكفل بتمييز الصدق من الكذب وبعلم الطرايق التي بها نقدر ان نعرف الحق واما الاداب فتتكفل بتهذيب الاخلاق وتعلم الطرائق التي بها يمتاز ماهو مستقيم وجيد مما هو مذموم وردي وماهو مطابق للعدل مما لا يطابقهُ وبذلك تجذَبُ النفوس الناطقة من الاشتراك مع الجسد في ملذات الحواس المضرة الى محبة الفضيلة واما النوعان الاخيران فهما نظريان لان الطبيعيات تلاحظ هذا العالم المنظور وكل الهيوليات الموجودة فيهِ وتتكفل بالبحث عن فوائدها والمنافع التي اودعها الباري تعالى فيها للقيام باحتياجات الانسان وخدمتهُ واما الالهيات ويقال ماوراء الطبيعيات وماقبل الطبيعيات ومافوق الطبيعيات فهي تلاحظ واجب الوجود باري هذه المبروات وموجدها وسائر الارواح المخلوقة منهُ وتتكفل حقيقة هذا القسم بالسعادة الابدية لمن يحصل عليها

وقد حصر البعض من مولفي العرب فروع هذه الانواع الاربعة في ستين علماً ذكرها صاحب كتاب العجب العجاب فقال ان هذه الستين علمًا هي اصول العلم كلها وان كان تحتها فروع كثيرة ويتداخل بعضها في بعض وذلك عدا عن علم الصناعات الجالبة للاقوات ومدار هذه العلوم هو للاذهان وللسان وللابدان وللاديان ولكل من ذلك خمسة عشر علمًا

فما كان للاذهان هو المنطق والحساب والهندسة والهيئة والفلسفة الاولى والثانية والالهيات والطبيعيات والفلكيات والسماء والعالم والاحكام والمرايا والموسيقى والارتماطيقي والصناعات الخمس

وما كان للسان فهو اللغة والمعاني والبيان والبديع والعروض والقافية والاشتقاق والنحو والصرف والقراآت والصوت والمخارج والحروف وتقسيم الحروف وتوزيع اصطلاحات الادب

وما كان للابدان فهو الطب والتشريح والصناعات والسباحة وتركيب الالات والكحل والجرح والجبر والفراسة والنبض والبحارين والاقاليم والتاثيرات

الهوائية والملاعب والسياسة

وما كان للاديان فهو تفسير الكتب والسنة والرواية والدراية والفقه والجدل والمناظرة والافتراق واستنباط الحجج واصول الفقه والعقائد واحوال النفس بعد المفارقة والسمعيات والسحر للوقاية وضبط السياسات من حيث اقامة الحكم

القسم الاول من اقسام الفلسفة العملي

البحث الاول في المنطق

هذا العلم يرسم للانسان قواعد ضرورية في كل جزء من اجزاء الفلسفة لمعرفة الحق فيهِ ولذلك دُعي عدلاً بانهُ الة لباقي اجزاء الفلسفة. اذ ان لكل علم يعني جزء من اجزائها المذكورة ماهية وموضوعًا وغايةً وكان لا بد لمن يريد الشروع في ذلك العلم ان يتصور ماهيتهُ ويصدّق موضوعهُ وغايتهُ على وجهٍ من الحقيقة قل ان حصل عليهِ بدون هذه القواعد

واما تسميتهُ منطقًا فهو من النطق العقلي الباطنى الذهني لا الخارج اللفظي لانهُ يعصم النطق الذهني عن الخطا لرسمهِ تلك القواعد التي ذكرناها لصحة القول والظن العقلي ولذلك يُعرّف عند عامة الفلاسفة بانهُ الة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطاء في الفكر

فقولهم الة بمنزلة جنس يعم كل الة كيفما كانت وقولهم قانونية مخرج للالات الجزئية لارباب الصنائع كالقلم للكاتب والقدوم للنجار والمطرقة للحداد وقولهم تعصم الخ مخرج للعلوم القانونية التي لا تعصم مراعاتها الذهن عن الضلال في الفكر بل عن امور اخر كالصرف والنحو مثلاً فان مراعاتها تعصم عن الضلال في المقال لا في الفكر ودعي الة ايضًا لانهُ يفيد لجميع العلوم الرياضية والاكتسابية

وهو بابها ومدخلها وموضح مناقبها وبهِ تحد وتقسم وتستنتج وترتب موضوعاتها ومقاصدها على ما اشرنا

والمنطق قسمان طبيعي وصناعي فالطبيعي يُراد بهِ النور الطبيعي المغروس في كل انسان من الطبع حيث انهُ يقدر العقل ان يحد الشيء ويقسمهُ ويستدل عليهِ ويقايسهُ وينظمهُ بدليل الطبيعة قائدتهُ وذلك بدون معرفة الحد والتقسيم والقياس والنظام

واما المنطق الصناعي ويدعى عمليًّا ايضًا فهو ملكة التحديد والتقسيم والاستدلال والترتيب مستقيمًا وهذه الملكة هي التي تعلمها رسوم المنطق وتجه اليها قوانينهُ الكلية ونسبة هذا العلم للقلب كنسبة النحو للسان والعروض للنظم ونحو ذلك والبحث فيهِ اعني موضوعهُ هو المعلومات التصورية والتصديقية وغايتهُ عصمة الذهن عن الخطاء في الفكر كما ذكرنا

وللمنطق طرفان الموصل الى التصور والموصل الى التصديق ولكلٍ منهما مبادٍ ومقاصد فمبادي الموصل الى التصور هي الكليات الخمس ومقاصدهُ القول الشارح ومبادي الموصل الى التصديق هي القضايا ومقاصدهُ القياس وهو باعتبار المادة خمسة وتسمى تلك المادة بالصناعات الخمس وهي البرهان والجدل والخطابة والشعر والمغالطة فجميع ابواب المنطق تسعة جمعها بعضهم في هذين البيتين

بكافاتٍ وقافاتٍ ثلاثٍ وبـاءٍ ثمَّ جيمٍ ثمَّ خاءٍ
وشينٍ ثمَّ ميمٍ نحن جئنا لبابِ العزِّ نأمنُ في الرخاءِ

اراد بالكافات الكليات الخمس التي هي مبادي التصورات وقد مرَّ ذكرها وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ولذلك نتقدم في المنطق مباحث هذه الكليات على مقاصدهِ

واراد بالقافات الثلاث اولاً القول الشارح الذي هو مقاصد الموصل الى التصور ثانيًا القضايا التي هي مبادي الموصل الى التصديق وهي ما فوق

قضية واحدة والقضية هي قول يصح ان يقال لقائلهِ انهُ صادق فيهِ او كاذب فيهِ وتنقسم الى قسمين حملية وشرطية ثالثًا القياس الذي هو مقاصدهُ وهو المطلب الاعلى في الاصطلاحات المنطقية لان المقاصد من العلوم المدونة مسائلها وهي قول مولف من اقوال متى سُلِّمَتْ لزم عنها لذاتها قول اخر كقولنا العالم متغير وكل متغير حادث لزم عنها لذاتها العالم حادث. واراد بالباء البرهان وبالجيم الجدل وبالخاء الخطابة وبالشين الشعر وبالميم المغالطة وهذه هي الصناعات الخمس التي هي مادة القياس المذكور كما سبقت الاشارة الى ذلك

ولمن المشهور بين العرب بان واضع هذا العلم هو ارسطاليس الفيلسوف اليوناني المشهور وقال بعض الكتبة من النصارى انهُ هو الذي ابدعه ولم يوجد لمن تقدمهُ غير كتاب المقولات العشر وانهُ تنبه لوضعهِ وترتيبهِ من كتاب اقليدس في الهندسة وفي بعض المولفات الافرنجية ان المقولات العشر هي لارسطو المذكور واما المنطق فان زينون الفيلسوف وضعهُ وارسطو كملهُ وافلاطون هذبهُ

ويقال ان اول من ترجمهُ من اللغة اليونانية الى العربية هو عبد الله بن المقفع الخطيب الفارسي الذي كان كاتبًا لابي جعفر المنصور الخليفة الثاني من بني العباس المتوفى سنة ١٥٨ للهجرة (سنة ٧٧١م) وكان هذا الخليفة اول من اعتنى بادخال المعارف بين العرب من ملوك الاسلام فترجم لهُ عبد الله المذكور ثلاثة كتب الفها ارسطاليس في هذا الفن وهي فيثاغورس ومبادي ارميناس واندلوطيقي وكتاب الصوري المعروف بايساغوجي بعبارةٍ سهلة قريبة الماخذ

ومن ثم اخذ المولفون من العرب في التاليف فيهِ فمنهم من اختصر ومنهم من توسط ومنهم من بسط ومعظم مولفاتهم هذه مجموعة مع كتب الطبيعيات والالهيات فتلالا بينهم هذا الفن وازهر الاَّ انهُ لم تطل مدتهُ زمانا طويلاً بل اقتصروا اخيرًا على مباديهِ حيث ضُرب المثل عندهم بان من تمنطق فقد تزندق

وكما اخذ الافرنج اكثر علومهم عن العرب اخذوا كذلك عنهم علم المنطق

ايضًا ولكنهُ على الوجه الذي اشرنا اليهِ في الفصل السادس من المقالة الاولى ودام عندهم على هذه الصورة الى اواخر الجيل السادس عشر للميلاد وقت ما ظهرت الطريقة التي يسمونها طريقة الاستخراج وهي طريقة للكشف عن الحق لم تستعمل قبل عصر رجل من اشراف انكلترة وجد في الزمان المذكور (يقال لهُ فرنشيسكو باكوس وقد مرّ ذكرهُ في الفصل السابع من هذه المقالة) وسميت بذلك لكونهم يستخرجون بها حقائق عمومية من امورٍ خصوصية لم فيها شهادة الحواس او شهادة اخرى صادقة كما اوضح ذلك العلامة الفاضل الدكتور كرنيليوس فانديك الحكيم الاميريكي في خطابٍ مطبوع في الجزء الاول من اعمال الجمعية السورية موضوعهُ فضل المتأخرين على المتقدمين حيث قال انهُ اذا وجدت صفة او خاصية ما في مواد كثيرة من نوع واحد ولم توجد بعد التفتيش المدقق مادة من ذلك النوع عديمة تلك الخاصية فيحصل من ذلك التصديق بان تلك الخاصية هي عمومية لتلك المواد مثالهُ ان وجد للمغنطيس قوة الجذب بعض قطع من حديد ولم نجد لا نحن ولا غيرنا قطعة من حديد الاّ ويجذبها المغنطيس فنتيقن بان هذه الخاصية انما هي عمومية للحديد كلهِ مع اننا لم نختبر ذلك بالامتحان الاّ في جزء صغير من كل الحديد الموجود في العالم هذا مثال للاستخراج وهي الالة المستعملة عند المتأخرين للكشف عن الحق ويجب في كل استخراج ان يبتدأ باليقين وكل ما بعِدَ مبداهُ عن اليقين بمقدار ذلك يقل الاعتماد على نتائجهُ ولا ريب ان هذه الطريقة التي لا تبني نتيجةً الاّ على قضية مبرهنة برهانًا واضحًا لها مزية كبيرة على القياس الذي لا يبرهن شيئًا الى ان قال مبرهنًا على فساد المنطق عند العرب ولذلك لا نذكر من الامور المنطقية سوى اثنين وهما انقسام القضايا واستعمال الاقيسة فنرى الاولين قد قسموا القضايا الى قسمين اصليين وهما قضية حملية وهي التي تحلُّ بطرفيها الى مفردين كقولنا زيدٌ قائمٌ وشرطية وهي التي لا تنحلُّ الى مفردين كقولنا ان كان هذا انسانًا فهو حيوان وهذا الانقسام فاسد لان القضية الشرطية ليس لها وجود حقيقةً الاترى

في مثالنا ان كان هذا انساناً فهو حيوان انه مركب من قضيتين بسيطتين كل واحدة تامة في ذاتها اي هذا انسان وهو حيوان والشرط انما هو طريقة لربط قضيةٍ باخرى ويشترط في كل قضية ان يرتبط الموضوع بالمحمول ولا شيء من ذلك في المثال المذكور الا ترى انه لا يمكن ان نحسب قولنا ان كان هذا انساناً موضوعاً وقولنا فهو حيوان محمولة بل هما قضيتان مفردتان مرتبطتان بطريقة خصوصية ومتضمنتان قياساً تاماً ولو رُكّبتا تركيب الاقيسة لقيل كل انسان حيوان هذا انسان فاذاً هذا حيوان فترى ما سمي قضية شرطية عند القدماء ليس هو بقضيةٍ اصلاً بل قياس والمتأخرون انتبهوا لذلك وسلموا من الخطا الحاصل من هذا القبيل بان نحسب قضية مثبتة ما كان في الحقيقة محتاجاً الى برهان

ثم ان القدماء كان اعتمادهم على القياس للكشف عن الحق ومنذ زمان ارسطاليس الى الجيل السادس عشر حسب القياس الالة الاكثر مناسبةً للاحاطة بالصحيح والفاسد وتبيين الحق الصريح ويمكننا ان نبين فساد هذا الزعم بمجرد ذكر امثلة لبعض انواع القياس وقد رسموهُ بانه قول مولف من قضايا يلزمهُ لذاتهِ قول اخر ومن امثلتهِ كل متعفن الاخلاط محموم زيد متعفن الاخلاط فزيد محموم افلا ترى ان صحة هذه النتيجة يقتضي لها صحة المقدمة اي ان كل متعفن الاخلاط محموم والمقدمة قد تكون صحيحة وقد تكون فاسدة وصحتها او فسادها لا يبرهن بالقياس ومنها ايضاً كل جسمٍ مولف وكل مولفٍ حادث اذاً كل جسمٍ حادث الا ترى ان صحة النتيجة اي كل جسمٍ حادث تتوقف ايضاً على صحة القول بان كل مولفٍ حادث وعلى صحة القول الاول ان كل جسم مولف اي على صحة المقدمتين وهما لا تبرهنان الا بواسطة اخرى سوى القياس واذا امكن برهانهما ثبت القياس والا فسد وهكذا في كل قياسٍ فلا يمكن ان يبرهن بهِ شيء غير ما تبرهن اولاً بواسطة اخرى ولو بني كل قياسٍ على اوليات او مصادرات او حدود معلومة لصحت كلياً ولكن لم يبنوها على هذه الاشيا

فقط كما يتضح من مواد الاقيسة المذكورة في كتبهم اذ نراها مقسومةً الى يقينيات وغير يقينيات ولا ريب ان المبني على غير يقين هو غير يقيني

ومن مواد الاقيسة عندهم الحدسيات والحدس هو سرعة الانتقال من المبادي الي المطالب ونرى ان سرعة هذا الانتقال كثيرًا ما يتولد منها غلط فلا تصلح الحدسيات لان يبنى عليها قياس الاّ قليلاً

ومن هذه المواد ايضًا المشهورات ونعلم جيدًا ان قضايا كثيرة مشهورة هي فاسدة فكيف تصلح لان يبنى عليها قياس للكشف عن الحق نعم اذا كانت المشهورات صحيحة يمكن ان يستنتج منها نتائج حقيقية ولكن يقتضي اولاً ان تبرهن صحتها قبل بناء القياس عليها وقد راينا ان القياس ذاتهُ لا يبرهن صحة مقدمتهُ فيكفي ما قيل لاثبات ما قلناهُ بان القياس ليس بالهِ مناسبة للكشف عن الحق اذا كان مخفيًا ولكن متى تبرهنت قضية ما فحينئذٍ يمكن ايضاحها لدى الاخرين بواسطة القياس

ولزيادة فهم الطريقة التي يجب السلوك عليها للوقاية من مثل هذا الخطا نذكر هنا ايضًا ما قالهُ العلامة الفاضل رفاعة بك الطهطاوي في القاعدة التي يبني عليها القياس الصحيح ويمتاز بها من السفسطة عند الافرنج وهي اثبات اصلين احدها مبني على الصحة والاخر مبني على الفساد وهما ان المستلزم لمستلزم الشيء مستلزم لذلك الشيء والنافي لشيء نافي لشيء اخر وهو نافٍ لذلك الاخر او نافٍ للاثنين معًا وكيفية تطبيق هذا على القياس انك اذا سئلت عن الغضب هل هو مذموم فاردت ان تستدل على انهُ مذموم فانك تبحث عن القضية التي هي الموضوع فانك ترى من جملة تعريف الغضب انهُ عيب فحينئذٍ كلمة غضب متضمنة لمعنى العيب فتركب مقدمة هكذا الغضب عيب ثم تقابل العيب مع الذم الذي هو محمول القضية فانك تجد ان العيب يستلزم الذم فتقول العيب ذميم فاذًا لما رايت ان الغضب يستلزم العيب والعيب يستلزم الذم فانك تنتج منهُ ان الغضب ذميم فكل قياس لا يمكن تطبيقهُ على هذا الاصل فانهُ يكون سفسطة

البحث الثاني

في الاداب

قال بعض المولفين اننا بواسطة الاختبار الدائم نفهم بان في النفس قوتين الواحدة تدعى عارفة والاخرى تدعى راغبة ومن المعلوم ان هاتين القوتين يمكن ان تضلاً في افعالهما اي ان العارفة تضل عن الحق والراغبة تضل عن الصلاح فتسقط الاولى في الضلال عوضاً عن الحق والاخرى في الشرّ عوضاً عن الخير فجزء الفلسفة الذي يقوم العارفة نظراً الى معرفة الحق والهرب من الضلال يدعى منطقاً (وقد سبق الكلام عليهِ) واما الجزء الثاني الذي يضع حدّاً للقوة الراغبة لتختار الصلاح وتفرّ من الشرّ فهو الاداب (التي نحن بصددها)

وتقسم الافعال الادبية الى عامة وخاصة فالعامة تعتبر لوازم الانسان على الاطلاق ومحبة الفضيلة وبغض الرذيلة وهي تتقدم على الثانية لانها تفحص عن اختلاف الافعال البشرية وعن اصل هذا الاختلاف واساساتهِ وتعتبر لوازم البشر على الاطلاق

واما الخاصة فهي تعتبر لوازم الانسان بالتفصيل ولها ثلاثة اجزاء الاول يخص لوازم الانسان بالنسبة الى الله خالقهِ والثاني يخص الانسان بالنسبة الى ذاتهِ ويدعى معرفة الناموس الطبيعي والثالث يخص لوازم البشر بالنسبة الى الائتلاف ويدعى معرفة السياسة المدنية ومنهُ نتعلم الناس كيف يجب ان يحبوا بعضهم بعضاً مثل ذواتهم اذ ان ذلك هو الاساس الذي يبني عليهِ هذا الجزء وتحتهُ انواع كثيرة منها معرفة القوانين المدنية ونواميسها بالنسبة لاختلاف احوال الناس واختلاف الحالات والظروف الخاصة المختصة بغاية هذه الرسوم

ومنها لوازم السادة والمسودين نحو بعضهم بعض وغير ذلك مما لاتسعنا تفاصيلهُ هنا

وكل من هذين القسمين لابد لهُ من احد مصدرين الواحد طبيعي والاخر وضعي فالطبيعي هو ما يستدل عليهِ بمجرد نور الطبيعة الموهوب لها من الله سبحانهُ ومرجعهُ سلامة الذوق فقط واما الوضعي فمنهُ ماهو مقدس وهو ما جاء من فوق بقوة الوحي والانذار الرباني ومرجعهُ الكتب السماوية ومنهُ ماهو اجتهادي وهو ما قررتهُ القوانين والاعتبارات بحسب ظروف احوال الازمنة والامكنة والاشخاص ومرجعهُ المولفات البشرية ومنهُ اللغات ومتعلقاتها التي هي موضوع كلامنا في هذا القسم

وفي بعض المولفات العربية ما نصهُ واذا قيل العلوم العربية (اي المتعلقة بلغة العرب) فيراد بها الاثنا عشر علمًا المجموعة في قول الشيخ حسن العطار

نحوٌ صرفٌ عروضٌ بعدهُ لغةٌ ثم اشتقاقٌ قريضُ الشعرِ انشاءُ
كذا المعاني بيانُ الخط قافيةٌ تاريخُ هذا لعلمِ العربِ احصاءُ

وبعضهم زاد البديع واخر استحسن زيادة التجويد ومنهم من حصرها في عشرة ومنهم من اوصلها الى خمسة عشر وبالجملة فباب الزيادة والنقص فيها مفتوح اذ حصرها وتقسيمها في ذلك جعلي لا حصري ولكن يستبين ان هذه التي ذكرها الشيخ العطار هي الجديرة بان تسمى مباحث العربية وكذلك قد انهى الزمخشري ايضًا علم الادب الى اثني عشر علمًا وافق في عددها الشيخ الموما اليهِ ولكنهُ خالفهُ في بعض اسمائها فقال هي متن اللغة وعلم الابنية والاشتقاق والاعراب والمعاني والبيان والعروض والقوافي وانشاء النثر وعلم قرض الشعر وعلم الكتابة وعلم المحاورات وهو ما تحاور بهِ صاحبك من نظم او نثر او حديث او نادرة او مثل سائر ومعرفة ايام العرب وانسابها ويشمل ذلك كلهُ علم التاريخ وبعضهم ابدل الاشتقاق بالبديع وقد نظمها النواجي ايضًا فقال

لغة وصرف واشتقاق ونحوها علم المعاني والبيان بديعُ
وعروض قافية وانشا نظمها بكتابة التاريخ ليس يضيعُ

وفصّلها السيد الشريف الجرجاني فقال ان علم الادب يشمل جميع العلوم العربية وهو علم يحترز بهِ عن الخلل في كلام العرب لفظاً وكتابةً واقسامهُ تنقسم الى اصول هي العمدة في ذلك الاحتراز ومنها فروع

اما الاصول فالبحث فيها اما عن المفردات من حيث جواهرها وموادها فعلم اللغة او من حيث صورها وهيئتها فعلم الصرف او من حيث انتساب بعضها الى بعض بالاصالة والفرعية فعلم الاشتقاق واما عن المركبات على الاطلاق فاما باعتبار هيئتها التركيبية وتاديتها لمعانيها الاصلية فعلم النحو واما باعتبار افادتها لمعانٍ مغايرة لاصل المعنى فعلم المعاني او باعتبار كيفية تلك الافادة في مراتب الوضوح فعلم البيان واما عن المركبات الموزونة فاما من حيث وزنها فعلم العروض او من حيث اواخر ابياتها فعلم القافية

واما الفروع فالبحث فيها اما ان يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط او يختص بالمنظوم في العلم المسمى بقرض الشعر او بالمنثور فعلم انشاء النثر من الرسائل والخطب اولا يختص بشيء منها فعلم المحاضرات ومنهُ التواريخ واما البديع فقد جعلوهُ ذيلاً لعلمي البلاغة لا قسماً براسهِ

الكلام على اللغات

اللغة في الاصطلاح اصوات يُعبّر بها كل قوم عن اغراضهم وقيل ما جرى على لسان كل قومٍ وقيل الكلام المصطلح عليهِ بين كل قبيلةٍ وقيل اللفظ الموضوع للمعنى وقيل اشتقاق اللغة من لغى بالشيء اي لهج بهِ ولا يبعد ان تكون ماخوذة من لوغوس باليونانية ومعناها كلمة

وقال العلامة الفاضل رفاعة بك الطهطاوي يبتدأ باللغات اولاً لانها

ضرورية في افهام السامع معنىً يحسن سكوت المتكلم عليهِ ولازمة في التفهم والاستفهام وفي المخاطبات والمحاورات كما هو مسلم بهِ عند جميع الامم

ولا يمكن ان يعرف بالتحقيق اية لغة هي اوَّل اللغات والادعاء بذلك من بعض القبائل يكون على الاطلاق بالتبعية الى دعوى الاصل والقدمية كما ذكر ذلك الفاضل الموما اليهِ وايدهُ بحكاية اوردها عن احد ملوك مصر ملخصها انهُ لما اراد ان يري المصريين بانهم ليسوا اقدم الجميع كما يزعمون صنع تجربةً غريبة وهوانهُ امر بتربية طفلين صغيرين في خصٍ ورتب لهما راعيًا ليرضعهما بلبن المعز وقيل رتب لهما مرضعات وقطع السنتهنَّ ونهى ان لا يدخل احد عندهما في خصهما وان لا يتكلم الراعي بحضرتهما فلما بلغ الطفلان سنتين دخل الراعي عندهما على العادة فصاح كل منهما ومدَّ يده للراعي وقال بكوّس بكوّس فتعجب الراعي من هذه اللغة الغريبة التي كرراها عليهِ واخبر الملك بذلك فامر باحضارهما بين يديهِ ليسمع ذلك منهما بنفسهِ فصاحا بتلك الكلمة السابقة فلم يبقَ حينئذٍ الاَّ معرفة تلك الكلمة في اية لغةٍ من اللغات فمن كانت مستعملة عندهُ من الامم فهو الاقدم فبحث عن ذلك غاية البحث فوجدها مستعملة عند امةٍ يقال لها فريجية من بلاد اناطولي ومعناها عندهم الخبز فعرف بذلك ان لكل امة من الامم حقًّا ان تدعي الاقدمية اي الاولية النسبية وليس هذا من خصوصيات مصر

وقال الكاتب البارع القس لويس الصابونجي في مقالة طبعت في احدي جرائد الجنان سنة ١٨٧٠ م ما ملخصهُ اللغة من حيث هي الالفاظ المخصوصة الدالة على المعاني المقصودة وطريقها الكلام والكتابة تختلف صيغها باختلاف الامم ودرجات علومهم وتمدنهم

وقد قسم المحققون اللغات الى مراتب والمراتب الى فروع والفروع الى اجزاء والمعلم أدِلنج اللغوي قسم اللغات الى ما كان ذا هجاء واحد والى ما كان ذا هجاء متعدد ثم جزَّأ ما كان ذا هجاء واحد الى فرعين اي الى اللغة الصينية

التي لكل كلمة منها علامة والى اللغة التيبتية التي كل علامة منها تدل على هجاء واحد ثم ما كان ذا هجاء متعدد الى اربع مراتب كبرى الاولى اللغة الهندية الاوروبية الثانية الاسية الثالثة الافريقية الرابعة الاميريكانية واما المعلم بالبي في كتابهِ المعنون بالاطلس الايثوغرافي فقد قسم اللغات الى خمسة اقسام على عدد اقسام الكرة العامرة وحذا حذوهُ عمدة لغويي عصرنا وهي

اولاً لغات اسيا

وتقسم الى تسعة اسباط . الاول يتناول اللغات السامية كالعبرانية والكلدانية والسريانية والفينيقية والعربية

الثاني اللغات القوقاسية كالارمنية الاصلية الكتبية والدارجة والكرجية والبلغارية وفروعها

الثالث يشمل لغات مادي كالزندية والبهلوية والفارسية والافغانية والكردية

الرابع يتناول اللغات السيزغنجية وهي على فرعين اولها ينطوي على اللغات السنسيكريتية كلغة السنسيكريت الاصلية والبالية والهندية والغرزانية والبنديابية وفروعها وثانيهما يحتوي على اللغات الملابارية كلغة مالابار الاصلية واللغة المارهراتية والتمولية وفروعها

الخامس يشمل اللغات الاترانسفانجية كالصيامية التي تولف من (٣٧) حرفًا والاوسية والكامبودية والبورمانية التي تولف من (٣٣) حرفًا ماخوذة من حروف السنسكريت

السادس يتناول اللغات الصينية كلغة الصين الاصلية التي تولف من (٤٤٤٤٩) علامةً واما الآن فقد اقتصر علماء الصين على (٣٥) الف علامةً فقط يرقمونها من فوق الى اسفل ثم اللغة التونكينية والكوشينصينية

السابع يحتوي على اللغات التترية كالمنغولية والتركية الشرقية الدارجة

في بر الاناطولى والتركية الاوروباوية ويلحق بهذا السبط الفروع الطنفورية كالمجورية ومشتقاتها

الثامن يشتمل على اللغات السيبارية المتفرعة الى يانزيانية ويوكاجيرية وقوزاقية وقجدلية ومشتقاتها

التاسع يشمل اللغات الجرزية مثل القوريليانية واليابونية وفروعها

ثانيًا لغات اوروبا

وهي ستة اسباط . الاول يشمل اللغات الايبارية

الثاني يتناول اللغات الجاتيكية كالبريتونية والغالية والايرلندية والاسكوتية وفروعها

الثالث يشمل اللغات الجرمانية المتفرعة الى فرعين اولها ينطوي على اللغات السكندينياوية كالغوطية والايسلندية والسويدية والدانياركية وثانيهما يحتوي على اللغات التوتونية كالالمانية والهولندية والغريزونية والانكلسكسونية والانكليزية

والرابع يتناول اللغات الاسلاوية كالاسلافونية والمسكوبية والسربية واللاهية والشكية والليطوانية

الخامس يشمل اللغات الاورليانية مثل اللابونية والمجرية وفروعها

السادس يتناول اللغات الاتراكوبيلاسجية اي اليونانية وفروعها كالاغريقي القديم والرومي الدارج والارناوطي ثم اللاتينية وفروعها كالابروفنسال والفرنساوي والاسبنيولي والبورتوغالي والايطالياني والرومنشلي والفلاخي

ثالثًا اللغات الافريقية

وهي خمسة اسباط . الاول يتناول لغات الاقاليم النيلية كاللغة المصرية

او القبطية والنوبية والحبشية

الثاني يشمل لغات جبل اطلس كالبربرية وفروعها

الثالث يحتوي على لغات السودان القاطنين على الشطوط البحرية كالمندينفية والاشنطية والاردراهية وفروعها

الرابع يشتمل لغات افريقية الجنوبية كالكفرية والكونفية والهونوتية والمونوموتابية وفروعها

الخامس ينطوي على لغات السودان القاطنين اواسط افريقية كلغتي هاوسا وبورنوان الاصليتين مع لغة تمبكتو المشتقة منهما

رابعًا لغات امريكا

وهي ثلثة اسباط . الاول يشمل اللغات الشمالية كالناطشزية والهورونية والشروقية والمهاوقية والسيوية والاوزاجية والشوقشية والاسكيموية وفروعها

الثاني يشمل لغات الاقاليم الوسطى كالمايابية والازدكية والاوتومية

الثالث يتناول لغات الاقاليم الجنوبية كالغيشوابية والايمارابية والشيكيتوية والزاماكائية والموبيمية والكايوبالاية والصابيبوكونابية والماشيكوية والابيبونية واللولية والغارانية والتاماناكية والاوراغوانية

خامسًا لغات الاوقيانوس

وهي سبط واحد اصلي . يسمى المالىزي ومنهُ تفرع اللسان الياباني والاوقياني والمالايي والماديكاسي وغيرها مما لهُ نسبة معها كلغات السودان القاطنين بقية جزائر الاوقيانوس

فصل

في كمية لغات العالم وبيان المهجور منها والمستعمل

قد اختلف المحققون في كمية لغات العالم فمنهم من قال انها الفان ومنهم من اوصلها الى الالفين وستماية ومنهم من ذهب الى ان اللغات التي تتكلم بها البشر على سطح كرة الارض باعتبار اصولها وفروعها تبلغ (٣٠٦٤) لغة منها (٩٨٧) في قارة اسيا و(٥٨٣) في قارة اوروبا و(٢٧٦) في افريقية و(١٢٦٤) في امريكا و(٧٩) في جزائر الاوقيانوس وكل ذلك ينقسم الى قسمين مهجور ومستعمل

فالمهجور منها هو ما انقرض اهلهُ ولم يبقَ الاّ في الكتب مثل اللغة اليونانية التي هي اصل اللسان الرومي الموجود الآن وكانت هذه اللغة منتشرة سابقًا في جزء عظيم من بلاد اوروبا واسيا وافريقية واصل انتشارها في مبدا الامر هو هجيج اليونانيين بالبلاد الغربية للاستيطان بها ثم بعد ذلك انتشرت بتغلب الاسكندر الرومي (المكدوني) على بلاد الدنيا ثم بعدهُ بحكم خلفائهِ وهم ملوك الطوائف وكذلك اللغة اللاتينية وهي متخلقة من لغة طائفة ببلاد اليونان ثم بعد ذلك اتسعت وصارت مثل اللغة اليونانية في العظم بفتوحات الرومانيين للبلاد واللغة القبطية وهي لغة قدماء المصريين والعبرانية وهي لغة بني اسرائيل والسريانية وغير ذلك ومعرفة مثل هذه اللغات الآن نافعة لمن اراد الاطلاع على كتب الاقدمين

اما اللغات المستعملة الآن غير الرومي فهي اللسان الفرنساوي والايطالياني والبورتوغالي والاندلسي المتولدين من اللاتيني واللسان النمساوي والفلمنكي

والانكليزي والدانيماركي المتولدين من الغوطي والتودسكي ولغة المسكوب وبلاده وغيرها المتولدين من لسان الصقالبة ثم لغات الصينيين واهل يابونيا ولسان الترك المستخرج من لسان يقال لهُ الوايغور ولغات اهل التبت والتتار المنجو ولسان المليباريين واما لغات سودان افريقية فهي معروفة قليلاً ولا يمكن حصرها لانهُ يوجد بينها اشتراك واما لغات هنود اميريكا فانها لم تكمل معرفتها للافرنج نظير لغات سودان افريقية وانما تذكر منها لغتين وهما لغة كيتو ولغة غوران

والبعض من علماء هذا العصر حاولوا ايجاد لغة عامة للعالم اجمع املاً بتسهيل الاشتراك بينهم وتعميم المعارف وتوسيع دائرة التجارة ومنهم المعلم يوحنا ويلكِنس وليبنيز وسسوطس واوشاندوس وغيرهم ولكن خاب مسعاهم لِما في ذلك من الموانع والمصاعب لان انتشار وتعميم لغة مثل هذا يفترض وجود المعارف والعلوم عند كل امةٍ وشفقةٍ لتسهيل انتشارها وتعميمها لديهم والموصل الى هذا شرطان اولهما ان يتفق البشر جميعًا على حقيقة وماهية الاشيا وثانيهما ان يتفقوا على قبول واستعمال تلك اللغة والغاء لغة اجدادهم وطائفتهم وذلك يستلزم ارتقاهم الى درجة سامية في العلوم والمعارف بحيث يدركون ما في ذلك من المنافع وينتصرون على ما في ذلك من المصاعب فاذًا باعتبار الاصول الحالية يكون ايجاد لغة عامة في الدنيا ضربًا من المحال وانما المعوَّل عليهِ في هذا الباب هو انهُ كلما كثر التمدن عند قوم انسعت لغتهم وكان لها قواعد تضبطها لفظًا وكتابةً ويُراد بالنحو في الاصطلاح الدارج تلك القواعد من حيث هي وممن حاز قصبات السبق في هذا المعنى اللغة الآتي ذكرها

اللغة العربية

وهي لسان العرب الذي اخذ منهُ الفرس والترك كثيرًا من الكلمات وهو منتشر في الجزء الجنوبي والغربي من بلاد اسيا وفي بلاد افريقية الشمالية

ويتفرع عنهُ فروع كثيرة كما انهُ هو يتفرع عن غيرهِ من اللغات الشرقية القديمة كالعبراني والسرياني ولسان الصوريين ولسان قدماء العراق وقد استظهر بعض الكتبة من الافرنج بان الذين يتكلمون بهذه اللغة لا يعرف عددهم تماماً ولكن يظهر بانهم ينوفون عن المائة مليون من الانفس وانهُ في سنة ١٨٦٦م بلغهُ ان العربية موجودة ايضاً في غربي افريقية وان هذه اللغة قد امتدت من الحبش والجزائر بواسطة القبائل المستوطنة في البرية حتى انها وصلت في هذه الايام الى حدود بلاد ليبريا على شطوط البحر الاتلانتيقي الى ان قال ان عدد سكان الارض ينوف عن (١٢٦٣) مليون عالم وعلى هذا الموجب يكون لابد لكل (١٢) نفراً او اقل من ذلك من البشر من واحد يتكلم باللغة العربية

ووصف ملطبرون هذه اللغة بانها كثيرة الكلمات المترادفة على معنى واحد فمن ذلك البعير لهُ نحو الف اسم وللاسد نحو خمساية وهكذا وقد اغفل العكس اذ انهُ كثيراً ايضاً ما توجد لفظة واحدة تترادف عليها عدّة معاني مختلفة كما في المقامة الثانية والثلاثين للحريري المسماة بالحربية والقصيدة الخالية للمعلم بطرس كرامة وقد عن لي مرةً ان اجمع من القاموس الالفاظ المختصة باوصاف الرجال والنساء من مليح وقبيح فبلغ ما جمعتهُ بعد كلّ ما اهملتهُ نحو مائتين وخمسين لفظة اكثرها يختص بالطويل الاحمق ومع ذلك لم اتم حرف الحاء فوجدت نفسي حينئذٍ انني اذا اكملت مشروعي هذا فاكون جمعت كتاباً كبيراً يحتوي على معظم القاموس فعدلت عنهُ

ولغة الكتب والعلوم لا توافق اللغة الدارجة بين العوام فضلاً عن لغات اهل الوبر التي لا تتفق اصلاً مع لغات اهل الحضر واللغة الدارجة لا ضابط لها ولا قاعدة بل تختلف باختلاف الاقاليم والبلاد والمدن والقبائل وتقبل الكلمات الدخيلة والتغيير والتبديل وقد تعظم المباينة بين لغات العرب المتداولة كلما عظم بعد الاقاليم عن بعضها وفي محيط المحيط ما نصهُ ومن انواع اللغة الاصلية والمولدة والمعربة والمعجمة والمختلفة والمعروفة ولغات الاضداد وهي

اللغات الدالة على معنيين متضادين كالبيع فانه يطلق على الشراء ايضًا وهي داخلة في المشترك وظن بعضهم ان الاضداد والمشترك نوعان وليس الصحيح

وكان اوّل من نطق بالعربية على ما ذكروا هو يعرب بن قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح جدّ العرب

اما الذين يوثق بعربيتهم من قبائل العرب العرباء فهم سبعة وهي قريش وهذيل وهوازن وكنانة وبني تميم وقيس وغيلان واليمن وهذه القبائل هي اوساط العرب ولا تعتبر لغات القبائل الاخر لاختلاطهنّ مع الاعاجم على ما ذكرهُ صاحب تذكرة الحكم وقال اخرون ان القبائل الموثوق بعربيتهم هم بنو قيس وتميم واسد وهذيل وبعض الطائيين

وقد كانت تشعبت هذه اللغة قبل الاسلام الى لغتين اصليتين وهما لغة قريش ولغة حميَر وكانت الاولى مستعملة بمكة وما حولها والثانية ببلاد اليمن فلما نزل القرآن بلغة قريش غلبت هذه اللغة على لغة حمير وبقيت متداولة في المكاتبات والتاليف والاشعار ويستبين الفرق بينهما من حكاية اوردها بعضهم عن ابي العباس السفاح اوّل خلفاء بني العباس وكان يعجبهُ السمر ومنازعة الرجال فحضر ذات ليلةٍ عندهُ ابرهيم بن مخزمة الكندي وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا في الحديث وتذاكروا مُضَر واليمن وكان خالد مضريًّا وابرهيم يمنيًا فقال خالد لابرهيم الكَ علمٌ بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجحجمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشنابير قال فما اسم الذئب قال الكتع قال أفعالمٌ انت بكتاب الله عزّ وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا انزلناهُ قرانًا عربيًّا وقال تعالى بلسانٍ عربيٍّ مبين فنحن العرب والقرآن بلساننا انزل الم ترَ ان الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل الجحجمة بالجحجمة وقال السن بالسن ولم يقل الميدن بالميدن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم ولم يقل شنابيرهم في صناراتهم وقال

ايضا فاكلهُ الذئب ولم يقل فتكالهُ الكتع فضحك ابو العباس واقرَّ لخالدٍ وحباها جميعًا

ثم ان اوّل من دوّن اللغة في الاسلام هو رجل يقال لهُ ابو عبيدة مُعمّر بن المثنى البصري كان معلمًا لهرون الرشيد الخليفة الخامس من بني العباس وكان من الشعوبية (وهم فرقة لا تفضّل العرب على العجم واحدهم شعوبيٌّ وقيل الشعوبي من يحتقر امر العرب او كل من ليس بعربيٍّ) واعلم الناس بلغة العرب واخبارهم وايامهم وانسابهم ولهُ تصانيف كثيرة تقرب المائتين وكان شديد العناية بقيود اللغة وغرائبها ولهُ في ذلك كلام كثير منهُ قولهُ لا يقال كاس الاَّ اذا كان فيها شراب والاَّ فقدح ولا مائدة الاَّ اذا كان عليها طعام والاَّ فخوان ولا كوز الاَّ اذا كان فيهِ عروة والاَّ فكوب ولا قلم الاَّ اذا كان مبريًّا والاَّ فقصب ولا فرو الاَّ اذا كان عليهِ صوف والاَّ فجلد ولا اريكة الاَّ اذا كان عليها حجلة والاَّ فسرير ولا خدر الاَّ اذا كان خلفهُ امراة والاَّ فستر ولا رضاب الاَّ ما دام في الفم والاَّ فبصاق ولا عويل الاَّ اذا كان فيهِ رفع صوت والاَّ فبكاء ولا ركية الاَّ اذا كان فيها ماء والاَّ فبئر ولا كمي الاَّ اذا كانت تحت السلاح والاَّ فبطل ولا آبق الاَّ اذا كان عبدًا والاَّ فهارب وكثير من امثال ذلك في كلامهِ توفي بالبصرة سنة ٢٠٩ للهجرة (سنة ٨٢٤ م)

واول من وضع علم متن اللغة وهو علم تعرف بهِ مباني الالفاظ العربية اي معرفة اوضاع المفردات (وكتب اللغة هي التي تتكلم عن تلك الاوضاع وربما سماها المولدون بالقاموس) هو ابو علي محمد بن المستنير بن احمد النحوي اللغوي مولى سالم بن زياد المعروف بقطرب تلميذ سيبويه وكان من ائمة عصرهِ ولهُ تصانيف كثيرة في مواضيع مختلفة منها كتاب معاني القرآن وكتاب الاشتقاق وكتاب القوافي وكتاب النوادر وكتاب الازمنة وكتاب الفرق وكتاب الاصوات وكتاب الصفات وكتاب العلل في النحو وكتاب الاضداد وكتاب خلق الفرس وكتاب خلق الانسان وكتاب غريب الحديث وكتاب الهمزة

وكتاب فعل وافعل وكتاب الرد على الملحدين في تشابه القرآن وغير ذلك ولما وضع كتابهُ المثلث في اللغة كان اوّل من وضع هذا العلم اي علم متن اللغة على ما ذكرنا ثم وان يكن كتابهُ صغيرًا لكن لهُ فضيلة السبق وبهِ اقتدى ابو محمد عبدالله بن السيد البطليوسي وغيرهُ كالتبريزي والخطيب ابي زكريا توفي سنة ٢٠٦ للهجرة (سنة ٨٢١ م)

واما القواميس او هي الكتب التي الفت بعد ذلك من الائمة في اللغة فهي كثيرة لاحاجة الى تعدادها غير ان العلماء من السلف بنوا مقصد اللغة على اسلوبين فالبعض يذهبون من جهة اللفظ الى المعنى فيسمعون الالفاظ ويطلبون المعاني وبعضهم بالعكس فالذين ذهبوا الى الاسلوب الاوّل وضعوا علم اللغة على حروف الهجاء كما فعل بن فارس ومعرب المطرزي والذين ذهبوا الى الاسلوب الثاني جمعوا الاجناس بحسب المعاني وذكروا كل جنسٍ في باب كما فعل الزمخشري

وكثيرون من هولاء الأيمة كانوا من الاعاجم وقد ترددوا زمانًا طويلاً في احياء العرب حتى جمعوا لغاتها في مولفاتهم ومنهم صاحب صحاح الجوهري اسمعيل بن حماد ابي نصر الفارابي وهو تركي من مدينةٍ يقال لها فاراب وبعد ان جمع كتابهُ المذكور على هذه الصورة دفعهُ الى العرب وقال خذوا لغتكم من رجلٍ اعجمي توفي في سنة ٣٩٣ للهجرة (سنة ١٠٠٣ م)

ثم لما نبغ محمد بن يعقوب بن ابرهيم بن ابي بكر بن فضل الله الشيرازي الفيروزابادي مجد الدين ابو طاهر المولود في مدينة كازرون من بلاد العجم في سنة ٧٠٩ للهجرة (سنة ١٣٠٩ م) وتوفي في مدينة زبيد الف كتابهُ الذي سماه باللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب وكان ستين مجلدًا ثم بعد ذلك لخصهُ وسماهُ القاموس ومع كونهِ اخذ عن الصحاح المذكور للفارابي المشار اليهِ فقد ادّعى بالفضل عليهِ واراد تعطيلهُ في مواضع شتى فقال في ذلك الشيخ عبد الغني النابلسي

من قال قد بطلت صحاح الجوهري لما اتى القاموس فهو المفتري
قلت اسمهُ القاموس وهو البحر ان يفخر فمعظم فخرهُ بالجوهرِ

ومن وصف الفيروزابادي المذكور كتابهُ بانهُ جامع بين المحكم والعُباب تمكن معرفة اسباب دعواهُ بالفضل على صاحب الصحاح حسبما ذكرنا اذ ان المحكم في اللغة هو الذي لم يمازجهُ فساد وذلك اشارة لما اودعهُ في كتابهِ من الالفاظ العربية الخالصة التي لم يمازجها فساد الاختلاط مع الاعاجم واما العباب فهو معظم السيل وارتفاعهُ وكثرتهُ او موجهُ واوّل الشيء وربما اشار بذلك لِما اضافهُ فيهِ من الالفاظ الدخيلة على اللغة بسبب الاضطرار اليها في ادخال العلوم القديمة بين العرب على عهد الخلفاء العباسيين كما سبقت الاشارة الى ذلك في الفصل الخامس من المقالة الاولى من هذا الكتاب وما احسن ما قالهُ العلامة الفاضل الدكتور كرنيليوس ڤانديك في احدى خطبهِ ونصهُ . وفي ادخال العلوم الحديثة في اللغة العربية صعوبات من عدم وجود اصطلاحات مناسبة لها ولا يعدُّ ذلك نقصًا او خللاً في اللغة ذاتها وانما قد حصل من عدم الاعتناء بها ومن تقدم جميع العلوم والفنون واهمال اللغة فنضطر الآن الى ادخال الفاظ غريبة فيها ماخوذة من لغاتٍ اخر وغالبًا من اليونانية ولماذا نشمئز من ذلك الا نرى القدماء في زمان الخلفاء من بني العباس عند ترجمتهم كتب اليونانيين الى العربية ادخلوا الفاظًا كثيرة من اليونانية اذ وافقهم ذلك مثل هيولى واخيون وارخون وافاقيا وهلمّ جرًّا ومن الفارسية كبولاد وباذنجان ورانبج وبرنامج وسنبادج ويوجد ايضًا بعض كلمات من التركية والعبرانية والسريانية ومن هذه الاخيرة قد أُدخل وزن فعل لم يوجد في العربية مثل شَقلَبَ وشَلهَبَ وزن شَفعَلَ من قلب ولهب وهذا لا يعدُّ فسادًا في لغةٍ بل منفعة لها فتتسع وتتقوّى اذا امكنها ان تضم الى ذاتها محاسن بقية اللغات واصطلاحاتها انتهى كلامهُ وقال اخرون ان الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمةٍ واحدة عربية كجواليق وجرموق وجردق وجوسق وجلاهق والقبج وكذلك

الجيم والصاد مثل صهريج وجص وصاج وجصطل وغير ذلك وهو مطرد وقالوا ايضا ليس في كلامهم تاء اصلية بعدها جيم غير لفظ التجارة واما الجبت ومعناهُ الصنم والكاهن والساحر وكل ما عُبد من دون الله فهو ليس بعربي وقيل اصلهُ الجبس وهو الذي لا خير فيهِ فقلبت سينهُ تاء اه على اننا نرى ذلك جميعهُ مستعملاً في العربية ومثبتًا في مولفات الاقدمين وانشا آتهم هذا فضلاً عن اسماء اطعمتنا التي يستبين باننا استمديناها جميعها من مطابخ العجم والاتراك كالرشته والبرق والقپامه والكباب والكفته والبوغاجه والشبشبرك والقيمة واللخنة والزرده والقباق بوستي وغيرهُ مما لا حاجة لتعدادهِ لانهُ معروف ولولاهُ لكنا لم نزل نقنات اما بالثريد اذا كنا موسرين واما بالعلهز وامثالهِ اذا كنا على خلاف ذلك

الكلام على الكتابة

اذا نظرنا الى الكتابة من جهة ما يتعلق بنقوشها فتكون من الفروع كما قال السيد الشريف واما اذا نظرنا اليها من جهة تبليغها المعاني المقصودة الى الذهن فتكون هي واللغة سيين ولا اختلاف بينهما الاَّ في طريقة ذلك التبليغ اذ ان الالفاظ توصلهُ الى محلهِ بواسطة رناتٍ يرسمها صوت الانسان في الهوا يميزها السمع واما الكتابة فتوصلهُ بواسطة نقوشٍ ترسمها يد الانسان على الكاغد يميزها البصر فاذن من الواجب الحاقها هنا بعد اللغات التي سبق الكلام عليها

قال بعض المولفين الكتابة هي ذلك الخط المتحصل من تلك الرسوم والاشكال الحرفية الدالة على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس وهو ثاني رتبةٍ من الدلالة اللغوية وهذه الصناعة شريفة من خواص الانسان التي يمتاز بها عن الحيوان شديدة النفع عند جميع الامم ومن اوصافها انها روح المعاملات واحضار الماضي ورسول المراد ونصف المشاهدة

ان الشعوب التي لا تعرف هذه الصناعة يكون حفظهم هو مستودع معارفهم ويمكن ان ما يحفظونهُ من التواريخ والاشعار وغيرها من عقائد الدين ونحوها ينتقل من جيلٍ الى اخر لكنهُ لما كان من الصعب حفظهُ مصونًا حرفًا بحرف كان كثيرًا ما يقع فيهِ من التغيير ولذلك كان القدماء ينظمون التواريخ ليسهل عليهم حفظها لان النظم يرسخ في الذهن اكثر من النثر

ويقال بان اهل برو باميركا كانوا يستعينون على الحفظ بعقدهم عقدًا مختلفة لتدل عندهم على معانٍ متنوعة وصور كذلك تذكرهم بمدلولها يسمونها كيبوس وكذلك الذين اعتنوا من القدماء المذكورين بتهذيب اللغة وتعقيدها كالصينيين وقدماء القبطة لان الصينيين لهم نصب ولكن ليس لهم حروف تتركب منها الكلمات الدالة على المعاني بل لهم علامات بقدر ما عندهم من الكلمات فمن اراد ان يتعلم لغتهم يلزمهُ ان يتعلم العلامات الدالة على الكلمات ايضًا وقيل ان بعض هذه العلامات مركبة فيحلها يفهم معناها من اجزائها واما قدماء القبطة فكانت كتابتهم اشاراتٍ وصورًا وجميع معابدهم وابنيتهم وتوابيتهم ومقابرهم مملوة من هذا الخط الذي لا يعرفهُ الاَّ الكهنة فقط واما العامة فكان لهم اخيرًا قلم خاص بهم ويروى بانهُ قد اهتدى منذ عهدٍ قريب الى فك قلم الكهنة المذكور رجل من علماء الفرنساويين يقال لهُ شمبوليون

واما اليونانيون فقد حقق بعضهم بانهم كانوا لا يعرفون الكتابة في قديم الزمان حين محاصرة بلاد ترِوادة وان اشعار شاعرهم اوميروس كان المداحون ينشدونها في البلاد وهي المتعلقة بهذه المحاصرة من غير ان تكون مدونة ثم تعلموا الكتابة من اهل فينيقية ومنهم انتقلت الى الرومانيين ثم سارت حروف الرومانيين اللاتينية الى البلاد التي كانوا يحكمونها والى بلاد الانكليز والفلمنك وبولونيا اي بلاد له ثم الى البلاد المتحدة باميريكا واما المسكوب فقد استعملوا في كتابتهم حروف اليونانيين بعد تغييرها واما النمسا واهل دانيمارکه والسويج فان كتابتهم بحروف ماخوذة من قلم يسمى غوثيق (غوطي) كان قلم الرهبان

في الاعصر الوسطى ويوجد الآن من يعرفهُ واما قدماء اسوج فكانوا يكتبون خطوطهم اشبه بخطٍ يقال لهُ ايتروسك يوجد في ابنيتهم وبخط السلتيبريين ببلاد اسبانيا المنقوش على معادنهم من قديم الزمان وهي رسوم مختلفة الوضع سهلة النقش والقراءة

وكان من اكبر اسباب عدم تقدم الكتابة وقتئذٍ ندرة وجود شيء يكتب عليهِ فكان بعضهم يكتب على الجلود وبعضهم على اوراق الشجر وخوص النخل الى ان ظهرت صناعة الورق في اواخر القرن الحادي عشر للميلاد فتحسنت من ذلك الوقت صناعة الخط والكتابة وانتشرت العلوم ولما ظهرت صناعة الطباعة رخصت اسعار الكتب ايضاً

وقد ذكرنا في الفصل الثامن من المقالة الاولى ان الذي احدث صناعة الطباعة هو يوحنا غوتمبرج ويعرف بالمينسي نسبةً الى ميانسة من اقليم استراسبورغ ببلاد جرمانيا وكان ذلك في سنة ١٤٣٦ م غير انهُ يوجد ايضاً في مدينة هرلم من بلاد الفلمنك تمثال موضوع في احدى ساحات المدينة لرجل يقال لهُ لورانت كستر يعتقد اهل الفلمنك بانهُ هو اوَّل من اخترع طباعة الكتب ولعلهُ اصطنع الحروف المقطعة اعني كل حرف على حدتهِ ويتركب منها اخيرًا الكلمات صفًا ويكون المخترع الاصلي اخترعها بطريقة نقش الكلمات حفرًا على صفحات الالواح ولكن المحقق ان هذه الصناعة بما هي عليهِ ليوحنا غوتمبرج المذكور

واما الذي حققهُ اكثر المحققين عن حروف الكتابة فهو انها من مخترعات الفينيقيين وان كان بعضهم يزعم انها من اوضاع قدماء المصريين ومن ادلتهم على ذلك هو اتخاذ اليونانيين هذا الفن عن السوريين قال بعض المولفين ان الحروف اليونانية هي عين الحروف السريانية الا انها تحولت من الشمال الى اليمين

والمراد بحروف الكتابة هنا هو تلك الرسوم والنقوش التي كل واحد منها يدل

على صوتٍ معتمد على منطعٍ محقق او مقدَّر من مقاطع الحلق عند ما يقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحنك والحلق والاضراس او يقرع الشفتين ايضاً فتتغاير كيفيتهُ بتغاير ذلك القرع وتجيء الحروف متميزة في السمع وتتركب منها تلك الكلمات الدالة على ما في الضمير حسبما ذكرنا في ما مرّ كما ان هذه الحروف متى تركبت ووقع عليها البصر تصورها الذهن ايضاً ويكون كل من تمكن من معرفتها قادراً ان يتمكن من معرفة كل ما يمكن ان يصل اليهِ العقل البشري غير انهُ لم تكن الامم كلها متساوية في النطق بها اذ قد يكون لامةٍ من الحروف ما ليس لامة اخرى فان للفرس مثلاً حروفاً ليست في لغة العرب وهكذا الافرنج والترك والبربر وغيرهم

وحيث ان مخارج هذه الحروف هي من الحلق واللسان والشفتين على ما ذكرنا وكل واحدٍ منها يختص بحروف معلومة قالت العرب ان اقصى الحلق للهمزة والهاء والالف ووسطه للعين والحاء وادناهُ للغين والخاء وما يليهِ للقاف وما يليهِ للكاف وما يليهِ للجيم والشين والياء واول حافة اللسان وما يليهِ في الاضراس للضاد (الحرف الذي تفتخر العرب بالنطق بهِ لانهُ لا يوجد في غير لغتهم) وما دون حافتهِ الى منتهى طرفهِ ومحاذي ذلك من الحنك الاعلى للام وما بين طرفهِ وفوق الثنايا للطاء والدال والتاء وما بينهُ وبين الثنايا للظاء والذال والثاء وباطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا للفاء وما بين الشفتين للباء والواو والميم

ووصفوا هذه الحروف ايضاً باوصافٍ وهي اولاً المهموسة وهي التي لا يحتبس معها جري النفس ويجمعها قولك سكَتَ فحثّهُ شخصٌ ثم المجهورة بخلافها وهي ما عداها والشديدة وهي ما ينحصر جري صوتها عند اسكانها في مخرجها ويجمعها قولك اجِدُكَ تُطبِقُ والمتوسطة بين الشدة والرخاوة ما عداهما والمطبقة هي ما ينطبق اللسان معها على الحنك الاعلى وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والمنفتحة بخلافها وهي ما عداها والمستعلية وهي ما يرتفع اللسان معها وهي المطبقة

والخاء والغين والقاف والمنخفضة بخلافها وهي ما عداها واحرف الزلاقة وهي ما يسرع النطق بها ويجمعها قولك مرَّ بنفلٍ والمصمتة بخلافها وهي ما عداها واحرف القلقلة وهي ما ينضم فيها الى الشدة ضغط غير سكونها وهي حروف قطبُ جدٍّ وحروف الصفير لانها تخرج من بين الثنايا واطراف اللسان وهي الزاي والسين والصاد والحروف المعتلة وهي الواو والالف والياء وعدَّ بعضهم الهمزة منها لقبولها الاعلال

ثم انهم اصطلحوا في الدلالة على هذه الحروف المسموعة باوضاع حروف مكتوبة متميزة كوضع ا للالف وب للباء وت للتاء الى اخر ثمانية وعشرين حرفًا جمعوها بهذه الكلمات وهي ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت تخذ ضظغ قال بعضهم انها جمعت كذا لسببين احدها مراعاةً لحساب الجُمَّل (الذي نشأ عنهُ كثير من الخرافات) لانهُ من الالف الى الطاء المهملة حساب الاحاد ومن الياء الى الصاد المهملة حساب العقود ومن القاف الى الظاء المعجمة حساب الميئات والغين المعجمة عبارة عن الالف واما المغاربة من العرب فلهم فيها اعتبار اخر منهُ ان الضاد عندهم بتسعين والصاد بستين والثاني تبعًا للغة السريانية التي وجدت فيها هذه الكلمات مرتبة على وفق الحساب المذكور لان اللغة السريانية هي الاصل والعربية فرعها اذ ان ابرهيم الكلداني كانت لغتهُ سريانية ومنهُ ولد اسمعيل جدّ العرب فتكون العرب فرع السريانيين (وهذا مردود)

ولنترك البحث عن حقيقة هذه الدعوى لنعرف ان كان العرَب فرع السريانيين او لا ونلتفت الى تتمة الكلام في ما نحن بصددهِ فنقول وقال اخرون ان احرف الجمّل هذه هي اسماء ملوك من بني المحصل بن جندل من ولد ابرهيم الخليل وقيل بل غيرهم وان ابجد كان ملك مكة وهوز وحطي ملكان كانا بالطائف وكلمن وسعفص ملوك بمدين وان شعيب (وهو رعويل كاهن مدين حمو موسى النبي) كان في ملك كلمن وقيل ان من ابجد الى قرشت

وكلمن رئيسهم ملوك مدين ووضعوا الكتابة على عدد حروف اسمائهم هلكوا يوم الظُلَّة ثم وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ فسموها الرواد ف قال المنتصر منذر بن المديني

الا يا شعيبُ قد نطقت مقالةً اندت بها عمرًا وتحبي بني عمرو
هم ملكوا ارض الحجاز باوجهٍ كمثل شعاع الشمس في صورة البدرِ
وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا قطورًا وفازوا بالمكارم والفخرِ
ملوك بني حطي وسعفص ذي الند ى وهوز ارباب الثنية والحجرِ

واضاف بعضهم الى الثمانية وعشرين حرفًا المذكورة حرفا اخر وهو الهمزة وقال بل هي تسعة وعشرون حرفا في الصحيح ثم جمعها بقوله

غوثُ خصبٍ طوقُ عزٍّ ظلهُ تاجُ ذكرٍ ضدُّ مفشٍ احسنُ

وقد ينتج مما ذكرنا ان حروف الكتابة في اغلب اللغات وخاصةً اللغة العربية صار لها طبعًا بالنسبة الى رسمها اسم ومسمى فمسمى الجيم مثلاً ج والاسم جيم فالالفاظ حينئذٍ تكتب بمسميات الحروف لا باسمائها نحو زيد مثلاً فانهُ يكتب بمسمى الزاي والياء والدال زيد واذا عرض حرف في بعض الكلمات الاعجمية ليس من الحروف العربية بقي مهملاً عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان وربما رسمهُ بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يليهِ من اللغة العربية قبلهُ او بعدهُ لكن لما كان ذلك ليس بكافٍ في الدلالة بل هو تغيير للحرف من اصلهِ اقتبس بعض مولفي العرب من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قراءة خلف فان النطق بصاده فيها مجعم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على التوسط بين حرفين فصاروا يرسمون كذلك كل حرفٍ يتوسط بين حرفين من الحروف العربية كالكاف المتوسطة عند الاعاجم بين الكاف الصريحة والجيم والقاف مثل اسم كران مثلاً فيضعونها كافًا وينقطونها بنقطة الجيم واحدة من اسفل فيدل على انهُ متوسط بين الكاف والجيم او بنقطة القاف واحدة من فوق واثنتين فيدل ذلك على انهُ متوسط بين الكاف والقاف ثم انهم ميزوا

الحروف العربية المذكورة بالنظر الى ادخال ال التعريف عليها الى نوعين شمسية وقمرية وكل منها (١٤) حرفًا فالشمسية ما اختفت فيها لام التعريف كالشمس والتراب والنور والدار وهي ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن والقمرية وهي ما ظهرت فيها لام التعريف كالقمر والارض والباب والجبل وهي ا ب ج ح خ ع غ ف ق ك م ه و ي ومعرفة ذلك مفيدة غالبًا في اوزان الشعر

وكذلك وصفوا الحرف الذي لا نقطة لهُ بالعاطل ماخوذ من عطل المرأة وهو خلوها من الحلى ونقيضهُ الحالي وهو المنقط ماخوذ من الحلية وهو ما يتزين بهِ من الذهب والفضة ثم ان العاطل قد يكون بالنظر الى مسماهُ فقط مع قطع النظر عن اسمهِ كحرف العين مثلاً فانهُ باعتبار مسماهُ اذا وقع في التركيب لا تلحقهُ نقطة ولكن باعتبار اسمهِ تقع فيهِ الياء والنون من قولك العين وقد يكون بالنظر اليهما جميعًا كالدال فانها اذا وقعت في التركيب لا تنقط وكذا اذا نطق باسمها لم يكن لها نقطة ايضًا ولذلك سمى العلامة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي حرفها عاطل العاطل في ما نظمهُ في المقامة الرملية من كتابهِ المسمى مجمع البحرين

والظاهر ما حكاهُ ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في كتاب التصحيف ان تمييز الحروف المتشابهة في رسمها بالنقط حدث في ايام عبد الملك بن مروان الذي تولى الخلافة في سنة ٦٥ للهجرة (سنة ٦٨٤م) حيث قال وعبر الناس يقراون في مصحف عثمان بن عفان نيفًا واربعين سنة الى ايام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف الى كتابهِ وكان يومئذٍ عاملاً على البصرة لعبد الملك المذكور وسالهم ان يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فقام بذلك النضر بن عاصم ووضع النقط افرادًا وازواجًا وخالف بين اماكنها فعبر الناس بذلك زمانًا لا يكتبون الاَّ منقوطًا فكان مع استعمال النقط ايضًا يقع التصحيف فاحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط بالاعجام

اما اعتراض البعض من الناس على ذلك بقوله لماذا لم يجعل لهذه الحروف المشتبهة رسم يخالف بعضهُ بعضًا لايحتاج الى التمييز بالنقط وتزول بهِ كلفة التركيب وصعوبتهُ في الطباعة الى غير ذلك فنظن ان جوابهُ هو ربما ان هذه الحروف التي لاتمتاز في الرسم عن بعضها الاّ بواسطة النقط لم يستنسب رسمها الاّ على هذه الصورة بسبب مواخاةٍ معنوية بينها فاننا نجد الالكن مثلاً الذي لا يستطيع ان يلفظ السين ينطق بها شينًا وبالعكس وكذلك لقيام احدهما مقام الآخر كما في قبضت وقبصت ونجد كذلك بين العامة استعمال الدال عوض الذال والتاء عوض الثاء بدون ان يتغير المعنى المراد

ويقال بان اغلب الحروف الهجائية متفقة في كل اللغات ومبدوءة بحرف الالف الاّ عند الحبشة فان حرف الالف هو الثالث عشر غير ان العرب والعبرانيين والسريانيين يكتبون من اليمين الى الشمال والصينيون يكتبون من اعلى الى اسفل واما الافرنج فيكتبون من الشمال الى اليمين وقد اختلف في اوفقية ذلك طبعًا فمن اقام الحجة للعرب وباقي الشرقيين استدلّ بترتيب الاعداد فانها مرتبة طبعًا وهي تبتدي من اليمين الى اليسار فالاحاد التي هي اجزاء العشرات تكون على يمين العشرات والعشرات كذلك بالنسبة الى الميئات وهي كذلك بالنسبة الى الالوف واذا كانت الاعداد اصولاً لغيرها يعني اشياء اولية اتفقت فيها الطباع على اختلاف اصحابها دل ذلك على ان مخالفتها مخالفة للاصل وثبت نقيضهُ وهو المراد ومن اقام الحجة للافرنج قال ان قراءة الاعداد لاتبتدئ من الاحاد وحمل القراءة والكتابة على قراءة الاعداد وكتابتها وبرهن بهذا على اوفقية طريقة الافرنج للطبع

ومما اعترض بهِ على الحروف العربية ايضًا عدم وجود دليل على فصل الكلمات عن بعضها كما تفعل الافرنج وقد ذكر لي بعضهم حكايةً في هذا المعنى وهي انهُ جاءهُ ذات يومٍ رجل من الاتراك يحب المطالعة ويرغب في اشعار العرب وسألهُ عن معنى القطاطيب ما هو فتفكر في ذلك برهة ولم يخطر لهُ انهُ

سمع هذه اللفظة قط مدة حياتهِ ومن ثم اجابهُ بانهُ لا يظن ان هذه اللفظة في اللغة العربية فقال لا بل عربية كيف لا وبعض شعرائكم يقول

ولولا المزعجات من الليالي   لما حرم القطا طيبَ المنامَ

فضحك منهُ وافادهُ صحة التلفظ في ذلك الى ان فهم المعنى واعتذر لهُ بانهُ كان يظن لفظة طيب جزءًا من اللفظة التي قبلها

ولنبحث الآن عن كيفية انتشار فن الكتابة بين العرب بصرف النظر عن تحديد زمن دخولهِ بينهم اذ لا تمكن معرفتهُ بالتحقيق لان بعض المولفين منهم يقول ان العرب كانت تعرف الكتابة من زمن ايوب وبعضهم يزعم ان اوَّل من كتب في اللغة العربية هو اسماعيل بن ابرهيم وبعضهم انكر ذلك وقال انهُ لم يكن الَّا قبل الاسلام بقليل واستدل بكون اكثر اهل البدو حتى الآن اميين لا يكتبون ولا يقرأون ومن قرأ منهم او كتب فيكون خطهُ قاصرًا وقراءتهُ غير نافذة

وكذلك كثيرون من مولفي الافرنج يوءكدون بان العرب القدماء كانوا يعرفون صناعة الكتابة لكن لم يبقَ من كتبهم القديمة شيء اصلاً والظاهر انهم استدلوا على ذلك بطريق الحدس والتخمين لما اطلعوا عليهِ من محاسن اشعارهم القديمة وادابها كما استدلوا من اشعار اوميروس القديمة بان اداب اللغة اليونانية كانت موجودة في كتبٍ مولفة فيها قبل ظهور هذا الشاعر بزمن طويل

وظن بعضهم ايضًا ان العرب في الزمن المتوغل في القدم كانوا يستعملون في الخط حروف الهجاء القديمة الشبيهة بالمسامير في الشكل وتسمى عند علماء التفتيش في احوال القدماء حروف برسبوليسية اي فارسية قديمة فاذا صح ذلك يمكننا حينئذٍ ان نقول بان الحروف المذكورة تغيرت فيما بعد بالحروف الحميرية وهي خط يقال لهُ المُسنَد كانوا يكتبون كل حروفهِ منفصلة عن بعضها وكانوا يمنعون العامة من تعلمهِ فلا يتعلمهُ احد الَّا باذنهم قال ابن خلدون وغيرهُ

ان هذا الخط كان بالغًا مبلغًا من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بارض العراق لكنهُ لم يكن في الجودة عندهم كما كان عند التبابعة ثم من الحيرة لقنهُ اهل الطائف وقريش عن رجل يقال لهُ مرامر بن مرة من بني طي وقيل من بني مرّة من اهل الانبار وقال بعضهم نقلاً عن الاصمعي ان بني قريش سُئِلوا من اين لكم الكتابة فقالوا من الحيرة وقيل لاهل الحيرة من اين لكم الكتابة فقالوا من الانبار وروى ابن الكلبي والهيثم بن عدي ان الناقل لهذه الكتابة من الحيرة الى الحجاز هو حرب بن امية وقيل سفيان بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي وكان قدم الحيرة فعاد الى مكة بهذه الكتابة وقيل لابي سفيان بن حرب ممن اخذ ابوك هذه الكتابة فقال من اسلم بن سدرة وقيل لاسلم ممن اخذت الكتابة فقال من واضعها مرامر بن مرّة والحاصل ان من حميَر تعلمت مُضَر الكتابة العربية الّا انهم لم يكونوا مجيدين لها لتوغلهم في البداوة ودامت خطوطهم غير مستحكمة في الاجادة الى اول الاسلام

ثم ابدل الخط الحميري المذكور بالخط الكوفي وذلك بعد ان فتح المسلمون الامصار وملكوا الممالك واحتاجوا الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعتهُ فبلغ في الكوفة والبصرة رتبةً من الاتقان الّا انها كانت دون الغاية ومع ان هذا الخط لم تطل مدتهُ وابدل سريعًا بالخط البغدادي المتداول الآن ما زال رسمهُ معروفًا

ولما انتشر العرب في الاقطار وفتحوا افريقية والاندلس واختط ابو جعفر المنصور مدينة بغداد وصارت دار الاسلام ومركزًا للعلوم العربية ظهر الخط البغدادي المذكور وتسمى بالجَزْم قال صاحب محيط المحيط الجزم مصدر والقلم لاحرف لهُ والخط المتعارف في ايامنا هذه لانهُ جُزِمَ اي قُطِعَ من خط حمير وهو الذي يقال لهُ الخط المسند

وقيل ان الذي وصل احرف الهجاء العربية ببعضها على هيئة استعمالها الآن في الكتابة على ما ذكرنا بعد ان كانت حروفًا مقطعة منفصلة هو رجل يقال لهُ الشيخ علي بن هلال السمساني وقيل بل ان الذي نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وابرزها في هذه الصورة المستعملة الآن هو تلميذهُ ابو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الذي يُضرب المثل بحسن خطهِ فيقولون لمن ارادوا المبالغة في جودة خطهِ اجود من خط بن مقلة وكان وزيرًا للمقتدر بالله العباسي يحكى ان الراضي بالله عزلهُ وامر بقطع يدهِ لتهمةٍ ومن ثم انزوى في بيتهِ وكان ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة الطبيب يعالج يدهُ حتى برئت وانقطعت الناس عنهُ في تلك المدة حتى انهُ لم يرَ احدًا ممن كان يزدحم ببابهِ ثم بعد ذلك تحققت براءتهُ عند هذا الخليفة نفسهُ فاعادهُ الى وزارتهِ وقتل من تسبب لهُ في التهمة عندهُ فكتب حينئذٍ بن مقلة المذكور على باب دارهِ

تحالف الناس والزمانُ فحيث كان الزمان كانوا
يا ايها المعرضون عني عودوا فقد عاد الزمانُ

واخذ بعد ذلك يمرّن يدهُ اليسرى على الكتابة حتى كتب بها واجاد وقيل كان يشد القلم على ساعد اليمنى ويكتب ولما شهد ابو عبيد البكري الاندلسي خطهُ انشد

خطُّ ابن مقلة من ارعاهُ مقلتهُ ودّت جوانحهُ لو اصبحت مقلا

ثم لما قدم بجكم التركي من بغداد وكان من المنتمين الى ابن رائق امر بقطع لسانهِ ايضًا فقطع واقام في الحبس مدة طويلة وتوفي سنة ٣٢٨ للهجرة سنة ٩٣٩م

وقيل ان صاحب الخط المنسوب ليس ابا علي المذكور وانما هو اخوهُ ابو عبد الله الحسن وقيل بل هو ابو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور زعموا بانهُ لم يوجد في المتقدمين ولا المتاخرين من كتب مثلهُ ولا قاربهُ وان كان ابو علي بن مقلة المذكور هو اوّل من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وابرزها في هذه الصورة ولهُ بذلك فضيلة السبق وخطهُ ايضًا

في نهاية الحسن لكن ابن البواب هذب طريقتهُ هذه ونقحها وكساها طلاوةً وبهجةً والكل معترفون لهُ بالتفرد وعلى مثالهِ ينسجون وليس فيهم من يلحق شأوهُ ولا يدعي ذلك توفي سنة ٤٢٣ للهجرة (سنة ١٠٣١م) وكان شيخهُ في الكتابة ابن اسد الكاتب البزاز البغدادي المتوفى سنة ٤١٠ للهجرة (سنة ١٠١٩م)

وممن اشتهروا بحسن الخط ايضًا ابو الدرّ ياقوت بن عبد الله الموصلي الكاتب الملقب بامين الدين المعروف بالملكي نسبةً الى السلطان ملكشاه ابي الفتح بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الاكبر انتشر خطهُ في الافاق وكان في نهاية الحسن ولا يؤدي طريقة ابن البواب في النسخ مثلهُ احد وكان مغرى بنسخ الصحاح للجوهري فكتب منهُ نسخًا كثيرة قيل كانت تباع الواحدة منها بمائة دينار توفي بالموصل سنة ٦١٨ للهجرة (سنة ١٢٢١م)

والف ابو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة من ولد ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيباني ارجوزةً في علم الخط وهو صاحب كتاب الافصاح عن شرح المعاني الصحاح وكتاب المقتصر ومختصر كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت وكتاب العبادات في الفقه وارجوزة في المقصور والممدود توفي سنة ٥٧٠ للهجرة (سنة ١١٧٤م)

وقال عبد الحميد الكاتب المشهور لمسلم بن قتيبة وقد رآهُ يكتب خطًّا رديًّا ان كنت تحب ان تجوّد خطك فاطل جلفتك (اي مكان البرية من قلمك) واسمنها وحرّف قطتك وايمنها قال مسلم ففعلت ذلك فجاد خطي ثم لما درست معالم بغداد بدروس الخلافة انتقل شانها من الخط والكتابة بل والعلم ايضًا الى مصر القاهرة فصار لهُ بها معلمون يرسمون لتعليم الحروف بقوانين في وضعها واشكالها ودام الحال على هذا المنوال الى ان استقل الملك العثماني بمدينة القسطنطينية ومن ثم صارت الخطوط في اعلى درجةٍ من الجودة ويتنافس بها بما ان اللغة التركية تكتب بالحروف العربية وانواع هذه الخطوط هي الثلث والنسخي والريحاني والرقعة والديواني والقاعدة المستجدة عند كتاب

العثمانية الآن وهي ظريفة في غاية الجودة واللطف متوسطة بين الرقعة والريحاني ولم يزالوا حتى الآن يستعملون الخط المعروف بالقرمي (نسبةً الى القرم) في دفاتر خزائن الاموال الاميرية ونحوها ولذلك يقال بان تعليم الخط وحسنهُ لايكون الّا في الامصار الخارج عمرانها عن الحد ونجد الان جودة الخط مخصرة على الغالب في عواصم مملكتي الدولة العلية والعجم بخلاف غيرها من الامصار اذ انهُ لما ظهر الخط البغدادي المذكور كان تبعهُ الخط الافريقي وهو يقرب من اوضاع الخط المشرقي ولما تحيز ملك الاندلس بالامويين تميز خطهم الاندلسي ثم لما تفرّق اهل الاندلس عند تلاشي ملكهم في عدوة المغرب وافريقية غلب خطهم على الخط الافريقي ونسي خط القيروان وصارت خطوط اهل افريقية كلها على الرسم الاندلسي ولم يبقَ رسمهُ الّا ببلاد الجريد وآل الامر اخيرًا الى ان صارت الخطوط بافريقية والمغربين مائلةً الى الرداءة بعيدة عن الجودة الى يومنا هذا

وحيث ان حروف الكتابة العربية مرتبطة ببعضها ومشتبكة في الغالب بعضها فوق بعض فالايق في ظرافتها ان تكتب باليد لا بالطبع فانها لا تصل فيهِ اصلاً الى جودة القلم ومع كل ذلك لاتدل جودة الخط على فضل الكاتب كما يدل عدم تادية الكتابة حقها على جهلهِ ولذلك نجد كثيرين من روساء الاقلام واصحاب الانشاآت والمولفات الجليلة لا يحسنون الخط اصالةً بل لا بد لهم من وجود المعاونين اصحاب الخطوط الحسنة ليبيضوا لهم المحررات التي يسودونها باقلامهم بل ومما جرت بهِ العادة وخاصةً عند العثمانية ان من كان ذا خطٍّ حسن من اهل القلم وارتقى الى رتبةٍ رفيعه ولو في نفس صناعتهِ كالترأس على كتبة التحارير مثلاً فضلاً عن الدفتر دارية اوتولية ولاية من الولايات كان لا بد لهُ من ان يشوّه خطهُ عمدًا وربما كتب بعض ما يلزم ان يكتب بخطهِ بقلم مكسور الجلفة او مقطوط قطةً بعكس الواجب كيلاً يظهر عليهِ بانهُ من اصحاب الخطوط الجيدة فكأنهم يشيرون بذلك لما قال بعضهم

اذا كان لي خطٌّ كخط ابن مقلةٍ   وما كان لي حظ فما الخط نافعُ

فصل

في سبب وضع الحركات

قد ذكرنا في الكلام على اللغات بانهُ كلما كثر التمدن عند قوم اتسعت لغتهم وكان لها قواعد تضبطها لفظًا وكتابةً ولا يخفى بان العرب في زمان جاهليتهم كانوا قومًا اميين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة الاَّ القليل منهم ولم تكن عندهم علوم الاَّ نتفٌ في النجوم والطب الخشني عملاً بالاستقراء والتجربة غير انهم كانوا في اعلى طبقةٍ من نباهة الفكر وفصاحة اللسان وسرعة الخاطر حتى كانوا ينظمون الشعر ارتجالاً ولما لم يكن لهولاء القوم اعمال يشتغلون بها فكانوا يصرفون همتهم الى تهذيب لغتهم والتفنن فيها وقد ذهبوا في ذلك كل مذهب وساعدهم على التصرف فيها ما عندهم من الحذاقة فكانوا يجعلون لكل حكمٍ من احكامها وجهًا سديدًا يحكم العقل بصحتهِ فكانت باعتبار الفاظها منقولة وباعتبار احكامها معقولة ولا زالوا كذلك حتى ظهر الاسلام ودخلت فيهِ شعوب من الاعاجم فاختلطت حينئذٍ اللغات وخيف الفساد على العربية ومن ثم شرع نبهاء الامة واذكياؤها في جعل ضوابط وروابط تحفظها على اصلها عند من يقف عليهنَّ وذلك بواسطة الاستدلال من تتبع كلام العرب واستقراء الخطب والأشعار المروية عن قدماء القوم وجاهليتهم

ثم ولئن اختلفت الروايات في المنبهات الاصلية التي اوجبت هذه العملية مع شدة الاعتناء التام الذي حصل بها الاَّ انها ترجع في جميع صورها الى اصل واحد وهو عدم كفاءة حروف الكتابة العربية التي مرَّ ذكرها بما هي عليهِ للقيام بواجبات النطق في التراكيب عند تلاوة القرآن الذي هو اساس الدين

الاسلامي خاليةً من اللحن والعدول عن تلك القواعد الاصلية الموضوعة للغة على ما ذكرنا

وكان اوّل من تنبه لهذا الامر هو ابو الاسود الدئلي واضع فن النحو الذي هو اوّل فن التفت اليهِ من فنون اللغة وقواعدها كما يستبين مما يأتي في الكلام على الفن المذكور فكان ذلك داعيًا الى وضع الحركات اولاً لكون النطق لا يتقوَّم في قراءة الحروف المركبة بدونها واغلب الفنون المذكورة في ما مرَّ تتوقف على معرفتها ولذلك كانت جديرة بان ترادف الحروف في المنزلة لكونها قسيمتها بل والةً لا تتم عملية من المشروعات الادبية الآتي بيانها الاّ بها

والحركات جمع حركة وهي في اللغة تبدل الحال من رتبةٍ الى غيرها وفي الاصطلاح ما بهِ يتقوم الحرف على النطق بهِ كما ذكرنا وانواعهُ ثلاثة ضم وفتح وكسر فعلامة الضم جعلوها هكذا ـُ وعلامة الفتح هكذا ـَ وعلامة الكسر هكذا ـِ اما الحركة المضاعفة فسموها تنوينًا فقالوا تنوين ضم وعلامتهُ ـٌ وتنوين فتح وعلامتهُ ـً وتنوين كسر وعلامتهُ ـٍ وكما انهم وضعوا لكل حركة من هذه الحركات علامةً تدل عليها وضعوا كذلك للحرف الساكن علامة مخصوصة بهِ وهي هكذا ـْ وكذلك للهمزة وهي نوعان همزة قطع وهمزة وصل فعلامة همزة القطع هكذا ـء وعلامة همزة الوصل هكذا ـٱ واما الحرف المشدَّد فجعلوا علامتهُ هكذا ـّ ولحرف المد هكذا ـٓ وقد لقبوا الحركات المنوَّه عنها بالقاب جعلوها على قسمين قسم يستعمل في البناء وقسم في الاعراب فالقاب البناء ضم وفتح وكسر وسكون والقاب الاعراب رفع ونصب وخفض وجزم والحركات التي في حشو الكلمة لها القاب البناء وعلم الصرف يبحث فيما للبناء واما علم النحو فيبحث فيما للاعراب الذي هو منحصر في تغيير اواخر الكلم

وهذه الحركات هي غالبًا من خصوصيات اللغة العربية فلا يوجد لها مقابل في غير لغات الاَّ نادرًا لكن لا بد من ان نقوم عندهم بوظائفها في بناء مفردات الكلام خاصةً حروف العلة التي هي الالف والواو والياء كما انها تنوب في بعض

الظروف عن هذه الحركات في اللغة العربية ايضًا لكن لا يستغنى عنها عندهم بغيرها بل لا بد من رسمها ويسمونها بما معناهُ في لغتهم صوتية (من الصوت) اذ بدونها يبقي الحرف اخرس فيتعسر النطق بهِ ولو كان مفردًا ولو احتجنا نحن العرب ان نكتب كما يكتبون هم بدون هذه الحركات لكان يلزمنا ان نكتب عند ما نريد نكتب مثلاً قام يقوم قاما ياقوموا وضرب يضرب ضارابا ياضريبو وهلمّ جرًّا او ان يكون لكل حرفٍ من حروفنا صور متعددة بالنظر الى النطق فيهِ في جميع احوالهِ كقولك للالف رسم مخصوص في حالة الضم وآخر في حالة الفتح وهكذا الى اخرهِ وهذا على الغالب هو السبب في ما يبلغنا عن كثرة الحروف لبعض اللغات كالارمنية وغيرها وكان لايمكن لاحدٍ من ابناء لغتنا العربية بخصوصها فضلاً عن الاجانب ان يكتب ولو مكتوبًا بسيطًا الاّ اذا كان من فحول العلماء

الكلام على النحو

جرت العادة عند العرب ان يبتدأ بالصرف قبل النحو بدعوى ان الذي لا يعرف المصدر وما يشتق منهُ فلا يعرف الاعراب الذي هو تغيير في اواخرها وقل من الف كتابًا في الصرف ولم يذيلهُ بعلم النحو ايضًا لانهما شقيقان توأمان احدهما يعلم كيف يجب ان تلفظ الحروف التي في حشو الكلمة وهو الصرف والثاني يعلم كيف يجب ان يلفظ الحرف الاخير منها وهو النحو واما هنا فنضطر الى تقديم الكلام على النحو قبل الصرف لانهُ هو السبب الاصلي في الانتباه لكل ما سواه من العلوم كما يستبين ذلك من الابحاث الآتية

والنحو في اللغة القصد وفي الاصطلاح علم باصولٍ يعرف بها احوال اواخر الكلم اعرابًا وبناء والغرض منهُ معرفة الاعراب الذي هو رفع الفاعل نحو جاء زيدٌ ونصب المفعول نحو رايت زيدًا وجرّ المضاف نحو مررت بزيدٍ

وموضوعهُ الكلمة والكلم واما العامل فهو ما يتقوم بهِ المعنى المقتضي للاعراب ومتى عُرِفَتْ هذه القواعد بفروعها عُرِف بواسطتها كيف يجب ان يكون تركيب الالفاظ لتدل على صحة المعنى المراد

ولذلك قالوا في تعريفهِ بانهُ علم يبحث عن اصول المركبات الموضوعة لهُ بالوضع النوعي لاجل انواع المعاني التركيبية والنسبية وموضوعهُ بحسب دلالتهِ على المعاني التركيبية الملكة على فهم المعنى من التركيب بحسب الوضع المذكور وايراد المتكلم المعنى الذي يريدهُ بالتراكيب الموضوعة وغايتهُ الاحتراس من الخطا في تطبيق التراكيب العربية على المعاني الوضعية الاصلية ومباديهِ المقدمات الحاصلة من تتبع الالفاظ المركبة في مواد الاستعمال وموصولهُ المركبات والمفردات باعتبار فروعها في التراكيب والروابط ادوات لكونها تراكيب لكن في النحو يبحث عن الادوات على وجه الابتدائية لان المسائل في الحقيقة هي من اللغة

وقولنا متى عُرِفت هذه القواعد بفروعها عُرِفَ الخ فهو لكون ان هذا الفن يستبين من اوّل وهلةٍ انهُ سهل التحصيل مع انهُ في غاية الصعوبة لمن اراد التعمق فيهِ نظرًا لما فيهِ من وجوه التخريج والشواذ التي لا تحصى هذا فضلاً عن غيرها نظير مشاركة العلامات في وظائف بعضها بعض فان ما كان منها مثلاً علامة للرفع في بعض الالفاظ قد يكون علامةً للنصب ايضًا في غيرها وكذلك العوامل التي يختلف فعلها باختلاف مقاصد المتكلم كحتى مثلاً التي تكون تارةً رافعة وتارةً ناصبة وتارةً خافضة وكثيرًا ما تقع في محل اشكالٍ فينشأ عمَّا يتولد بسببها فيهِ من اختلاف المعاني الجدال والمناقشات قال بعض الظرفا من ارباب هذا الفن اموت وفي قلبي حسرةٌ من حتى ومثل هذه الدقائق تكون موضوع افتخار المتوغلين فيهِ وحسبك ما قالهُ فيها العلامة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي في احدي خطبهِ ونصهِ ان علم النحو هو من اجل علوم اللغة لاشتمالهِ على الاعراب الذي هو دليل القاري ومصباح الساري وعليهِ مدار

المعاني واختلاف المباني كما في نحو لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان رفع تشرب يدل على النهي عن الاول واباحة الثاني ونصبهُ يدل على النهي عن الجمع بينهما دون انفراد كلٍّ منهما على حدتهِ وجزمهُ يدل على النهي عنهما جميعاً والواو على الرفع للاستئناف وعلى النصب للصرف وعلى الجزم للعطف فقد تلاعب الاعراب بالمعاني والالفاظ جميعاً كما تلاعب في قولهم ما احسن زيدًا فان النصب يدل على التعجب من حسن زيدٍ والرفع على نفي الاحسان عنهُ والخفض على الاستفهام عن احسن ما فيهِ فتكون ما على الاول تعجبية واحسن فعلاً جامدًا وعلى الثاني نافية واحسن فعلاً منصرفًا وعلى الثالث استفهامية واحسن اسم تفضيل الى ان قال انهُ لو اراد الاتساع في ذلك لاورد كثيرًا من الصور المختلفة ثم تحدّى بذلك غير لغات لقولهِ بانهُ ربما لا يوجد فيها مثل ذلك انتهى كلامهُ . وقد عنّ لي ان اورد هنا ما يروى من هذا القبيل عن عتبان الحروري بن اصيلة واصيلة امهُ وقيل وصيلة وهو من بني شيبان من سراة الجزيرة انهُ لمّا احضر الى عبد الملك بن مروان بعد ان ظفر هذا الخليفة بابي الضحاك شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي غريقًا فقال لهُ يا عدوّ الله الست القائل

فان يكُ منكم كان مروان وابنهُ وعمرو ومنكم هاشم وحبيبُ
فمنا حصين والبطين وقعنبُ ومنا اميرُ المومنين شبيبُ

فقال لم اقل كذا يا اميرَ المومنين وانما قلت ومنا اميرَ المومنين شبيب فاستحسن عبد الملك قولهُ وامر بتخليتهِ لانهُ اذا كان اميرالمومنين في شطر البيت الاخير برفع امير كان امير مبتدا وشبيب خبرهُ فيكون شبيب امير المومنين واما اذا كان امير منصوبًا فقد حذف منهُ حرف الندا ويكون المعنى ومنا يا امير المومنين شبيب فلا يكون شبيب امير المومنين بل واحدًا بجملة الذين افتخر بهم من قومهِ

ثم ان النحو ليس هو خاص باللغة العربية بل لا بد لكل لغةٍ من اللغات

من قواعد تحصل بها مقاصدهُ ولئن كانت ليست بهذا المقدار من الاتساع الذي قلَّ من يستحيط بهِ ويسلم من الانتقاد بسببهِ كما هو في اللغة العربية والشواهد على ذلك كثيرة حسبنا فيها ما هو واقع في عصرنا ومن افاضل علماء بلادنا من الانتقاد على بعضهم بعض مع انهم ابناء وطنٍ واحد واثنان منهم ربما كانا في درجةٍ واحدة من العلوم العربية وخاصةً النحو وكانا متحابين ايضاً واتفقت كذلك خواطرهما في وقتٍ ما على تخطئة البارون سلوستري دساسي العالم الفرنساوي الشهير بالحذاقة في معرفة اللغات الشرقية في شرحهِ المقامات الحريرية بمولفٍ كبير سماهُ مختار الشروح فان احدهما قد خصص لذلك فصلاً مخصوصاً في احدى مولفاتهِ واضاف الى ذلك انتقادهُ على غيرهِ من علماء اللغات المذكورة من الافرنج وربما قصد بذلك ان يقدس اللغة العربية وينزهها عن ان تنحط الى درجة الاتصال بغير ابنائها والثاني الف في ذلك رسالة على حدتها واغلب ما انتقدا بهِ عليهِ كان في النحو ومع ذلك لم يَرُق للاوَّل الآن ينتقد على الثاني ايضاً ويندد بهفواتهِ ولو بعد موتهِ

واوَّل من انتبه لهذا الفن من العرب في صدر الاسلام هو ابو الاسود الدئلي الذي مرَّ ذكرهُ في الكلام على الحركات واسمهُ ظالم بن عمرو بن سُفين بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدوَّل بن بكر بن كنانة المتوفى في سنة ٦٩ للهجرة (سنة ٦٨٨م) ولهُ من العمر خمس وثمانون سنة ولئن كان نسبهُ بعضهم الى حماد بن سلمة وكان ابو الاسود المذكور معدوداً في طبقات من الناس وهو في كلها مقدم ماثور عنهُ الفضل في جميعها اذانهُ من التابعين والفقها والشعراء او المحدثين والاشراف والفرسان والامراء والدهاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلا والصلع الاشراف والبخر الاشراف ومما يحكى عنهُ انهُ كان حجَّ بامرأتهِ وكانت شابَّةً جميلة فعرض لها عمرو بن ابي ربيعة فغازلها فاخبرت ابا الاسود فاتاهُ فقال

وانّي لينهاني عن الجهل والخنا وعن شتم اقوامٍ خلائقُ اربعُ
حياء واسلامٌ وتقوى وانني كريمٌ ومثلي من يضرُّ وينفعُ
فشتان ما بيني وبينك انني على كل حالٍ استقيم وتضلعُ

وقد اختلفت الروايات في سبب انتباههِ لوضعهِ فمنهم من قال بانهُ دخل بيتهُ يوماً فقالت لهُ بعض بناتهِ يا ابت ما احسنُ السماء برفع احسن فقال يابُنية نجومها فقالت اني لم ارد اي شيء منها احسن انما تعجبت من حسنها فقال اذًا فقولي ما احسَنَ السماء وحينئذٍ وضع النحو ونقل الاصفهاني هذه الحكاية عينها ولكن خالف في السوال فقط وهو انهُ لما دخل ابو الاسود المذكور على ابنتهِ بالبصرة فقالت لهُ يا ابة ما اشدُّ الحرّ برفع اشدّ فظنها تسالهُ وتستفهم منهُ اي زمان الحرّ اشد فقال لها شهرا ناجر فقالت يا ابة انما اخبرتك ولم اسالك

ومنهم من قال بانهُ لما جاءت بنت خويلد الاسدي الى معاوية بن ابي سفيان وقالت لهُ ان ابي مات وخلف مالاً تريد مالاً فاستقبح ذلك معاوية منها ثم اتصل خبرها بالامام علي بن ابي طالب الذي تولى الخلافة سنة ٣٦ للهجرة (سنة ٦٥٦م) وتوفي قتيلاً بعد ذلك باربع سنوات واشهر فرسم الى ابي الاسود باب ان والاضافة وباب الامالة ثم بعد ذلك قرأ رجل ايضًا ان الله بريء من المشركين ورسولِهِ فقرأ رسولهُ بالكسر فسمعهُ ابو الاسود وصنف عند ذلك باب العطف وباب النعت ثم باب التعجب وباب الاستفهام

وقيل بان عليًّا المشار اليهِ وضع الكلام كلهُ ثلاثة اضرب وهي اسم وفعل وحرف وقال لابي الاسود تم على هذا فلما كان ابو الاسود يعلم اولاد زياد بن ابيهِ وهو يومئذٍ والي العراقين قال لهُ اصلح الله الامير اني ارى العرب قد خالطت هذه الاعاجم وتغيرت السنتهم افتاذن لي ان اضع للعرب ما يعرفون ان يقيموا بهِ كلامهم قال لا ثم بعد ذلك جاء رجل الى زياد وقال اصلح الله الامير توفي ابانا وترك بنون بريد توفي ابونا وترك بنين فقال زياد ادعوا لي ابا الاسود فلما حضر قال ضع للناس الذي نهيتك ان تضع لهم

وقيل سُئل ابو الاسود من اين لك هذا العلم فقال لقِنتُ حدودهُ من علي بن ابي طالب وانهُ كان لا يخرج شيئًا اخذهُ عن هذا الامام الى احدٍ حتى بعث اليهِ زياد المذكور ان اعمل شيئًا يكون للناس امامًا ويعرف بهِ كتاب الله عزّ وجل فاستعفاهُ من ذلك حتى سمع قارئًا يقرأُ ان الله بري من المشركين ورسولهِ بالكسر فقال ابو الاسود ماظننت ان امر الناس آل الى هذا فرجع الى زياد وقال افعل ما امر بهِ الامير فليبغني كاتبًا لبقًا يفعل ما اقول فاتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضهُ فاتى باخر فقال لهُ ابو الاسود ان رايتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطةً فوقهُ وان ضممتُ فمي فانقط بين يدي الحرف وان كسرت فاجعل النقطة من تحت ففعل ذلك

ثم سمى ابو الاسود هذا الفن نحوًا قال لاني استاذنت عليًا بن ابي طالب ان اضع نحو ما وضع وقال العاري في حاشيتهِ على شرح الجرومية ان عليًا دفع الذي جمعهُ الى ابي الاسود وقال لهُ انحُ هذا النحو اي اقصد هذا القصد فسمي حينئذٍ هذا الفن نحوًا وفي مجمع الامثال للميداني اللحن في العربية العدول عن الصواب لانك اذا قلت ضرب عبدالله بزيد لم يُدرَ ايهما الضارب وايهما المضروب فكانك عدلت عن جهتهِ فاذا اعربت عن معناك فهمَ عنك ولذلك سمي اللحن في الكلام لحنًا لانهُ يخرج على نحوين وتحتهُ معنيان وسمي الاعراب نحوًا لان صاحبهِ ينحو الصواب اي يقصدهُ

وخلاصة الكلام هو ان ابا الاسود الدئلي المذكور اوّل من وضع النحو وعنهُ اخذ عنبسة بن معدان وعن عنبسة اخذ ميمون الاقرن وعن ميمون اخذ عبدالله الحضرمي وعن عبدالله اخذ عيسى بن عمر الثقفي البصري قال الاصفهاني امر زياد ابا الاسود الدئلي ان ينقط المصاحف فنقطها ورسم من النحو رسومًا ثم جاء بعدهُ ميمون الاقرن فزاد عليهِ في حدود العربية ثم زاد فيها بعدهُ عنبسة بن معدان المهري ثم جاء عبدالله بن اسحق الحضرمي وابو عمرو بن العلا فزادا فيهِ ثم جاء الخليل بن احمد الازدي وكان صليبة فلحبهُ (الصليبة الصلبي الحقوه

بالتاء للمبالغة والصلب الذين يجمعون العظام ويستخرجون ودكها ويأتدمون بهِ ولحبَ الرجلُ يلحبُ لحبًا وطئ اللاحب اي الطريق الواضح وسلكهُ) ثم نجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من اسد فرسم للكوفيين رسومًا فهم الآن يعملون عليها

وكان عيسى بن عمر الثقفي المذكور امامًا في هذا الفن فالف فيهِ كتبًا كثيرة منها الجامع الذي ينسب الى سيبويه لكونهِ بسطهُ واضاف اليهِ حواشي وزيادات وهو الذي يحكى عنهُ بانهُ كان ذات يومٍ راكبًا حمارًا فسقط عنهُ فاجتمع عليهِ من حضر فغضب وقال ما بالكم تكاكأتم عليَّ كتكاكؤكم على ذي جنةٍ افرنقعوا عني توفي سنة ١٤٩ للهجرة (سنة ٧٦٦م)

وعنهُ اخذ الخليل بن احمد الذي مرَّ ذكرهُ وهو صاحب كتاب العين المشهور في اللغة وواضع علم العروض وسوف ياتي ذكرهُ

وعن الخليل اخذ سيبويه امام البصريين الذي يضربون بهِ المثل فيقولون لمن ارادوا المبالغة في اتقانهِ هذا الفن اجود ما لنحو من سيبويه وهو عمرو بن عثمان بن قنبر من البيضا بارض فارس وتربى في البصرة وكان مولى ابني الحرث بن كعب وسيبويه لفظ فارسي معناهُ ريح التفاح وهو الذي جمع مسائل النحو كلها في كتاب واحد سماهُ الكتاب وشرحهُ السيرافي وسمي حينئذٍ امام النحاة ورايهُ في هذه الصناعة مقدم على الجميع توفي في شيراز سنة ١٨٠ للهجرة (سنة ٧٩٦م)

وكان علي بن حمزة الكسائي امام الكوفيين الذي مرَّ ذكرهُ متوطنًا في بغداد يعلم اولاد الخليفة هرون الرشيد وكان رئيس القرا بالكوفة بعد حمزة ولقب بالكسائي لكونهِ كان يلتف بكساءٍ ويجلس في حلقة القراءة توفي في مدينة ري سنة ١٨٩ للهجرة (سنة ٨٠٤م)

وكان منشا الخلاف بين الكسائي وسيبويه المذكورين مسئلة لم يتفقا عليها وهي قول العرب كنت اظن العقرب اشد لسعةً من الزنبور فاذا هو هي اجاز

الكسائي فاذاهو اباها وانكرهُ سيبويه وكان ذلك بمجلس يحيى بن خالد البرمكي الوزير فتشاجرا طويلاً ثم اتفقا على مراجعة العرب وحيث كان الكسائي مؤدبًا لاولاد الرشيد على ما ذكرنا فامرهم بالتعصب لهُ فغضب سيبويه ورجع الى بلاد فارس واقام بها الى ان مات ومن ثم انقسم ايمة النحو الى فرقتين ذهب كل منهما مذهبا . قال بعضهم حيثما وجد خلاف بين البصريين والكوفيين فمذهب البصريين اصح من جهة اللفظ ومذهب الكوفيين اصح من جهة المعنى

اما البصريون فكان اولهم ابو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالاخفش الاوسط تلميذ سيبويه المذكور ولهُ من المولفات في النحو كتاب الاوسط وكتاب المقياس وكتاب الاشتقاق وهو الذي اخترع في العروض بحر الخبب كما ياتي ذكر ذلك في محلهِ ولهُ كتاب في ذلك الفن ايضًا وكتاب في القوافي ولهُ كتاب الملوك وكتاب الاصوات وكتاب المسائل الكبير وكتاب المسائل الصغير وكتاب معاني الشعر وكتاب تفسير معاني القرآن توفي سنة ٢١٥ للهجرة (سنة ٨٣٠م) وسمي بالاخفش الاوسط لان الذين يسمون بالاخفش ثلاثة هو احدهم وكلهم من علماء النحو ولذلك نذكر الاثنين الباقيين هنا استطرادًا

اما الثاني وهو الاخفش الاكبر فهو ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد من موالي اهل هجر وكان نحويًا لغويًا ولهُ الفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب اخذ عنهُ سيبويه وابو عبيدة ولم تعرف سنة وفاتهِ

والثالث الذي هو الاخفش الاصغر هو ابو الحسن علي بن سليمان بن الفضل روى عن المبرّد وثعلب الاتي ذكرهما وعن غيرهما ايضًا وروى عنهُ المرزباني وابو الفرج وكان ثقةً توفي سنة ٣١٦ للهجرة (سنة ٩٢٨م) وفي اللغة الاخفش الصغير العين مع سوء بصرها

ثم بعد الاخفش الاوسط المذكور اولاً ظهر محمد بن يزيد بن عبد الاكبر

الملقب بابي العباس المبرّد تلميذ الكسائي ومن مولفاتهِ ما اختلف لفظهُ واتفق معناهُ وطبقات النحويين البصريين ولهُ تاليف نافعة في الادب منها كتاب الكامل ومنها الروضة والمقتضب توفي سنة ٢٨٥ للهجرة (سنة ٨٩٨م)

ومحمد بن احمد بن ابرهيم بن كيسان اخذ عن المبرّد المذكور وعن ثعلب الآتي ذكرهُ وتوفي سنة ٢٩٩ للهجرة (سنة ٩١١م)

وابرهيم ابو اسحق الزجاج النحوي كان من اهل العلم والادب اخذ عن المبرّد ايضاً ومن مولفاتهِ في النحو كتاب مختصر وكتاب فعلت وافعلت وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف ومنها في غيرهِ وهو كتاب الامالي وكتاب ما فسر من جامع المنطق وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الفرق وكتاب خلق الانسان وكتاب خلق الفرس وكتاب شرح ابيات سيبويه وكتاب النوادر وكتاب الانواء وغير ذلك ولقب بالزجاج لكونهِ كان يخرط الزجاج توفي سنة ٣١١ للهجرة (سنة ٩٢٣م)

وسيبويه اخر وهو عبدالله بن محمد بن جعفر مولف كتاب الارشاد توفي سنة ٣٤٧ للهجرة (سنه ٩٥٨م)

والسيرافي القاضي ابو سعيد حسن بن عبدالله المرزباني شيخ الشيوخ وامام الايمة ومن تاليفهِ شرح كتاب سيبويه والاقناع في النحو وصناعة الشعر والبلاغة وكتاب اخبار النحاة البصريين وغير ذلك توفي سنة ٣٦٨ للهجرة (سنة ٩٧٨م)

والامام ابو علي الفارسي حسن بن احمد بن الغفار ومن مصنفاتهِ الايضاح والتكملة وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك توفي ببغداد سنة ٣٧٧ للهجرة (سنة ٩٨٧م)

وابو الحسن الرماني علي بن عيسى تلميذ الزجاج ومن تصانيفهِ الحدود الاكبر وشرح الاصول وشرح كتاب سيبويه وشرح الوجيز وشرح مختصر للحريري وشرح الالف واللام للمازني وشرح المقتضب وشرح معاني الحروف

توفي سنة ٣٨٤ للهجرة (سنة ٩٩٤م)

ومحمد بن حسين بن عبد الوارث الفارسي اخذ عن ابي علي الفارسي وتوطن في جرجان وعنهُ اخذ عبد القاهر الجرجاني الاتي ذكرهُ توفي سنة ٤٢٠ للهجرة (سنة ١٠٢٩م)

وعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني صاحب المعاني والبيان كما ياتي ذلك في محلهِ ومن مولفاتهِ دلائل الاعجاز واسرار البلاغة وشرح الايضاح ومقصد اعجاز القرآن والعوامل وعمدة في التصريف توفي سنة ٤٧١ للهجرة (سنة ١٠٧٨م)

واما الكوفيون تلامذة الكسائي فمنهم الفرا وهو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الاسلمي تعصب كثيرًا على سيبويه امام البصريين ومن مولفاتهِ كتاب الحدود ومعاني القرآن وكتابان في الشكل وكتاب البها وكتاب اللغات وكتاب المصادر في القرآن وكتاب الجمع والتثنية في القرآن وكتاب الوقف والابتدا وكتاب المفاخر وكتاب الة الكتاب وكتاب الواو وكتاب النوادر وكتاب المقصور والممدود توفي في طريق الحج سنة ٢٠٧ للهجرة (سنة ٨٢٢م)

واحمد بن يحيى بن زياد بن سيار ابو العباس ثعلب امام الكوفيين ومن مولفاتهِ كتاب معاني القرآن وكتاب معاني الشعر والقراءة والتصغير والوقف وابتداء الامالي وغريب القرآن والفصيح واختلاف النحويين توفي سنة ٢٩١ للهجرة (سنة ٩٠٣م)

هولاء هم اشهر ايمة النحو الذين يقتدى بهم ويستندُ الى ارائهم فيهِ واما المولفون في هذا الفن فهم كثيرون لايحصون عددًا اذ انهُ لا يوجد فن من الفنون بل ولا علم من العلوم الفت فيهِ العرب وتفننت في صيغة التاليف ولم تزل كذلك حتى يومنا هذا نظير النحو فكانما الدئلي الذي وضعهُ قد اشترط على

كل من تجحر فيهِ ان يفرغهُ في قالب تاليف جديد ولا سيما اذا كان من بني النصرانية اذ لا يخفى بانهُ ولئن كان في الاعصر السابقة على هذا العصر الذي نحن فيهِ كان المسيحيون يتطيرون من بعض العلوم العربية ولا سيما هذا الفن لزعم الاكثرين بانهُ غير مفيد في الامور التعبدية بل ربما ظنوهُ مخلاً في نسق بعض المولفات الدينية التي يترجمونها من لغاتها الاصلية حتى ان بعض العارفين بقواعد النحو منهم كانوا اذا طبعوا كتاباً من تلك الكتب ينبهون في مقدمتهِ على الركاكة التي استعملوها فيهِ معتذرين عنها بعدم ادراك الذين لم يكونوا من بطون امهاتهم عارفين بقواعد النحو كما في بعض الاسفار المطبوعة في دير الشوير وغيرهِ وكان المسلمون بحق ينكرون عليهم الفهم فضلاً عن التحصيل لاي نوع كان من اداب اللغة حتى انهم اعتقدوا بان طبيعة النصارى قاصرة عن ادراك ادنى ما يكون منها وهذا لا يمكن الا السكوت عنهُ نظراً لظواهر الامر ولو مع معرفة اسبابهِ المذكورة بالنسبة الى نصارى تلك الازمنة التي ربما ابتدأت فيها حالتهم هذه منذ اخذ العرب في التحضر والتمدن والا فان البلغاء من نصارى عرب البادية بل والحضر ايضاً هم في فنون اللغة كانوا اشهر من نارٍ على علم فلا يمكن الانكار عليهم الا انهُ قد وجب ابطال هذا الزعم منذ عهدٍ قريب عرف بهِ بعض الاحبار البارعين منهم بان الاولاد هم الذين يجب خضوعهم الى قوانين اللغة لا قوانين اللغة الى جهلهم واولهم كان العلامة الفاضل المطران جبرائيل فرحات الماروني الذي لا ريب بانهُ لو ساعدتهُ فسحة الاجل لكان فضلاً عن الانتباه الى اصلاح بعض ما شذَّ بهِ قلمهِ في تلك المولفات الجميلة التي لا زالت ولن تزال تثني عليهِ وتشهد لهُ بالفضل تمم قصدهُ ايضاً باغناء طوائف النصارى كافةً عن طلب اي فن كان من اداب هذه اللغة في غير منشئاتهِ التي كان مع ضيق وقتهِ وقيامهِ باشغال وظيفتهِ يوَلفها مع بساطة العبارات وسهولة الماخذ وصار بذلك قدوةً لهم في هذه البلاد وخاصةً في جبل لبنان وبانضمام ذلك الى ما جددوهُ اقتداءً بما جادت بهِ الدولة العلية وهرعت

لتاسيسهِ من كل جانب الطوائف الافرنجية من المدارس المعتبرة التي انشئت حديثًا في بيروت وغيرها من بلاد سوريا لاريب اذا قلنا بانهم صاروا والحالة هذه كثامن قبيلةٍ تعتبر في صحة العربية وبقعتهم كمربد البصرة في الاسلام او سوق عكاظ في الجاهلية كيف لا وكان قبل ذلك جميعهُ نبغ العلامة المفضال صاحب كتاب سر الليال ومن هو في كل فنٍ مستحيط صاحب القاموس المسمى بمحيط المحيط والشاعر الاديب اللغوي ثالث هذين الشهيرين صاحب كتاب مجمع البحرين وغيرهم من اصحاب التاليف التي منها يعرف مقدار ما يتصل اليهِ بنو النصرانية من الفضل وسعة العلم

غير انهُ لسوء الحظ متى صرفنا النظر عن امثال هولاء الاساطين العظام الذين بلغوا في الاداب العربية هذه الدرجة السامية والتفتنا الى بعض الطلبة الذين متى عرف احدهم كيف يجب مثلاً ان يتلفظ بزيد عندما يكون ضاربًا وعمرو اذا كان هو المضروب واختصر على ذلك وامثالهُ ولاسيما اذا عرف كيف يكون موزون يفعل بما يناسب وزن فعل بدون ان يغوص في مناقشات البصريين مع الكوفيين وما قال بهِ المبرد ووافقهُ الزجاج اوخالفهُ ثعلب وما جرى بين علماء هذا الفن من المساجلات والمحاورات وما حصلوا عليهِ بسبب ذلك من الجوائز والصلات وما حق للشعراء ان يتلاعبوا فيهِ ويهدموا اركانهُ ومبانيهُ ظن بنفسهُ انهُ صار من العلماء الاعلام وينبغي ان ينظم في سلك الفلاسفة العظام فياخذ لوقتهُ في اشغال المجالس بشقشقة لسانه وتضييق المنافس في فخامة قافهِ وتاشيرات بنانهِ وبعد ان يجول ويصول يحاول ان يقول

لا يستوي معربٌ منا بملتحنٍ   لا تستوي البغلةُ العرجاء بالفرسِ

فمن ترى لا يعذر حينئذٍ بعض الظرفاء حيث يقول

ليس للنحو جئتكم   لا ولا فيهِ ارغبُ
خلِّ زيدًا لشانهِ   اينما شاء يذهبُ
انا مالي ولامرءٍ   ابدَ الدهر يضربُ

او لا يعرف السبب في ما قالهُ ابو الحسن بن ابي زياد علي النحوي المعروف بالفصيحي الاسترابادي

النحو شومٌ كلهُ فاعلموا يذهب بالخير من البيت
خير من النحو واصحابهُ ثريدة تعملُ بالزيتِ

الكلام على الصرف

وهو علم يبتدى بهِ قبل النحو في المدارس وقد ذكرنا السبب في تاخيرهِ عنهُ هنا في فاتحة الكلام على النحو وهذا العلم تعرَف بهِ احكام ابنية الالفاظ المتداولة في المعاني المختلفة وحددهُ آخرون بقولهم انهُ علم تعرف بهِ انواع المفردات الموضوعة بالوضع النوعي وكيفية التغييرات عن الهيئات الاصلية والمدلولات والهيئات التغييرية والمقاييس الكلية العامة للمفردات وموضوعهُ صيغ مخصوصة من الحيثية المذكورة وغرضهُ تحصيل ملكة معرفة الاحوال المذكورة وغايتهُ الاحتراز على الجهات المذكورة من الخطاء ومباديهِ المقدمات المستنبطة من تتبع استعمال العرب

والتصريف في اللغة التغيير وفي الاصطلاح هو تحويل الاصل الواحد الى امثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل الا بها كتحويل الضرب مثلاً الى ضرب ويضرب واضرب وغير ذلك من المشتقات وموضوع التصريف الالفاظ ويختص بالافعال المشتقة والاسماء المتمكنة اي المعربة وتصريف الافعال يكون باشتقاق بعضها من بعض كما ذكر اما تصريف الاسماء فيكون بتثنيتها وجمعها ونسبتها وغير ذلك ولكل من هذه الافعال والاسماء المذكورة انواع تحتها ضروب لكل منها وجه في التصريف مخصوص كما هو مصرح في كتب هذا الفن يطلب ذلك الراغبون في تحصيلهِ منها واما من كان يقنع باليسير الذي لا بد لهُ منهُ فعليهِ ان يلاحظ في كتابتهِ القواعد الآتية

اولاً يقف على التاء المجرورة بالتاء نحو مومنات وعلى المربوطة بالهاء نحو مؤمنة ويكتب اخر الاسم المنصوب بالالف نحو رأيت زيدًا وتسمى الف الاطلاق واما اذن فان كانت الناصبة فتكتب بالنون والاّ فبالالف

ثانيًا ان كانت الهمزة في الاول فتكتب بصورة الالف ابدًا نحو أضرب وان كانت متوسطة ساكنة فتكتب بحرف حركة ما قبلها نحو بأس وبؤس وبئس وان كانت متحركة وساكنًا ما قبلها فتكتب بحرف حركتها نحو يسأل ويلؤم وان كانت متحركة ومتحركًا ما قبلها جاز ان تكتب بحرف حركتها او حركة ما قبلها نحو لوم وان وقعت ظرفًا وسكن ما قبلها فلا تكتب بصورة حرف نحو جزء وبدء وشيء الاّ اذا كانت منصوبةً فتكتب الفًا نحو جزءًا وشيئًا وان وقع بعد الهمزة حرف مدّ فلا تكتب بحرف المد نحو المآكل جمع ماكل واما ماضي مهموز اللام المثنى فيكتب بالفين نحو قراا ويكتب مضارعهُ المرفوع بالنون بالف واحد نحو يقران وان حذفت النون يكتب بالفين نحو لم يقراا

ثالثًا ان كانت ما حرفًا تتصل بالخط نحو انما واينما وكلما وان كانت اسمًا موصولاً فلا تتصل نحو اينما ابن ما وعدتنيه وكلما كل ما قلت لكم وتتصل ما بمن وعن نحو مما وعما والاصل من ما وعن ما وتتصل ان الناصبة للمضارع بلا نحو لئلاّ والاصل لان لا وتتصل اذ بظرف الزمان نحو حينئذٍ ويومئذٍ ووقتئذٍ وساعتئذٍ والاصل حين اذ ويوم اذ الخ

وهناك بعض حروف زائدة تكتب ولا تقرا وهي تزاد الف في اخر جمع المذكر ماضيًا ومضارعًا وامرًا نحو ضربوا ويضربوا واضربوا قياسًا مطردًا اما مضارع الناقص الواوي ان كان مفردًا فلا تزاد فيهِ نحو زيد يدعو وان كان جمعًا فيزاد نحو الرجال لم يدعوا وهذا هو الفرق ما بين المفرد والجمع وتزاد الالف ايضًا جوازًا في اسم الفاعل نحو ضاربوا القوم وتزاد لام ايضًا في مثنى وجمع ومصغر الذي والتي نحو اللذان واللتان الخ وتزاد في اخر عمرو واو في حالتي الرفع والجر ويضربون بهذه الواو المثل لمن يدخل مع قومٍ ليست لهم

حاجة بهِ فيقولون واو عمرو قال ابو نواس

ايها المدعي سليمى سفاها لست منها ولا قلامة ظفرِ
انما انت من سليمى كواوٍ الحقت في الهجاء ظلمًا بعمرِو

وهناك ايضًا بعض حروف عكس ما ذكر يعني تحذف خطًّا لا لفظًا كالف ابرهيم واسحق واسمعيل وهرون وسليمن وذلك جوازًا لكن تحذف وجوبًا من هذا وهؤلاء وههنا وهكذا وذلك واولئك انما لايجوز حذفها من هاذاك وتحذف جوازًا من ثلث وثلثين ومن ملئكة وسموات واما ها انا ذا فتكتب اما هنيذا واما هنذا وتحذف الهمزة وجوبًا من البسملة نحو بسم الله الرحمن الرحيم وتحذف قياسًا مطردًا من ابن اذا وقع بين علمين نحو زيد بن عمرو فان لم يقع بين علمين فلا يحذف نحو المسيح ابن مريم ويجوز حذف همزة الاستفهام من اوّل كلمة مبدوءة بهمزة نحو انت ابن فلان اي اانت ويجب حذف همزة التعريف اذا دخلتها اللام نحو قلت للرجل ومتى اجتمع واوان في نصف الكلمة والاولى منهما مضمومة جاز حذف الثانية قياسًا نحو داود ولا يجوز الهمزة فيها ويجوز ايضًا حذف واو روس جمع راس والاصل رؤوس ولا يجوز حذف واو فعول الاجوف الواوي نحو قوول

وهناك ايضًا حروف تبدل من حروف فتكتب الحيوة والصلوة والزكوة بالواو وتقرا بالالف واذا كان الناقص يائيًّا تكتب وتقرا بالالف نحو فتى ورمى وان كان واويًّا تكتب بالالف نحو عصا وغزا واما الف متى ولدى وبلى والى وحتى وعلى فتكتب بالياء والف كلا وكلتا تكتب بالالف وفي بعض كتب اللغة ايضًا ان كل كلمةٍ كان فيها سين وجاء بعدها احد اربعة حروف وهي الطاء والخاء والغين والقاف يجوز فيها ابدال الصاد من السين فتقول السراط والصراط وفي سخرلكم صخرلكم وفي مسغبة مصغبة وفي سيقل صيقل وقس عليهِ ولا يبالي اذا كانت الحروف المذكورة ثانية او ثالثة او رابعة بعد السين وفي مجمع الامثال للميداني كل صادٍ وقعت قبل الدال يجوز ان تشمها رائحة الزاي

اذا تحركت وان تقلبها زايًا محضًا اذا سكنت كقولك فصدَ وفزد ويجوز ابدال الالف المقصور بالممدود كما في لغة طي فانهم يقولون في بقي وفني بقا وفنا ويبدلون ايضًا السين من الشين كما في غبيش وعبيس

واول من دوّن هذا العلم على ما قالهُ بعضهم هو ابو عثمان بكر بن محمد بن ابي عثمان الماذني اصلهُ من البصرة وقال اخرون ان اوّل من استنبط التصريف هو معاذ الهرّا وقال ابن سلامة المارديني ان التصريف لم يزل مندرجًا في النحو حتى ميزهُ وافرزهُ ابو عثمان الماذني ولكن رجح قوم بان واضعهُ هو معاذ بن مسلم الهرّا المذكور شيخ الكسائي المشهور الذي مرّ ذكرهُ في الكلام على النحو توفي سنة ١٨٧ للهجرة (سنة ٨٠٢م)

الكلام على البيان

ولما وضعوا الصرف للنظر في ابنية الالفاظ والنحو في اعراب ما تركب منها وضعوا كذلك البيان للنظر في امر هذا التركيب والبيان في اللغة اسم جامع لكل ما كشف عن المعنى وهو ثلثة فنون الاوّل ما يحتذر بهِ من الخطا في تادية المعنى المراد والثاني ما يحتذر بهِ عن التعقيد المعنوي والثالث ما يُراد بهِ تحسين الكلام ويطلق في التفصيل على الاوّل علم المعاني وعلى الثاني علم البيان وعلى الثالث علم البديع وفي الاجمال على الاولين علم البلاغة وعلى الثلثة علم البيان والاوّل ما يتعلق بالامور اللفظية والثاني بالامور المعنوية والثالث يشترك بين الطرفين والكلام بحسب الاولين فصيح باعتبار اللفظ وبليغ باعتبار اللفظ والمعنى وليس في شيء من ذلك بحسب الاخير لانهُ عرض خارج كما يتضح ذلك من التعريفات الآتية لكل منها على حدتهِ

علم المعاني

وحقيقتهُ انهُ علم تعرف بهِ احوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال قال صاحب تذكرة الحكم انهُ معرفة تركيب الكلام الخواص وتفاوت المقامات ليمكن بهِ الاحتراز من الخطا في تطبيق الاوَّل على الثاني اذ انهُ يوجد خواص متناسبة لاجل التراكيب تذعنها البلغاء اما بسليقتهم واما بسبب الممارسة وبعض هذا الخواص ذوقي وبعضهُ استحساني وبعضهُ من لوازم المعاني الاصلية

والمراد بمقتضى الحال هو ما يدعو اليهِ الامر الواقع كالتاكيد في خطاب المنكر وهو مختلف لتفاوت مقامات الكلام فان مقام التنكير يباين مقام التعريف وكذلك الاطلاق مع التقييد والتقديم مع التاخير والذكر مع الحذف الى غير ذلك

واما المراد بتفاوت المقامات فهو ان الكلمات التي تناسب مقام الشكر مثلاً لا تورد في مقام التشكي وهكذا التهاني والتعازي والجد والهزل فتطبيق خواص الكلام على المقامات يستفاد من هذا العلم ومدارهُ الاستفادات العرفية وموضوعهُ التراكيب الخبرية والطلبية ومسائلهُ هي تلك القواعد التي يعلم منها ما يقتضيهِ المقام وكيف ايراد الخواص من خواص الكلام ومباديهِ المسائل النحوية واللغوية وسائر العلوم الأَدبية ودلايلهُ استقراء كلام البلغاء وغرضهُ تطبيق الكلام على ما يقتضيهِ الحال وغايتهُ الاقتدا في التطابيق المذكورة

وقد قسم ارباب هذا الفن الكلام الى حقيقي هو الاصل كلفظ الاسد للحيوان المفترس وعليهِ مدار علم المعاني والى مجاز وهو الفرع كالاسد اذا استعمل للرجل الشجاع وعليهِ مدار علم البيان ثم ان الكلام اما خبر يحتمل الصدق والكذب نحو قام زيد واما انشا نحو قم وكلاهما يجري في الحقيقة والمجاز

وحصروا ذلك في ثمانية ابواب الاوّل الاسناد الخبري الثاني احوال المسند اليهِ الثالث احوال المسند من جهة تركهُ وذكرهُ وتنكيرهُ وتعريفهُ الرابع احوال متعلقات الفعل الخامس القصر السادس الانشا السابع الفصل والوصل وهذا الباب هو ادق ابواب هذا العلم حتى ان بعضهم سئل عن البلاغة فقال هي معرفة الفصل والوصل الثامن الايجاز والاطناب والمساواة ولكل من ذلك احكام واعتبارات ليس لها محل هنا

علم البيان

والبيان في اللغة ما يتبين بهِ الشيء من الدلالة وغيرها والفصاحة واللسن يقال فلان ذو بيان اي فصيح وهذا ابين من فلان اي افصح منهُ واوضح كلامًا وفي الحديث ان من البيان لسحرًا وقيل ان البيان هو المنطق الفصيح المعبر عما في الضمير وقيل البيان الكشف والتوضيح وقد يستعمل بمعنى الاثبات بالدليل وقيل البيان الافصاح مع ذكاء والفرق بين البيان والتبيان هو ان البيان عمل اللسان والتبيان عمل الجنان وقيل ان التبيان ابلغ من البيان لان الزيادة في الحروف اعطتهُ زيادة في المعنى

واما البيان عند اهل البيان فهو علم يعرف بهِ ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليهِ وموضوعهُ الفاظ العرب بحيثية وضوح دلالتها على المعنى المراد وغرضهُ تحصيل الملكة على افادة الدلالة العقلية مع فصاحة المفردات وغايتهُ الاحتراز من الخطا في تعيين المعنى المراد على الدلالة العقلية الواضحة ومباديهِ بعضها عقلية كاقسام الدلالات والتشبيهات والعلامات المجازية ومراتب الكنايات نحو زيد كحاتم طي وزيد بحر موجه الذهب وزيد يعطى الغنى اي المال المسبب عن الغنى وزيد كثير الرماد اي مضياف فان كل ذلك يراد بهِ كون زيد كريمًا وبعضها الوجدانية الذوقية مثل وجوه التشبيهات واقسام الاستعارات وكيفية حسن الذوق

وتعتبر دلالة اللفظ عند البيانيين على نوعين وهما اما وضعية وهي ما دلت على تمام ما وضع لهُ اللفظ واما عقلية وهي ما دلت على جزء ما وُضع لهُ اللفظ ولما كان البنا هنا في ايراد المعنى على اختلاف الطرق في وضوح الدلالة عليهِ لم تكن الوضعية تصلح لهُ لعدم اختلافها في الوضوح والخفا وانما تصلح لهُ العقلية لجوازان تختلف في الوضوح مراتب لزوم الاجزاء للكل في التضمن ولزوم اللوازم للملزوم في الالتزام ثم ان اللفظ الذي يُراد بهِ لازم ما وضع لهُ هو اما مجاز وهو ما فات قرينة على عدم ارادة معناهُ الذي وضع لهُ واما كناية وهو ما لا قرينة معهُ على ذلك والمجاز اما استعارة وهو ما يبنى على التشبيه واما مرسل وهو ما ليس كذلك ولا بد للبيان من اعتبار المطابقة المعتبرة في المعاني فمنزلة المعاني من البيان منزلة الفصاحة من البلاغة

وقد حصروا هذا الفن في ثلثة انواع الاوَّل التشبيه وهو الدلالة على مشاركة امرٍ لاخر في معنى على غير استعارة ولا تجريد والثاني المجاز وهو اما مفرد واما مركب الثالث الكناية وهي لفظ اريد بهِ لازم معناهُ مع جواز ارادتهِ معهُ ولكلٍ من هذه الانواع احكام واعتبارات يطول شرحها

وعندهم ان المجاز ابلغ من الحقيقة والكناية ابلغ من التصريح لان الانتقال فيهما يكون من الملزوم الى اللازم فهو كدعوى ببينة والاستعارة ابلغ من التشبيه لانها نوع من المجاز والتشبيه من الحقيقة

علم البديع

الابداع عند الحكماء ايجاد شيء غير مسبوق بالعدم وقيل اخراج الشيء من العدم الى الوجود بغير مادة ولذلك كان البديع من اسماء الله تعالى ومعناهُ المبدع او انهُ بديع في نفسهِ لا مثل لهُ واما عند البديعيين فهو علم تعرف بهِ وجوه تحسين الكلام وموضوعهُ لفظ العرب من حيثية ذلك التحسين بعد

استكمال الفصاحة والبلاغة وغرضهُ تحصيل الملكة على تحلية الكلام بالمحسنات العرضية وغايتهُ الاحتراز من ان يخلو الكلام من هذه التحلية ومنفعتهُ زيادة نشاط السامع وقبول العقل ومباديهِ تتبع الخطب والرسائل والاشعار المحلاة بالصنائع البديعية وهذا التحسين انما يتم بعد رعاية المطابقة المعتبرة في علم المعاني ورعاية وضوح الدلالة في علم البيان والاَّ فهو مما لا يلتفت اليهِ

ويقسمون هذا الفن الى قسمين الاوَّل البديع اللفظي وتحتهُ انواع يسمونها الطباق والمقابلة ومراعاة النظير والارصاد والمشاكلة والمزاوجة والعكس والطي والنشر والجمع مع التفريق والجمع مع التقسيم والتجريد والمبالغة والمذهب الكلامي والتورية والاشتراك والايهام والتوجيه والاستخدام والتدبيج ونفي الشيء بايجابهِ والقول بالموجب والتلميح وبراعة الطلب والادماج والتفريع والاستتباع وحسن التعليل وتاكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل المتعارف

والثاني المعنوي ومنهُ الجناس بين اللفظتين يتشابه منطوقهما ورد العجز على الصدر والقلب ويقال لهُ ما لا يستحيل بالانعكاس والسجع والموازنة والتشريع ولزوم ما لا يلزم وما يتعلق بالخط اي بحروف الكتابة كالمصحف والعاطل والحالي والارقط والاخيف والمقطع والموصل وتفاصيل ذلك جميعهُ هي المبحوث عنهُ في كتب هذا الفن

فصل

في الفرق ما بين البلاغة والفصاحة

والناتج بطريق الاجمال من هذه التفاصيل جميعها هو ان الغاية المقصودة

من وضع هذه الفنون المذكورة هي الحصول على ملكة البلاغة بواسطة علم صناعي نسبتهُ للبلاغة الطبيعية كنسبة العروض للشعر والاَّ فان البلاغة توجد عند من لا يحسن علم البلاغة كما انهُ قد يحسن علم البلاغة غير البليغ ايضًا اما نفع هذا العلم فلا يكون غالبًا الاَّ في الشعر والخطابات ونحوها من كتب الاداب والتواريخ ومع ذلك فان المعتبر في كل من البلاغة والفصاحة هو المحسنات الذاتية لا العرضية وانواع البديع التي ذكرت هنا هي محسنات عرضية لكن بانضامها الى المحسنات الذاتية تزيدها حسنًا ورونقًا اذ من المعلوم بان الجميل اذا تحلى يزداد جمالهُ بهجةً

ووجه التمييز بين الفصاحة والبلاغة هو ان الفصاحة تكون اما في المفرد وهي سلامتهُ من تنافر الحروف كالمستشزرات ومن غرابة الاستعمال كالمسرّج ومن مخالفة القياس اللغوي كالاجلل ومن الكراهة في السمع كالنقاخ

قال صفي الدين الحلي

انما الحيزبون والدردبيس والطخا والنقاخ والعلطبيس
والحراجيج والسحطب والصقعب والعنقفير والعنتريس
والغضاريس والفقنقس والعفلق والخربصيص والعيطموس
والسبنتي والحفص والهيق والهجرس والطرفسان والعسطوس
لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئز النفوس
وقبيح ان يسلك النافر الوحشي منها ويترك المأنوس
ان خير الالفاظ ما طرب السامع منهُ وطاب فيهِ الجليس

واما في المركب وهي سلامتهُ بعد فصاحة مفرداتهِ من ضعف التاليف ومن تنافر الكلمات ومن التعقيد ومن كثرة التكرار ومن تتابع الاضافات.
والبلاغة لا تكون الاَّ في المركب وهي ان يكون الكلام مطابقًا لمقتضى الحال مع فصاحتهِ فكل فصيح بليغ ولا يعكس

ولا حاجةً الى بيان مقتضى الحال هنا حيث سبق ذلك في الكلام على المعاني واما الفصاحة فهي لفظ ماخوذ من قولهم افصح اللبن اذا اخذت عنهُ الرغوة وتكون في الالفاظ ولا تشمل المعاني لانهُ يقال هذا لفظ فصيح ولا يقال هذا معنى فصيح بل يقال هذا معنى بليغ والبلاغة من حيث اللغة هي ان يقال بلغت المكان اذا اشرفت عليهِ وان لم تدخلهُ ولذلك لا تكون الاَّ في المعاني فيقال معنى بليغ وكلام فصيح كما ذكرنا فالبلاغة اذًا هي تصحيح الاقسام واختيار الكلام قال الكندي يجب للبليغ ان يكون قليل اللفظ كثير المعاني وقال عمرو بن العاص ابلغ الناس من كان اقلهم لفظًا واسهلهم معنى واحسنهم بديهةً وقال عبد الله وزير المهدي البلاغة ما فهمتهُ العامة ورضيت بهِ الخاصة وقال الثعالبي الكلام البليغ ما كان لفظهُ فحلاً ومعناهُ بكرًا وقال الامام فخر الدين الرازي في حدّ البلاغة انها بلوغ الرجل بعباراتهِ كنه ما في قلبهِ مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل

حكى احمد بن يوسف الكاتب قال دخلت يومًا على المامون وهو يمسك كتابًا بيدهِ وقد اطال النظر فيهِ وانا ملتفت اليهِ فقال يا احمد اراك متفكرًا في ما تراهُ مني فقلت نعم وقى الله اميرَ المومنين المكاره واعاذهُ من المخاوف قال فانهُ لا مكروه فيهِ ولكنني قرات كلامًا وجدتهُ نظير ما سمعتهُ من الرشيد بقولهِ في البلاغة فانهُ كان يقول البلاغة التباعد من الاطالة والتقرّب من معنى البغية والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى وما كنت اتوهم ان احدًا يقدر على المبالغة في هذا المعنى حتى قرات هذا الكتاب ورمى بهِ اليَّ وقال هذا كتاب من عمرو بن مسعدة اليَّ قال فقرأتهُ فاذا فيهِ كتابي الى امير المومنين ومن قبلي من قوادهِ وسائر اجنادهِ في الانقياد والطاعة على احسن ما تكون عليهِ طاعة جندٍ تأخرت ارزاقهم وانقياد كفاةٍ تراخت عطياتهم واختلت لذلك احوالهم والتاثت معهُ امورهم فلما قراتهُ قال ان استحساني اياهُ بعثني ان امرت للجند قبلهُ بعطائهم لسبعة اشهر وانا على مجازاة الكاتب بما يستحقهُ من حلّ محلهُ في صناعتهِ

وفي محيط المحيط البلاغة الفصاحة وعند اهل المعاني البلاغة اخصُّ من الفصاحة والفرق بينهما ان الفصاحة يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم فيقال كلمة فصيحة وكلام فصيح ورجل فصيح والبلاغة يوصف بها الكلام والمتكلم فقط فيقال كلام بليغ ورجل بليغ ولا يقال كلمة بليغة وتطلق البلاغة عندهم على معنيين احدهما بلاغة الكلام وتسمى بالبراعة والبيان والفصاحة ايضاً وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحتهِ وهي سلامتهُ من التنافر والتعقيد ونحوهما وثانيهما بلاغة المتكلم وهي ملكة يقتدر بها على تاليف كلامٍ بليغ وعلم البلاغة يطلق على علم المعاني والبيان وقد يطلق على فن البديع ايضاً

وقال العلامة رفاعة بك الطهطاوي ان علم البلاغة الذي يشتمل على المعاني والبيان والبديع هو علم تحسين العبارة او علم تطبيق العبارة على مقتضيات الاحوال والمقصود منهُ على العموم توصل الانسان الى الافصاح عن ما في ضميرهِ بفصيح الكلام وبليغهِ وهذا العلم بهذه الكيفية ليس من خواص اللغة العربية بل قد يكون في اية لغةٍ كانت من اللغات ويعبَّر عنهُ في اللغات الافرنجية بعلم الريتوريقي لكن يقال ايضاً ان هذا العلم في اللغة العربية اتم واكمل منهُ في غيرها خصوصاً علم البديع فانهُ اشبه ان يكون من خواص اللغة العربية لضعفهِ في اللغات الافرنجية ثم ان اغلب التشبيهات المالوفة في اللسان العربي لا تكون مقبولةً في اللغات الافرنجية كما اذا اردت ان تعبّر عن شخص بديع الجمال فتقول هو شمس او عن حمرة خديهِ بقولك خدود تتلظى وكذلك ما يقال في الريق لانهم يقولون ان الطبع لا يوالفهُ لكونهِ آيلاً الى البصاق وقد يوجد منها ما هو مالوف عندهم كقولك زيدٌ اسدٌ اذا اردت وصفهُ بالشجاعة

واختراع الفصاحة الحقيقية ينسب الى بيركليس الخطيب اليوناني في الازمنة الخرافية لان الخطباء اليونانيين قبلهُ كانوا لا فصاحة عندهم ولا بلاغة وبعد بيركليس المذكور اشتهر عندهم غيرهُ ايضاً لكن اغلب فصحائهم كانوا سوفسطائية يقيمون الادلة على الشيء حقًّا كان او باطلاً ويكسون الكذب ثوب

الصدق وباقي الافرنج غير الرومانيين كانوا الى حدّ الجيل الحادي عشر للميلاد بل والثاني عشر ايضًا اصحاب لغاتٍ خشنية لا يوجد بها شيء من الفصاحة اصلاً وما حسنوا بهِ لغاتهم اخيرًا انما استمدوهُ بعد التاريخ المذكور من لغتي اليونان والرومان

ثم وان يكن وضع هذه العلوم الثلاثة بما هي عليهِ على الوجه الذي سبقت الاشارة اليهِ في اللغة العربية جدّ بعد الاسلام فان العلمين الاوليين اللذين هما المعاني والبيان قد وضعهما الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفي سنة ٤٨٧ للهجرة (سنة ١٠٧٨ م) واما العلم الثالث الذي هو البديع فان واضعهُ هو عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد الخليفة العباسي اذ انهُ هو اوّل من الف فيهِ كتابًا لطيفًا وكانت وفاتهُ في سنة ٢٩٦ للهجرة (سنة ٩٠٨م) ولم يؤلف فيهِ احد بعدهُ الى ان ظهر الشيخ عبد القاهر المذكور ووضع دلائل الاعجاز فنسب اليهِ علي المعاني والبيان على ما ذكرنا ومن ثم اخذ المولفون بعدهُ في التاليف غالبًا على الفنون الثلاثة جميعًا غير ان مباديها الأ ما ندر كالمتعلق من البديع في الخط وامثالهُ انما ادركوها من استقراء كلام العرب واشعارهم في زمان الجاهلية حتى انهُ ضُرب المثل بفصاحة القس بن ساعدة بن عمرو الايادي اسقف نجران خطيب العرب وشاعرها فيقال في امثالهم لمن يُراد وصفهُ بالبلاغة ابلغ من قس بن ساعدة ويقال بانهُ هو اول من صعد على شرفٍ وخطب عليهِ (الشرف المكان العالي) واوّل من قال في كلامهِ اما بعد واوّل من اتكا عند خطبتهِ على سيفٍ او عصا واوّل من كتب من فلان الى فلان الى غير ذلك وكذلك يضرب المثل ايضًا بخطابة سحبان وائل الباهلي فيقولون اخطب من سحبان وهو من خطباء باهلة وشعرائها ومن قولهِ

لقد علم الحي اليمانون انني اذا قلت اما بعدُ اني خطيبها

يحكى عنهُ انهُ خطب في صلحٍ بين حيين شطر يوم فما اعاد كلمةً واستيفاء الكلام على من كانوا من امثال من ذكرنا يحتاج الى مولفات خصوصية ولاسيما

اذ اضيف الى ذلك الذين اشتهروا بالفصاحة بعد الاسلام ايضا كالحسن ابي سعيد بن ابي الحسن يسار البصري الفقيه الواعظ الذي يضربون المثل بوعظهِ وكان اكثر كلامهِ حكم وبلاغة قال ابو عمرو بن العلا ما رأيت افصح من الحسن البصري ومن الحجاج بن يوسف الثقفي لكن الحسن افصح منهُ توفي بالبصرة سنة ١١٠ للهجرة (سنة ٧٢٨ م) ونظيرهُ عمرو بن الاهتم الذي يضربون المثل ببيانهِ

الكلام على الشعر

لما كان نظم الشعر سابقًا على ظهور الكتابة كان لا يمكن ان يستمد من التاريخ معرفة زمن ظهورهِ ولا اسم اوّل شخص نطق بهِ ولا القبيلة التي وجد فيها اولاً ولا ما هي الطريقة التي دلت عليهِ بل نهاية ما يمكن تحقيقهُ هو انهُ قبل ظهور فن الكتابة كان البعض من القدماء ينظمون التواريخ لكي يسهل حفظها عليهم لان النظم يرسخ في الذهن اكثر من النثر كما سبقت الاشارة الى ذلك في الكلام على الكتابة وعلى هذا يقال الشعر ديوان العرب وترجمان الادب اذ منهُ وحدهُ يمكن ان يعرف شيء من علومهم واخبارهم وعوائدهم وادابهم واحكامهم قبل ان وجد عندهم فن الكتابة الذي هو وحدهُ الواسطة الوحيدة لحفظ مثل هذه الامور وصيانتها من التلف والضياع

والظاهر ان طريقة الاستدلال على نظمهِ هي عين الطريقة التي دلت يوبال بن لامك الذي جدّهُ السابع كان آدم ابا البشر على اختراع العود والمزمار لما بين الالحان الموسيقية والتقاطيع الشعرية من المواخاة وكما ان الملائم من الاطعمة هو ما ناسب كيفية حاسة الذوق والملائم من الملموسات ما ناسب حاسة اللمس والروائح الشم وما ناسب البصر من المرئيات هو ما كان متناسبًا في اشكالهِ وتخاطيطهِ هكذا ما يلائم المسموعات يكون بتناسب الاصوات لا بتنافرها من جهة الهمس والجهر والرخاوة والشدة والقلقلة والضغط الى غير

ذلك وهذا التناسب الذي يوجب لها الحسن لا يتم كما ينبغي الاّ بواسطة كلام يتألف من اجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة وفصل اجزائهِ تفصيلاً يكون كل جزء منها مستقلاً بالافادة لا ينعطف على الاخر فتلائم الطبع بالتجزئة اولاً ثم بتناسب الاجزاء في المقاطع والمبادي ثم بتادية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها وهذا هو الشعر

وبما ان اصاغة الكلام على هذه الصورة لا يتوقف على فصاحة اللغة ولطفها وغير ذلك من الصناعة التي تتسع دائرة الشعر بها وتعلو بلاغتهُ بواسطتها عند الامم المتمدنة بل في نفس اللغة الواحدة تمكن هذه الاصاغة بكلٍّ من نوعي الفصاحة وضدها كالنظم في اللغة العربية مثلاً بلغة الخواص واصطلاح العامة ايضاً كان الشعر غير خاص بلغةٍ من اللغات بل يمكن نظمهُ في اية لغةٍ كانت بمقتضى علم شعرها ولو انها خشنية فانهُ يحكى عن فرقةٍ في بلاد السودان يقال لها سوليما تمدح ملوكها بالاشعار وتنظم حوادث البلاد فيزين الشاعر ذراعيهِ باجراس صغيرة ويقبض باصابعهِ على القيثار وينظم اشعاراً مشتملة على كثير من المبالغة وهكذا اهالي جزيرة سومطرا وجزيرة اسلنة والفنوي جميعاً ينظمون الشعر فضلاً عن اهالي دولة قابول شرقي بلاد فارس والهنود والصينيين الذين تظهر بلاغتهم في شعرهم الذي هو فصيح بطبيعتهِ حتى انهُ لما كانت العلوم والفنون ذات رونقٍ وبهجة في زمن دولة صوفية العجم ظهرت قصائد الفردوسي وسعدي وحافظ وكشاجم وترجمت الى لغات الافرنج واعجبت اهالي اوروبا قال بعض المولفين منهم انها مع كونها خالية من المعاني كان ما اشتملت عليهِ من التخيل الحماسي اليانع الزهور لا تشم منهُ الاّ رائحة الورد والمنثور ولا يسمع من الفاظها الاّ تغريد الهزار والشحرور

وكثيرون من الخلق الهمل يتعيشون من نظم الشعر ايضاً يحكى عن طائفة يقال لها ستارون ببلاد الهند ليس لها حرفة الاّ مدح من يصنع معها معروفاً وطائفةٍ اخرى تسمى البهات ومقرها بالاصالة الجرزات تروح الى بلاد الهند

بوظيفة قول الشعر وهم مجبولون عليهِ ومنهم من عيشتهُ بخدمتهِ لبعض قبائل يبقى طول حياتهِ في مدحهم باشعارهِ ومنهم من يقضي معيشتهُ من انشاد الشعر في الاعراس والولائم ومنهم من هو تحت خدمة عيلة غنية ينشر مدحها في حضرها وفي سفرها ومنهم من يقول الشعر على لسان من لا يعرف نظمهُ ويريد ان يمدح انسانًا بشرط ان يشركهم معهُ في الجائزة وياخذون منهُ تمسكات ايضًا على ذلك فان لم يعمل لهم بما فيها من الشروط ذبح الناظم عجوزًا او صبيًا من قبيلتهِ او عيلتهِ واشاع بذلك اللعنة على غريمهِ وظن انهُ بعملهِ هذا تنزل اللعنة على راس من خالف شرطهُ

وخلاصة الكلام انهُ ما من امةٍ لها قوة التصرف في المعاني الا وفيها شعراه بلسانها لكن لما كانت قوة العقل غير مستوية في كل الاقاليم كان جولان الذهن في المعاني وحماستهُ فيها واختراعهُ لها يشتد في الاقاليم الحارّة لما فيها من راحة الخاطر ومع ذلك يقال ان ذوق الشعر وملكتهُ يكونان ايضًا في الاقاليم الشديدة البرودة ولو كانت قريبةً من القطب

واوّل من نظم الشعر من اليونانيين رجل يقال لهُ هسيودور ظهر في القرن العاشر قبل الميلاد ثم بعدهُ بنحو اربعين سنة اعني في اثناء القرن التاسع قبل الميلاد ظهر بينهم اوميروس الشاعر المشهور قيل انهُ من ازمير وقيل بل من ساقص ساح في جميع بلاد اليونان وجزائر بحر الروم وبر مصر فبرع في الجغرافية وعلم الاداب والاخلاق والعوائد ولشعرهِ حماسة عظيمة في كتب العلوم الادبية الافرنجية لان جميع اشعارهُ ترجمت الى اغلب اللغات ما عدا العربية لانهُ لما رغب الخلفاء العباسيون في ترجمة الكتب اليونانية اهملوا الكتب التاريخية والشعرية لان اشعار اليونانيين والرومانيين لم تعجبهم لقلة ما فيها من الحماسة التي توافق ذوق العرب كما سبقت الاشارة الى ذلك في الفصل الخامس من المقالة الاولى من هذا المؤلف ومع ذلك فان هذا الشاعر معروف عندهم وقد ذكرهُ ابن الصائغ بقولهِ. كأني اوميروس لدى بن محمد. ويحكى عنهُ انهُ عمي

بمدينة كولوفون لما ذهب من المورة اليها فلهذا لقب بالاعمى وقد اعتنى الاسكندر المكدوني بجمع قصائده وتنقيحها من الغلط والتحريف المسببين من اقلام النساخ واعظم قصائده ثنتان الواحدة تسمى اليادة والثانية ادويسة يتعلقان بمدح حروب اليونانيين وخرافاتهم خصوصاً حرب تروادة ولما كانت قصائد هذا الشاعر هي التي ينشأ على منوالها القصائد الحزنية زعم بعض المتاخرين ان اوميروس المذكور شخص موهوم متخيل نسبت اليهِ اشعار اليونانيين من هذا النوع كما قالت العرب مثل ذلك بحق مجنون ليلى بانهُ نسبت اليهِ الاشعار الحزنة التي كان ينظمها من اشتدّ غرامهُ وزاد هيامهُ

ثم في عهد الحكيم سولون اعني في اواخر القرن السابع قبل الميلاد اخترع شاعر يوناني يقال لهُ طسبيس فن القصائد الالعابية المسماة درمانيقية وهي قصائد هزلية قبيحة لم يكن لها فائدة الاَّ التهيئة لطرق العقل وتحسين القريحة

وفي القرن الاول من الميلاد ظهر الشاعر هيزيود في مدينة كومة وهو اوّل من نظم في علم الزراعة من اليونانيين

ثم اشتهر جماعة من الشعراء اخرون شاع ذكرهم في بلاد اليونان حيث ابتدعوا في قصائدهم انواعاً كثيرة شعرية منهم الفيه وساقة وبندار وسميند وانقريون وتيغريد وغيرهم وكانت قصائدهم مشتملة على اشعار الاغاني واشعار الرعاة والشعر التعليمي والهجو فتلقى الرومانيون عنهم تلك الاشعار وزادوا في تحسينها وبالغوا في تنقيحها وكذلك الافرنج من بعدهم

وكان اوّل من اشتهر بالشعر بين الرومانيين رجل يقال لهُ ورجيل مولود بمدينة منتوة سنة ٧٠ قبل الميلاد وبعد ان مارس العلوم والاداب وسافر لتحصيلها في عدة مدن رجع الى رومية فتلقاهُ القيصر اوغسطوس بغاية الترحاب والاكرام وكان من شيمته التواضع والخمول مع انهُ كان من عظماء اهل عصرهِ وكانت لهُ مكانة جليلة عند الرومانيين توفي في سنة ١٩ م

ثم بعدهُ ظهر استاس الشاعر المشهور الذي كان في عصر الايبراطور

دومتيانوس وله قصائد مشهورة احسنها القصيدة المسماة برنيوس وله اخرى تسمى تيبائيد توفي سنة ١٠٠ م

وبعد ان انتشرت الديانة المسيحية في اقسام الايمبراطورية الرومانية ظهر كثيرون من الشعراء الرومانيين المجيدين والبلغاء الحماسيين مثل اوزان وبرودنس وبولين دونوله وقلوديانوس وسريانوس ابوليناريوس وفرتونات وكان لم يبق من هولاء الشعراء على العقيدة الوثنية الا قلوديانوس المذكور جاء من الاسكندرية الى رومية لمجرد مقاومة الانجيل وهو كان اخر الشعراء الوثنيين كما يتضح ذلك من مراجعة الفصل الثالث من المقالة الاولى في هذا الكتاب

ثم بعد ان انقسمت هذه الايمبراطورية العظيمة الى قيصرتين شرقية وغربية لم تلبث الغربية برهة وجيزة الا وهاجمها البربر من كل ناحية ومزقوا اقاليمها واستولوا عليها فانحطت فيها العلوم والفنون وما زالت اخذة في الانحطاط الى ان قال اخر الشعراء منهم يخاطب شعرهُ في القرن العاشر للتاريخ المسيحي بما معناهُ

يا شعر حسبك لا نؤمل حظوةً قد بار سوقك بعد طول نفاقِ

اما القيصرية الشرقية فانها كانت بعكس الغربية لانهُ في الوقت الذي ظهر فيهِ من الرومانيين الشعراء الذين اشرنا اليهم كان الشعر في بلاد اليونانيين محصوراً في قصائد هجو مبتذلة ولما هدم الدين المسيحي قواعد الديانة الوثنية انحطت ايضاً درجة العلوم والاداب في هذه القيصرية بسبب قلة الاشتغال في المشاجرات الدينية التي كانت تلجئهم قبل ذلك الى ممارسة تلك الفنون وطرح الشعر في زوايا الاهمال ومع ذلك فان القديس غريغوريوس النازينزي نظم وقتئذٍ قواعد الدين المسيحي في سلك اشعارٍ عالية باللسان اللاتيني قيل في وصفها ان سحر بيانها ياخذ الالباب ويستلب العقول وظهر ايضاً من الشعراء نونوس الاخميمي (اخميم قرية في بلاد مصر) وموسى النحوي وكنتوس الازميري الذي نظم تكملة لقصيدة اوميروس المسماة البادة ذكر فيها

ما فات اوميروس الى اخذ مدينة صور وقلوتوس الليكو بولسي وترفيدوز المصري وتريبونيان وبروكوبيوس وبولس السيلنتيري وجرجي البيزيدي وبلداس الشلسبسي

وكان من جملة الشعراء الذين اشتهروا في ايام القيصر يوستنيانوس القنصل مكدونيوس والمورخ اغسياس الذي كان شديد الحرص على حفظ الاشعار جمع منها جملة عظيمة ومن الانشاآت وسمى هذا المجموع سيكل يعني دائرة تشبيهاً له بها في الاحاطة وقسمهُ الى سبع مقالات لانهُ ينطوي تحت الانشاآت المراسلات والسير ووصف الاشيا والمراثي والمواعظ والهجاء والالعاب العشقية والخمريات ثم اتخذ رجل يقال لهُ قسطنطين كيفلاس واخر يسمى بلاندوس هذا المجموع قدوةً حيث نسجا على منوالهِ وكان احدهما في القرن التاسع والاخر في القرن الرابع عشر للميلاد فجمع كل منهما مجموعاً ضمنهُ الاشعار اليونانية وهذان المجموعان لم يزالا بيد الافرنج الى الآن

ثم لما تفرغ اهالي اوروبا للعلوم الادبية والفلسفية بعد الحروب الصليبية المنتشبة من ابتداء سنة ٤٩٠ للهجرة (سنة ١٠٩٦ م) وقد سبق الكلام عليها في المقالة الاولى بزمن وجيز اخذوا يشتغلون بالشعر قبل الفلسفة فكان استشعارهم شديداً وتاثرهم قوياً بحيث كانوا يحسنون وصف الاشيا وتخطيطها على وجهٍ بليغ مع انهُ لم يكن عندهم من العلوم العقلية التي هي علم الميزان الاشيء يسير فكانوا ينسجون على منوال اوميروس وهزيودوس قبل ان يتشبثوا بحكمة تاليس فازهرت بلاد الافرنج بالاشعار وكانت الشعراء معتبرين في قصور الامراء ودواوين الملوك الافرنجية نظير ما كان ذلك بعينهِ عند الخلفاء وغيرهم من امراء المسلمين وكانت البلد المشهورة في الشعر ببلاد فرانسا برونسة وفي اسبانيا كتالونيا وفي النمسا سوايه ومن هذه البلدان خرج الشعراء وكان بها محاضير يجتمع بها الشعراء للتنافس والتناظر كما كان يجرى بين العرب في سوق عكاظ ومربد البصرة

وكانت ملكة الشعر متمكنة في بلاد ايطاليا وكان يوجد بها شعراء يقترحون الاشعار على صوت الالة فينظمون انواع الاشعار القصيرة والقصائد العظيمة بحضرة الافاضل حتى ان منهم من يتشدق بها في الطرق والمسالك وفي القرن السادس عشر للميلاد ظهر بينهم اريوستو وطاسو اللذان اشهرا اللسان الايطاليانى المستعمل الآن وهما في الطبقة الاولى من مشاهير تلك اللغة

اما في بلاد اسبانيا فكانوا ينظمون القصائد التي تعلق بها ذوق الناس مدة احقاب وقد نظموا وقائع الحروب خصوصا قصة العرب وعجائب السحر واحوال الانسان وتاريخ القدماء ونظموا كذلك الكتب المقدسة اقتداء في ما وجد منها نظمًا باللغة العبرانية في العهد العتيق كسفر ايوب وزبور داود ونشيد سليمان وغير ذلك من الاسفار النبوية وجعلوا ذلك للترنم على قيثارهم لكن يقال بانهُ ليس لها بهجة ولاحسن عبارة وفي القرن السادس عشر بعد الميلاد اشتهر بينهم الشاعران المجيدان لويس دفيفا وكالدرون فاظهرا من التراكيب الشعرية الطرق المستحسنة التي الفوها في المجامع المعدَّة لتهذيب الاخلاق المسماة عندهم بالتياترات

وفي جزائر دانيماركه كانت تتعلم الشبان الفلاحون من الذكور والاناث الاشعار في ليالي الشتا وهم ينفشون الصوف ويغزلونهُ

وكما كان السلاو والروم والصقالبة ينظمون الشعر حتى ان النساء في بلاد السرب كنَّ ينظمن امور البيوت حيث لا يعرفن غيرها كذلك كان في بلاد المسكوب لا بدَّ لكل واحدٍ من اعيان الناس من محدث حتى اذا نام السيد جلس المحدث بقربهِ يسليه بالقصص والاشعار حتى ينعس ولما جدد عندهم القيصر بطرس الاكبر الالعاب التياترية الفت الاميرة نتاليا احدى اخوات هذا الامبراطور باللسان الروسي مقامات تياترية تتعلق بذكر الحوادث المحزنة وكانت اقرب شبهًا بما الفهُ الشاعر شكسبير الانكليزي

اما الشاعر شكسبير المذكور فكان ظهورهُ في القرن الخامس عشر من

مدينة استرانفرد من بلاد الانكليز وهو اعظم شعرائهم وبعدهُ اعني في القرن السابع عشر ظهر عندهم ايضًا درايدن وبوب

وفي القرن الخامس عشر ايضًا ظهر في فرانسا الشاعر اوكتاويان دوسنت جليس الذي ترجم قصيدتي اوميروس المسماتين اليادة وادويسة وقد مرّ ذكرها والشاعر ديلون الذي هو اوّل من حرر فن اختراع الحكايات الموضوعة القديمة وكذلك ظهرت اشعار الرعاة التي نظمها الملك رينه الطيب لفرط رغبتهِ في الرعي حين زهد في الفتوحات ورعى مواشيه في مروج بروونسه مع زوجتهِ الملكة حنه دي لوال وفي القرن السادس عشر ظهر ربلي متقن صياغة مثالب الهجو لكن لم يصل شعراء الفرنساوية الى درجة كمال الاّ في القرن السابع عشر لما ظهر كل من رابين وكوميرة ولا روزيبزه في زمن الملك لويس الرابع عشر

وكثيرًا ما تقع الفتنة في بلادهم بسبب حث شعرائهم بالاشعار ومن القصائد التي اشتهرت بذلك القصيدتان اللتان نظمها الفرنساوية في زمن الهياج الذي وقع على ملكهم كرلوس العاشر في سنة ١٨٣٠م ويقال لاحدهما الباريسية والثانية المرسيلية ولشدة التاثير الذي حصل منهما منع نابوليون الثالث امبراطور فرانسا ذكرها بالكلية وقد ترجمتا الى العربية في رحلة الفاضل العلامة رفاعة بك الطهطاوي

ثم ان معرفة النظم في اللغات الافرنجية لاتكفي بل لا بد ان يكون الشاعر بهِ سجية النظم سليقةً طبيعية كما كان العرب في زمان جاهليتهم والاّ كان نفس الشاعر باردًا او شعرهُ غير مقبول

فصل

في الشعر العربي

اما فن العروض على الكيفية الخاصة بهِ المدوَّن عليها في لغة العرب وحصرهُ في البحور الستة عشر التي ياتي الكلام عليها فهو لخصوص اللغة العربية التي توجد في بلادها ملكة الشعر منتشرة حتى ان كثيرين من العاجزين عن الكسب بغير الشعر والذين بهم خمول عن غيرهِ يعيشون من نظم الاشعار التي يمدحون بها اغنياءهم ويقال بان اوَّل من نهج هذه الطريقة فسال بشعرهِ وانتجع بهِ اقاصي البلاد من العرب كان الاعشى ميمون بن جندل الاسدي ويكنى ابا بصير وحيث كان يغني في شعرهِ في احيائهم سموهُ صناجة العرب توفي سنة ٨ للهجرة (سنة ٦٢٩م)

وقبل ان يضع الخليل بن احمد الذي مرَّ ذكرهُ في الكلام على النحو علم العروض ويبرزهُ الى الوجود كان نظم الشعر في زمن الجاهلية سجية طبيعية قال ابن ابي دواد ليس احد من العرب الّا وهو يقدر على قول الشعر طبعًا ركب فيهم قلَّ قولهُ او كثر وقال اخرون انهم كانوا ينظمونهُ ارتجالًا والمتحصل ان العرب وقتئذٍ لم تتعلم لهُ عروضًا ولا احتاجوا فيهِ الى درس علم البيان كما هو الحاصل الآن وانما اخترع ذلك المتاخرون بعد ظهور الاسلام لما ان عدمت منهم قواهُ الطبيعية واحتاجوا الى احيائها ثانيةً فشرعوا حينئذٍ في معالجتها بالوسائط الصناعية المذكورة

يحكى عن رجل يقال قنفذ الكلابي كان لهُ ابن يسمى جوشن نبغ في الشعر

فنهاهُ عنهُ فجاش بهِ صدرهُ ومرض حتى اشرف على الموت فاذن لهُ ابوهُ حينئذٍ في قول الشعر فقال حال الجريض دون القريض اي ان غصة الموت حالت بينهُ وبين قول الشعر فذهبت مثلاً يضربونهُ لامرٍ يعوق دونهُ عائق والجريض في اللغة الريق واجرضهُ بريقهِ اغصهُ والقريض الشعر

وكان للبدو منهم امتياز على الحضر بصحة سبك المعاني اللغوية قال الاصبهاني ان الشعراء القرويين (سكان القرى) كعدي بن زيد في الجاهلية وأُمية بن ابي الصلت والكميت والطرماح بمنزلة سهيل من النجوم يعارضها ولا يجري مجراها وقال العجاج ان الكميت والطرماح كانا يسالانهُ عن الغريب فيخبرهما بهِ ثم يراهُ في شعرهما وقد وضعاهُ في غير مواضعهِ فقيل لهُ ولمَ ذلك قال لانهما قرويان يصفان ما لم يريا فيضعانهِ في غير مواضعهِ وانا بدوي اصف ما رايت فاضعهُ في مواضعهِ

واختلف الناس فيمن قال الشعر ابتداء من العرب فمنهم من قال عاد ومنهم من قال ثمود ومنهم من قال حميَر ومنهم من قال ربيعة ومنهم من قال مُضَر ورجح بعضهم بان اوَّل من قالهُ هو حمير بن سَبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان جدّ العرب

وذهب قوم الى ان ايوب الذي يظن بانهُ وُجد في القرن السادس عشر قبل الميلاد وقد مرّ ذكرهُ هنا هو افضل شعرًا من اوميروس الشاعر اليوناني وشكسبير الشاعر الانكليزي اللذين مرّ ذكرهما ايضًا وتعتقد الافرنج انهما اشعر الخلق وان لهُ عليهما فضيلة السبق لان صحفه الشعرية وقد ذكرت فيما سبق هي اقدم الصحف الاولى على الاجماع وان اصلها كان باللغة العربية ثم نقلها موسى النبي الى اللغة العبرانية غير ان الاصل العربي الذي هو مفقود الآن لا يعلم هل كان بلغة حميَر او بلغة مُضَر

والى الآن يوجد قطع من اشعار قبيلة عماليق بن اليفاز بن عيسو الجد الخامس لايوب المشار اليهِ وهي اشهر قبائل العرب البائدة من ذلك ما قالتهُ

عفيرة بنت عباس الجديسية ويقال لها الشموس تحرّض قومها على عملاق ملك طُسم وكان فاحشًا ظلومًا

لا احدٌ اذلُّ من جديسِ اهكذا يفعلُ بالعروسِ
يرضى بهذا يا لقومي حرٌّ هذا وقد اعطى وسيق المهرُ
لخوضهِ بحر الردى بنفسهِ خيرٌ لهُ من فعل ذا بعرسهِ

وقول هذيلة امراة قرقس الجديسي في عملاق المذكور ايضًا

اتينا اخا طُسمٍ ليحكم بيننا فانفذ حكمًا في هُذَيلةَ ظالما
لعمري لقد حكمتَ لا متورعًا ولا كنتَ فيمن يبرَمُ الحكم عالما

وقول الاسود اخي الشموس الجديسية المذكورة بعد ان اغتال عملاق المذكور وهو في نفرٍ من قومهِ بسيوف اصحابهِ الجديسيين حتى اتى على اخرهم انتقامًا منهُ لهتكهِ ستر اختهِ

ذوقي ببغيك يا طسم مجللة فقد اتيت لعمري اعجبَ العجبِ
انّا اتينا فلم ننفك نقتلهم والبغي هيج منا سورة الغضبِ
فلو رعيتم لنا قربي موكدةً كنا الاقارب في الارحام والنسبِ

وتقول العرب ان اشعر اهل الوبر هم امرء القيس بن حجر الكندي وزهير بن ابي سلمى المزني والنابغة الذبياني وعنترة بن شداد العبسي ثم لبيد بن ربيعة العامري وطرفة بن العبد البكري والاعشى ميمون بن جندل الاسدي واجودهم فيهِ عمرو بن كلثوم الثعلبي والحرث بن حلزة اليشكري وطرفة بن العبد المذكور

واختلفوا في التفاضل بينهم فقال قوم افضلهم امرء القيس وقيل زهير بن ابي سلمى وقيل عنترة بن شداد وقيل غير ذلك ولما سئل الاصمعي من اشعر العرب قال عنترة اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا طرب والاعشى اذا رهب

وقال عبد الملك بن مروان اشجع العرب شعراً اربعة عباس بن مرداس السلمي وقيس بن الخطيم الاوسي وعنترة بن شدَّاد العبسي ورجل من بني مزنية اما العباس فلقولهِ

اشد على الكتيبة لا ابالي افيها كان حتفي ام سواها

واما قيس بن الخطيم فلقولهِ

واني لدى الحرب العوان موكل بتقديم نفسٍ لا اريد بقاها

واما عنترة بن شداد فلقولهِ

اذ تتقون بي الاسنة لم اخم عنها ولكني تضايق مقدمي

واما المزني فلقولهِ

دعوت بني قحيفة فاستجابوا فقلت ردوا فقد طاب الورودُ

وكانت العرب تقرّ لقريش بالتقدم عليها في كل شيء الاَّ الشعر فانها كانت لا تقر لها بهِ حتى كان عمرو بن ابي ربيعة والحرث بن خالد المخزومي والعرجي وابو دهبل وعبد الله بن قيس الرقيات فاقرت لها حينئذٍ الشعراء بالشعر ايضاً ولم تنازعها شيئًا

ونقسم شعراء العرب في الجاهلية والاسلام بحسب ادوارها الى اربع طبقات ثلاثة منها كان نظم الشعر فيها سجية طبيعية اذ انها لم تدرك الزمن الذي فيهِ اخترع لهُ المحدثون قواعد صار بواسطتها صناعة وهي اولاً الجاهليون يعني الذين عاشوا في العصر السابق على ظهور الاسلام وماتوا اما قبل ان يدركوا الاسلام واما ادركوهُ ولم يسلموا بل اصروا على ما كانوا عليهِ من العبادات الجاهلية كامرء القيس وامية بن ابي الصلت ثانياً المخضرمون وهم الشعراء من الجاهلية الذين ادركوا الاسلام وقبلوهُ كحسان بن ثابت وكعب بن زهير وهو ماخوذ من الناقة المخضرمة وهي التي قد قُطع نصف اذنها فيقال للشاعر منهم مخضرم وسمع فيهِ محضرم بالحاء المهملة ثم توسع في ذلك حتى اطلق على من ادرك دولتين كالدولة الاموية والدولة العباسية ثالثًا المولدون كالفرزدق وجرير

رابعًا المحدثون كالمعري وابن الرومي وهم الذين نبغوا من اول القرن الثالث للهجرة والتاسع للميلاد وكان نظمهم الشعر على مقتضى قواعد الاداب المخترعة له اخيرًا مدة الزمن المذكور

غير انهُ كما يوجد بين الجاهلية قوم من الشعراء تطلق عليهم هذه التسمية مع انهم ليسوا بجاهلية كالقس بن ساعدة اسقف نجران الذي مر ذكرهُ فانهُ كان نصرانيًا والسموال بن عاديا وكان يهوديًا كذلك يوجد بين المخضرمين والمولدين قوم ادرجت اسماؤهم بين الشعراء الاسلاميين لكونهم نبغوا في العصر الاسلامي مع انهم عاشوا وماتوا تحت اسم مسيحيين كالنابغة الشيباني والاعشى الثعلبي والاخطل وابي زبيد الطائي والقطامي الملقب ايضًا بصريع الغواني لقولهِ

صريعُ غوانٍ راقهنَّ ورقنهُ   لدن شبَّ حتى شاب سود الذوائبِ

ثم ان الشعراء اصحاب الطبقات الثلاث الاولى هم كثيرون جدًّا لا يمكن حصرهم بل يمكن ان تعتبر عامة العرب وقتئذٍ الاَّ النادر القليل شعراء الاَّ انهُ قد انتخب العلماء اخيرًا من قصائدهم سبعة اسابيع وضعوا لكل منها وصفًا نعرف بهِ وهي شهيرة بكونها افضل اشعارهم فقالوا المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي والمشوبات والملحمات

اما المعلقات ويسمونها السموط والسبع الطول ايضًا جمعها حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ للهجرة (سنة ٧٧١ م) واعتنت علماء الاسلام بشرحها لما فيها من الفصاحة والصناعة الشعرية ويعتبرونها من الطبقة الاولى وتفتخر العرب بها ولسمو درجة فصاحتها علقها ناظموها على باب الكعبة قال صاحب تذكرة الحكم ان العرب اقامت تسجد لهذه المعلقات نحو مئة وخمسين سنة الى ان ظهر الاسلام وابطل القرآن بسطوة فصاحتهِ اعتبار العرب لها فانزلوها عن الكعبة وكانت اخت امرء القيس مقيمةً يومئذٍ بمكة فامتنعت من تنزيل معلقة اخيها الى ان انزلت اية اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء فانزلت هي بيدها قصيدة اخيها واحرقتها بالنار

واصحاب هذه المعلقات هم امرؤ القيس بن حجر الكندي المذكور وزهير بن ابي سلمى المزني والحرث بن حلزة اليشكري ولبيد بن ربيعة العامري وعمرو بن كلثوم الثغلبي وطرفة بن العبد البكري وعنترة العبسي الا انهم اختلفوا في قصيدة عنتر وهي التي يقول في مطلعها

هل غادر الشعراء من متردمِ ام هل عرفت الدار بعد توهمِ

فعدها بعضهم من المذهبات وجعل مكانها في المعلقات قصيدة النابغة الذبياني التي يقول في مطلعها

يادارمية في العلياء فالسندِ اقوت وطال عليها سالفُ الامدِ

لكن لم يوافق الاكثرون على ذلك وعليهِ جرى في شرح المعلقات القاضي الزوزني والشيخ محمد بن ذكريا الانصاري

واما المجمهرات فهي الطبقة الثانية من هذه القصائد المنتخبة واصحابها النابغة الذبياني وعبيد الابرص وعدي بن زيد وبشر بن حازم وامية بن ابي الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب

والمنتقيات وهي الطبقة الثالثة واصحابها المسيب بن علس والمرقش بن جرير وعروة بن الورد والمهلهل بن ربيعة ودريد بن الصمة والمتخل بن عويمر

والمذهبات هي الطبقة الرابعة واصحابها حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة ومالك بن العجلان وقيس بن الخطيم واحيحة بن الجلاح وابو قيس بن الاسلت وعمرو بن امرء القيس

والمراثي وهي الطبقة الخامسة واصحابها ابو ذويب الهذلي ومحمد بن كعب الغنوي والاعشى الباهلي وعلقمة المطموس وابو زبيد الطائي ومالك بن الريب النهشلي ومتمم بن نويرة التميمي

والمشوبات هي الطبقة السادسة واصحابها كعب بن زهير ونابغة جعدة والقطامي والحطيئة والشماخ بن ضرارة وعمرو بن احمد وتميم بن مقبل

والملحمات هي الطبقة السابعة واصحابها الفرزدق التميمي وجرير الخطفي

والاخطل التغلبي وعبيد الراعي وذو الرمة والكميت بن زيد والطرماح

العروض

ثم لما ظهر الخليل بن احمد وضع فن العروض على ما سبقت الاشارة اليهِ وهو علم يبحث بهِ عن احوال الاوزان المعتبرة في البحور الستة عشر وموضوعهُ الالفاظ العربية في تلك الحيثية ومباديهِ المقدمات الحاصلة من تتبع اشعار العرب ومن حصرهِ في هذه الاوزان المسماة بحورًا وغايتهُ الاحتراز من الخطا في ايراد الكلام على الايقاع المعتبرة وخلاصة ذلك انهُ علم باصول يعرف بها صحيح اوزان الشعر وفاسدها

قال ابن خلكان ان الخليل كان لهُ معرفة بالايقاع والنغم فاحدثت لهُ تلك المعرفة علم العروض فانهما متقاربان في الماخذ وقال السيرافي ووافقهُ حمزة بن حسن الاصبهاني ان الخليل استخرج العروض وحصر اشعار العرب بها وكان سببهُ انهُ مرَّ بالبصرة في سكة القصارين فسمع دق الكدنيق (وهو لفظ فارسي معرب اصلهُ كدنيه ومعناهُ مطرقة الحدادين والصفارين والقصارين) باصواتٍ مختلفة سمع من دارٍ دقٌّ وسمع من اخرى دَقْ دَقْ وسمع من اخرى دَقَقْ دَقَقْ فاعجبهُ ذلك وقال لاصنعن على هذا المعنى علمًا غامضًا فوضع العروض على حدود الشعر فهو اول من ابدع العروض ووضعها وقال يونس ان الخليل استنبط النحو ووضع العروض وصاغ الالحان ولم يشاركهُ احد

يحكى عنهُ انهُ كان ذات يومٍ يقطع بيتًا من الشعر فدخل عليهِ ولدٌ لهُ ورآهُ يحدث نفسهُ بكلامٍ غريب فخرج وهو يقول جنَّ ابي فاجتمع الناس عليهِ ولما علم القصة نظر الى ولدهِ وقال

لو كنت تعلم ما اقول عذرتني او كنت اجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت انك جاهل فعذرتكا

ثم انهُ بعد ان تتبع اشعار العرب حصرها في خمس دوائر سمّاها المختلف والموءتلف والمجتلب والمشتبه والمتقارب واستخرج منها خمسة عشر وزنًا سمى كل وزن بحرًا وهي الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث والمتقارب واعتبر هذه البحور اربعة وثلاثين عروضًا وثلاثة وستين ضربًا وذكر في علل الزحافات ثلاثًا وعشرين علةً ثم لما ظهر الاخفش تلميذ سيبويه الذي مرّ ذكرهُ في الكلام على النحو زاد بحرًا واحدًا سمّاه المتدارك او المحدث ويقال لهُ المخترع ايضًا استخرجهُ من المتقارب في الدائرة الخامسة

وذكروا في وجه تسمية هذا العلم بالعروض وجوهًا اقربها ان العروض اسم لما يعرض عليهِ الشيء فنقل الى هذا الفن لانهُ يعرض عليهِ الشعر فما وافقهُ فصيح وما خالفهُ ففاسد وقال بعضهم انهُ انما سمي بالعروض لان الخليل الفهُ في العروض وهي مكه فسمّاهُ بها تبركًا

وذكروا السبب في وجه تسمية الدوائر ايضًا فقالوا ان دائرة المختلف سميت كذلك لاختلاف اجزائها لان بعضها خماسية وبعضها سباعية وهي مشتملة على ثلثة ابحر مستعملة الاول الطويل والثاني المديد والثالث البسيط وبحرين مهملين وهما مقلوب الطويل ويسميه بعضهم المستطيل والثاني مقلوب المديد ويقال لهُ الممتد وهذان البحران لم تستعملها العرب ولكن بعض المتاخرين قد نظموا عليهما

والدائرة الثانية الموءتلف سميت كذلك للائتلاف بين اجزائها لانها كلها سباعية وفيها بحران مستعملان وهما الوافر والكامل وبحر مهمل وهو يخرج من الوافر ويقال لهُ المتوفر وقد استعملهُ بعض المولدين

والدائرة الثالثة المجتلب سميت كذلك لان اجزاءها كلها قد اجتلبت من دائرة المختلف وهي تشتمل على ثلاثة ابحر مستعملة الاول الهزج والثاني الرجز والثالث الرمل

والدائرة الرابعة دائرة المشتبه سميت بذلك لاشتباه ابحرها وهي تشتمل على ستة ابحر مستعملة وهي السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث وثلثة ابحر مهملة وهي المتيد والفرس يسمونهُ الجديد والمنسرد والفرس يسمونهُ القريب والمطرد والفرس يسمونهُ المشاكل وهذه الابحر الثلاثة لم تستعملها العرب وقد استعملها بعض المولدين

والدائرة الخامسة وفيها عند الخليل بحر واحد مستعمل وهو المتقارب وخرج منها بحر لم يذكرهُ الخليل وهو الذي استدركهُ الاخفش وسمي بالمتدارك او المحدث او المخترع على ما ذكر وسميت بدائرة المتفق لاتفاق اجزائها لان فاعلن قد تفرع من فعولن وكلاهما خماسي

وهذه التفاعيل المذكورة هنا هي من الاوزان الموضوعة من علماء هذا الفن لوزن بناء الشعر وهي ماخوذة عن نفس القياس الموضوع الى اوزان ابنية الافعال في علم الصرف الذي سبق الكلام عليهِ التي هي فعل يفعل لكن هناك صاغوها على صفة موافقة لوزن مفردات الافعال وهنا صاغوها على صفةٍ اخرى توافق لوزن تقاطيع الشعر التي تتألف من الاسباب والاوتاد والفواصل

والتقاطيع المذكورة هي اجزاء مفروضة لكل بحرٍ من بحور الشعر الستة عشر المذكورة يجرى عليها بحيث لايخلُّ منها بحرفٍ ولا حركة الاَّ ما ثبت استعمالهُ من زحاف او علة واعتبار ذلك فيهِ يكون بتحليلهِ الى ما يوازن تفاعيلهُ في الحروف والحركة والسكون ويقال لهُ التقطيع على ما ذكر وهذا التقطيع ينظر فيهِ الى صورة اللفظ دون الخط فلا يعتدُّ بما سقط لفظًا وان ثبت خطًّا كهمزة الوصل ويعتدُّ بما ثبت لفظًا وان سقط خطًّا كنون التنوين

اما الاسباب والاوتاد والفواصل فهي اولاً ان يكون السبب اما خفيف وهو عبارة عن متحرك يليهِ ساكن واما ثقيل وهو عبارة عن حرفين متحركين ثانيًا الوتد هو اما مجموع وهو عبارة عن متحركين يليهما ساكن واما مفروق وهو عبارة عن متحركين بينهما ساكن ثالثًا الفاصلة وهي اما صغرى وهي عبارة عن ثلث

متحركات يليها ساكن واما كبرى وهي عبارة عن اربع متحركات يليها ساكن وقد اجتمع كل ذلك على ترتيبهِ في هذه الكلمات تَرَىٰ حَيْثُ نَزَلَتْ عَرَبُكُمْ ومن هذه الاجزاء تتألف الابيات وسوف تاتي تتمة الكلام على ذلك . قال العلامة الشيخ ناصيف اليازجي في مقامتهِ العراقية

جميع اجزاء العروض حاصله من سببٍ ووتدٍ وفاصله
يصاغ منها كلمات احرفِ تجمعهنَّ معلنات يوسفِ

القوافي

وكما وضع الخليل المشار اليهِ علم العروض وضع ايضًا علم القوافي وهو علم يبحث فيهِ عن تناسب وعيوب الاعجاز وغرضهُ تحصيل الملكة على ايراد الابيات باعجازٍ متناسبة خالية من عيوب تنفر منها الطباع السليمة بحسب الوجوه التي تعتبرها البلغاء وغايتهُ الاحتراز من الخطا في ايراد الاعجاز المذكورة ومباديهِ المقدمات الحاصلة من تتبع اشعار العرب

والقافية هي من اخر البيت الى اول ساكن يليهِ مع المتحرك الذي قبل الساكن وهي على خمسة انواع الاول المترادف وهي حرفان ساكنان لا فاصل بينهما والثاني المتواتر وهو حرف متحرك بين ساكنين والثالث المتدارك وهو حرفان متحركان بين ساكنين والرابع المتراكب وهو ثلثة احرف متحركة بين ساكنين والخامس المتكاوس وهو اربعة احرف متحركة بين ساكنين ثم ان تحرك روي القافية قيل لها المطلقة والأفهي المقيدة

والروي يكون اما من الحروف واما من الحركات فالذي هو من الحروف فهو الحرف الذي تبنى عليهِ القصيدة فيقال لها دالية او لامية او ميمية والوصل هو ما يلي الروي من حرف لين او هاء ضمير والخروج وهو حرف لين يلي هاء الوصل والردف وهو حرف لين قبل الروي والتاسيس وهو الف بينها

وبين الروي حرف واحد والدخيل وهو الحرف الفاصل بين التاسيس والروي واما الذي من الحركات فهو المجرى وهو حركة الروي والنفاذ وهو حركة هاء الوصل والحذو وهو حركة ما قبل الردف والرسّ وهو حركة ما قبل التاسيس والاشباع وهو حركة الدخيل والتوجيه وهو حركة ما قبل الروي الساكن والف التاسيس لابد ان تكون من كلمة الروي والاّ فلا تعد تاسيسًا واعتبروا حركة الروي المشبعة حرفًا كالضمة فانها عندهم بمثابة الواو والردف يجوز بين الواو والياء دون الالف

وعيوب القافية هي تكرارها بلفظها ومعناها ويقال له الأيطاء وتعلقها فيما بعدها في البيت الثاني ويقال له التضمين

القريض

وهو علم يبحث به عن احوال الكلمات الشعرية لكن ليس من جهة الوزن والقافية بل عن حسنهِ وقبحهِ بحيثية كونهِ شعرًا وحاصلهُ تتبع الاحوال المخصوصة في الشعر من حيثية الحسن والقبح والجواز والامتناع وغرضهُ تحصيل ملكة ايراد الشعر على الخاصة المذكورة وغايتهُ الاحتراز من الخطا في الايراد المذكور ومباديهِ المقدمات الحاصلة من تتبع اشعار العرب

قال بعض الكتبة ان حد الشعر هو نظم موزون وليست القافية تشترط الاّ لتحسينهِ فقد كان الشعر شعرًا قبل ان تُعرَف القافية كما هو عند سائر الامم ولم يسمع للعرب بسبعة ابيات على قافيةٍ واحدة قبل امرء القيس لانهُ هو اوّل من احكم قوافيها انتهى كلامهُ لكن المتفق عليهِ هو ان الشعر كلام يقصد بهِ الوزن والتقفية معًا . وقولهم كلام مخرج لما لا معنى لهُ من الكلمات الموزونة وقولهم يقصد بهِ الوزن مخرج لما كان وزنهُ اتفاقيًّا كبعض ايات من القرآن بهذه المثابة ومثل ذلك لا يسمي شعرًا لان الوزن فيهِ غير مقصود وقولهم التقفية مخرج للكلام

الموزون الغير المقفى وقال اخرون انهُ كلام موزون ومخيل ومقفى بطريق العمدة

وقد شبه الخليل بيت الشِعر ببيت الشَعر الذي تسكنهُ العرب لان بيت الشَعر لهُ مصراعان وبيت الشِعر كذلك وكما ان بيت الشَعر لا يقوم الّا بالاسباب وهي الحبال والاوتاد الممسكة لها وبالفواصل وهي حبال طويلة يضرب منها حبل امام البيت وحبل وراءهُ يمسكانهُ من الريح فكذلك بيت الشِعر لا يقوم الّا بالاسباب والاوتاد والفواصل التي سبقت الاشارة اليها

قال المعريّ

حسّنت نظم كلام توصفين بهِ ومنزلاً بكِ معمورًا من الخفرِ
فالحسن يظهر في البيتين رونقهُ بيتٍ من الشِعر او بيتٍ من الشَعرِ

وللافوه الاودي ايضًا

والبيت لا يبتنى الّا باعمدةٍ ولا عمودَ اذا لم ترسَ اوتادُ
فان تجمع اسباب واعمدة وساكن بلغوا الامر الذي رادوا

وقد ذكرنا في ما مرّ بان الابيات تتألف من الاجزاء التي هي تقاطيع الاوزان فاذا اجتمعت عدّة اجزاء على وزن ما صار بيتًا وسمي مفردًا فان زاد عليهِ بيت اخر سمي دوبيت وما زاد على ذلك وكان دون السبعة ابيات وقيل عشرة يسمى قطعة وما فوق ذلك يسمى قصيدة

اما فنون الشعر فهي سبعة الاوّل القصائد والثاني الموشح والثالث الدوبيت والرابع الزجل والخامس المواليا ولهُ وزن واحد واربع قوافٍ والسادس كان وكان ولهُ وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاوّل من البيت اطول من الثاني والسابع القوما

ويقال ان اوّل من قصد القصائد وقال الغزل في العرب المهلهل بن ربيعة التغلبي اخو كليب وائل واسمهُ امرء القيس ولقب بالمهلهل لرقة شعرهِ وهو خال امرء القيس بن حجر الكندي الذي ينسب اليهِ اوّل بيتٍ شبب فيهِ

بالنساء واوّل من اخترع الموشح رجل يقال لهُ مقدَّم بن معافر العزيري من شعراء الامير عبدالله بن محمد المرواني بالاندلس وقيل ان الذي هذبهُ هو ابن سنا الملك اما الدوبيت فقد اخذهُ العرب عن الفرس لان بعض الشعراء المولدين سلكوا مسلك الفرس في اوزان اشعارهم وخاصةً الدوبيت والدو لفظ فارسي معناهُ اثنان والزجل وهو في اللغة الصوت اخترعهُ رجل من اهل الاندلس ايضاً يقال لهُ ابو بكر بن قزمان القرطبي والمواليا اخترعتهُ جارية لجعفر البرمكي حين قتل وامر الرشيد ان لا يرثيه احد بشعر فرثتهُ جاريتهُ بهِ حيث لم يكن من الشعر المعروف وهي تندبهُ وتقول يامواليا فسمي بذلك وقيل بل ان اهل واسط اقتطفوهُ من بحر البسيط وجعلوهُ على هذه الصورة. وكان وكان اخترعهُ البغداديون وسموهُ بذلك لانهم كانوا ينظمون فيهِ الخرافات والحكايات الى ان كثر وظهر ابن الجوزي والواعظ شمس الدين الكوفي وغيرهما من فضلاء بغداد فنظموا فيهِ المواعظ والحكم. والقوما اوّل من اخترعهَ رجل يقال لهُ ابن نقطة للخليفة الناصر العباسي والصحيح انهُ مخترع من قبلهِ وكان الناصر يطرب لهُ ثم تبعهُ البغداديون في الدولة العباسية برسم السحور في رمضان

وتحت هذه الفنون السبعة ضروب اخر كالحماق والالغاز ويقال لهُ الاحجية ايضاً والتخميس والتشطير ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف

ثم ان هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة ابدًا لا يغتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت وقد جاء في المثل برضى الشاعر بهدم بيتهِ لا باخلال بيتهِ ولا ريب بان هذا التحفظ يشمل الوزن والاعراب ومنها ثلثة ملحونة ابدًا وهي الزجل وكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منهُ بعض الفاظهِ معربة وبعضها ملحونة فان هذا من اقبح العيوب وانما يكون المعرب منهُ نوعًا بمفردهُ ويكون الملحون فيهِ ملحونًا لا يدخلهُ الاعراب

وقد قسموا فنون الشعر الى عشرة ابواب حسبما بوّب ابو تمام الطائي في الحماسة وقال عبد العزيز بن ابي الاصبع الذي وقع لي ان فنون الشعر ثمانية عشر فنًّا وهي غزل ووصف وفخر ومدح وهجا وعتاب واعتذار وادب وزهد وخمريات ومراثٍ وبشارة وتهاني ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسوال والجواب

وقسموها ايضًا الى خمسة اقسام مرقص كقول ابي جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لا تشرب خمر الندى   في الروض الَّا من كووْس عقيق

ومطرب كقول زهير

تراهُ اذا ما جئتهُ متهللاً   كانك تعطيهِ الذي انت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالاخبار من لم تزودِ

ومسموع مما يقام بهِ الوزن دون ان يمجّهُ الطبع كقول ابن المعتز

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر   ودير عبدون هطال من المطرِ

ومتروك وهو ما كان كلاً على السمع والطبع كقول بعضهم

تقلقلت بالهمِّ الذي قلقل الحشا   قلاقلَ همٍّ كلهنَّ قلاقلُ

ويضربون المثل ببيت القصيدة في النادر والغريب وعند تفضيل بعض الشيء على كلهِ ايضًا فيقال فلان اول الجريدة وبيت القصيدة وهو من القصيدة البيت الذي تذكر بهِ حاجة المادح الى الممدوح او يكون بهِ نوع من انواع المعاني والفصاحة امتاز بهِ عن غيرهِ من الابيات واما اول ابيات القصيدة فيسمونهُ براعة المطلع وسماهُ ابن المعتز بحسن الابتدا وذلك متى كان صحيح السبك واضح المعنى غير متعلقٍ بما بعدهُ سالمًا من الحشو وتعقيد الكلام سهل اللفظ متناسب القسمين مناسبًا لمقتضى المقام ويسمون الابتدا بقول الشعر الغرزمة

يقال فلان يغرزم اذا كان مبتدئًا بقول الشعر واما الرجل المفحم لا يقول الشعر فيسمونهُ البعيم ولعلهُ تشبيهًا لهُ بالصنم لان البعيم من اسماء الصنم والمبالطة هي انشاد اول الشعر واخرهُ وجوائز الشعر ما جاز من بلدٍ الى بلد اما الجائزة فهي ان يتم الشاعر البيت الذي انشد غيرهُ مصراعًا منهُ او ان يزيد على كلام غيرهِ بعد فراغهِ منهُ والتخميس هو ان يضيف الشاعر الى البيت من شعر غيره ثلثة اشطر تلتحم بهِ فيجتمع من ذلك خمسة اشطر والتشطير نوع من السجع وهو ان يجعل الشاعر كل شطرٍ من البيت سجعتين بحيث تكون اللتان في العجز على روي البيت واللتان في الصدر على غيرهِ اما في اصطلاح المتاخرين فهو يطلق على التسميط وهو ان يزيد الشاعر شطرًا من شعرهِ على الشطر من شعر غيرهِ صدرًا للعجز وعجزًا للصدر والمحبوك من ابيات الشعر ما كان اوّلهُ ورويهُ حرفًا واحدًا كمحبوكات الحلي في مديح الملك المنصور والمجرَّد القصيدة التي لا تشبب فيها والتشبب يكون بالنساء والغزل بخلافهنَّ

وهذا الاخير يضادّ بالكلية ذوق الافرنج قال العلامة الفاضل رفاعة بك الطهطاوي في رحلتهِ تخليص الابريز في تلخيص باريز ومن محاسن لسانهم واشعارهم انها تأبى تغزل الجنس في جنسهِ فلا يحسن قول الرجل عشقت غلامًا فان هذا يكون من الكلام المنبوذ المشكل فاذا ترجم احدهم كتابًا من اللغة العربية يقلب الكلام الى وجهٍ اخر فيقول عشقت غلامةً او ذاتًا ليتخلص من ذلك فانهم يرون هذا من فساد الاخلاق وهو عندهم من اشدّ الفواحش حتى انهم قلما ذكروهُ صريحًا في كتبهم بل يكنون عنهُ بما امكن ولم يسمع التحدث بهِ اصلاً وهكذا كانت العرب في الجاهلية فانهُ كان من الامور المستحسنة في طباعهم عدم ميلهم الى التغزل في الاحداث اصلاً ولذلك جرت عادت شعرائهم الاقدمين ان لا يفتتحوا غزلياتهم الاَّ بوصف ربات الجمال انتهى

وفي الحقيقة لا يسمع في اشعار العرب الاَّ اسماء تعرف الآن بعرائس الاشعار كاسما وسلمى وهند ودعد وليلى وعبلة ومي الى غير ذلك وسواء كان يراد ببعض

هذه الاسماء مسميات حقيقة من النساء الشهيرات يغني بهنَّ الشعراء المشببون او كانت رموزًا يكني بها عن مقاصد اخرى القوم المتصوفون فما هي الاَّ بمنزلة اسماء الهة الجمال اللاتي كنَّ موضوع فكاهات الاشعار القديمة اليونانية التي ينسج على منوالها الآن شعراء الافرنج

وقد ذكرنا في الكلام على علم البيان ما يخالف ذوق الافرنج ايضًا من اغلب التشبيهات المالوفة في الشعر العربي كما اذا عُبّر عن شخص بديع الجمال بالشمس او عن حمرة خديهِ بالتلظي وكذلك ما يقال في الريق ومثلهُ تشبيه الشعر بالحيات والافاعي والاصداغ بالعقارب وامثال ذلك

وربما نظموا في سلك العبثيات اشيا كثيرة من صناعة البديع في الاشعار العربية مما لا يتوقف ادراكهُ على مجرد سلامة الذوق والفطنة بل لا بد للسامع من ان يكون ماهرًا في القراءة مستحضرًا في ذهنهِ دائمًا اشكال حروف الكتابة في الرسم والتركيب افرادًا واجمالاً باسمائها ومسمياتها غير الجناسات في المركبات كالابيات العاطلة والمعجمة والخيفا والرقطا وعاطل العاطل والمقطعة والموصلة والمصحفة والقلب ويقال لهُ ما لا يستحيل بالانعكاس الى غير ذلك مما ليس لهُ من المزايا الاَّ كونهُ يظهر للعارف بصناعتهِ براعة الناظم في الظفر على الصعوبات التي تعترض صرف ذهنهِ الى صياغتهِ ومع ذلك لابدَّ ان يبقي عليهِ ضعف المعاني علامات الانغلاب

وكما يقال عن الاشعار في غير لغات كذلك يقال في الشعر العربي اعذبهُ اكذبهُ قال ابو علي دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور من فضل الشعر انهُ لم يكذب احد قط الاَّ اجتواه الناس الاَّ الشاعر فانهُ كلما زاد كذبهُ زاد المدح لهُ ثم لا يقنع لهُ بذلك حتى يقال لهُ احسنت والله فلا يشهد لهُ شهادة زور الاَّ ومعها يمين بالله تعالى

وعلى هذا لا يكون المدح دليلاً على حسن الممدوح ولا الهجو كذلك دليلاً على رداءتهِ لان الشعراء لا يانفون من الافراط في المبالغة بحق من يمدحونهُ حتى

تخرج عن الحدود اللائقة فان وصفوهُ بالجود اوصلوهُ الى درجة السفاهة والاسراف او بالحلم ربما بلغوهُ الجبانة والبلاهة او في الحسن وصفوهُ بالشمس والقمر او في الشجاعه جعلوهُ رسول الموت الموكل بافناء النوع البشري فان لم ينالوا منهُ ما املوا رجعوا فيما قالوهُ ونظموا لهُ من الهجاء ما يعاكس ذلك ويزيد عليهِ قال الشاعر

هجوتُ زهيرًا ثم اني مدحتهُ وما زالتِ الاشرافُ تهجى وتمدحُ

وانف بعضهم من هذه الحالة فقال

لا تحسبن الشعر فضلاً بارعًا ما الشعر الاّ محنة ووبالُ
فالهجو قذف والرثاء نباحة والعتب ذلٌّ والمديح سؤالُ

وما احسن ما قيل

الشعرُ ريحان النفوس وانما ريحان روضتهِ الصحيح الجيدُ

الكلام على الانشا وفروعهِ

الانشاء علم يبحث فيهِ عن الكلام المنثور في التعبيرات والعبارات الحسنة اللائقة بالمقام بحيث تكون بليغة وموضوعهُ ذكر في التعريف ومباديهِ ماخوذة من الخطب والرسائل وانواعهُ هي الامر والنهي والاستفهام والتمني والترجي والعرض والتحضيض والنداء والقسم والتعجب وافعال المدح والذم وصيغ العقود كبعت واشتريت وهي الاشهر فيها

وكل انسان يعبر عن مقصودهِ اما بالكلام او بالكتابة فكلامهِ يسمى عبارةً ومنطقًا وتعبيرهُ عن مقصودهِ بالكتابة يسمى نَفَسًا ومسطرة وقلمًا وسياق الكلام يسمى نسقًا ونصًا والاصل متنًا وما يزاد عليهِ للايضاح شرحًا وما يقتصر عليهِ بعد الحذف تلخيصًا

وقد يكون قلم الانسان افصح من عبارتهِ لانهُ ربما يكون الكن وقلمهُ فصيحًا ثم ان افصح واغرب غرابة مقبولة كانت عبارتهُ عالية وان كانت عبارتهُ مؤدية للمقصود من غير ركاكة فهي مناسبة وان كان بها بعض شيء يمجهُ السماع فهي ركيكة اوردية وعلى كل حال فالعبارة اما ان يكون بها اطناب او اختصار او على الاصل

ثم ان الكاتب اما ان يفصح عن مرادهِ بنظم او نثر وعلى كلٍّ فاما ان يكون كلامهُ او تاليفهُ باللغة المستعملة في المحاورات المسماة بالدارجة او باللغة الموافقة فقواعد النثر هي الاصل في الكلام والتاليف ولا يحتاج الى وزن وتقفية الاّ في السجع وهو لسان العلوم والمعاملات والمراسلات والخطابات ونحو ذلك باللغة العربية وبها كثير من كتب العلوم منظومًا

ولا يوجد فن من الفنون الاّ ويحتاج الى صناعة الانشاء وعلى الخصوص فن التاريخ وهكذا ايضًا باقي التاليف العلمية غير فنون الاداب اذا كانت حسنة الانشاء كانت الطف واقبل ومنفعتها للطالب اعمّ واشمل قال بعض المولفين ان فن الانشاء يجري من العلوم العربية مجرى الثمرة من الدوح فهي كالجسم وهو بها كالروح فهو قطب مدارها ومعصم سوارها وتاج هامها وواسطة عقد نظامها وهو ينقسم الى قسمين كتابة الشروط والصكوك وانشاء المراسلات والمخاطبات بين السوقة والملوك وبهذين الفنين ينسق للعالم نظامهُ فهما احد جناحي الملك والاخر حسامهُ فالقلم والسيف في تدبير المالك فرسار هان هذا بمنزلة الساعد وذاك كاللسان

وكثيرًا ما تنازع الادباء في التفضيل بين السيف والقلم ثم بين قلم الانشاء وقلم الحساب وتمام رفع المنازعة في تاريخ الدول لابن الكردبوسي في قولهِ قوام الملك شيئان السيف والقلم والثاني مقدم على الاول واما ما قيل في الكتابتين وهو ان صناعة الانشاء ارفع وصناعة الحساب انفع فيقال نظيرهُ وهو ان السيف ارفع من القلم والقلم انفع من السيف

وهذا الفن بما هو عليهِ وان يكن ليس هو خاصًّا بلغةٍ من اللغات لكن تتسع دائرتهُ الى ان يبلغ الدرجة القصوى في اللغات المتمدنة وخاصةً اذا كانت ذات سلطةٍ وشوكة لاستعمالها في دواوين الملوك والحكام وكثرة التدقيق فيها على بليغ المعاني وفصيح الكلام كما كانت عليهِ اللغة العربية في الدولة العباسية وما هي عليهِ اللغة التركية الآن بعد حالتها المعهودة في سالف الزمان وعلى الخصوص اللغة الفرنساوية التي نزلها الناس في عصرنا هذا منزلة لغة عامة لجميع اهل الارض بالطول والعرض

وكان اول من نهج الكتابة في اللغة العربية وبسط باع البلاغة وشنف الرسائل وقرطها ولخص فصولها وخلصها واستحق لفظ الكاتب عليهِ لفضلهِ هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد الكاتب مولى ابي العلا بن وهب العامري الذي يضرب بهِ المثل في الكتابة والبلاغة فيقال ابلغ من عبد الحميد لمن يراد وصفهُ فيها وقد ترنم الشعراء بذكرهِ ومنهم البحتري في قصيدتهِ التي امتدح بها محمد بن عبد الملك الزيات حيث قال

قد تفننتَ في الكتابة حتى عطَّلَ الناسُ فنَّ عبد الحميد

ومن غرر كلامهُ القلم شجرة ثمرها الالفاظ والفكر بحر لؤلؤهُ الحكمة

يحكى انهُ لما زال امر مروان اخر الخلفاء الامويين اتى المنصور العباسي بخواصهِ وفيهم عبد الحميد الكاتب والبعلبكي الموذن وسلام الحادي وهمَّ ان يقتلهم جميعًا ثم بعد ذلك استبقى البعلبكي لاذانهِ وسلامًا لحدائهِ لكن لما قال لهُ عبد الحميد استبقِ يا امير المومنين فاني فرد في الكتابة والبلاغة اجابهُ ما اعرفني بكَ انت الذي فعل بنا الافاعيل وعمل بنا الدواهي ثم امر بهِ فقطعت يداهُ ورجلاهُ وضربت عنقهُ ومما يقال في الامثال ايضًا فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد وهو ابو الفضل محمد بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه الديلمي والعميد لقب والدهِ لقبوهُ بذلك على عادة اهل خراسان في اجرائهِ مجرى التعظيم وكان ابن العميد متوسعًا في علوم الفلسفة والنجوم واما

الترسل والادب فلم يقاربهُ فيهِ احد في زمانهِ وكان يسمى الجاحظ الثاني وكان لهُ في الرسائل اليد البيضاء مدحهُ ابو الطيب المتنبي بقصيدتهِ التي مطلعها بادٍ هواكَ صبرتَ ام لم تصبرا فقال بانهُ اعطاهُ ثلاثة الاف دينار توفي عبد الحميد سنة ١٣٢ للهجرة (سنة ٧٤٩م) وتوفي ابن العميد في سنة ٣٦٠ للهجرة (سنة ٩٧٠م) ولفن الانشا فروعٌ جريًا على ما ذكرهُ صاحب تذكرة الحكم منها

مبادي الانشا وادواتهُ

قال صاحب تذكرة الحكم انهُ علم يبحث بهِ عن الكتابة والعلوم العربية والشرعية والتواريخ وغيرها وموضوعهُ وغايتهُ ظاهران في التعريف وفي محيط المحيط الانشا عند اصحاب القلم صناعة يعلم بها كيفية استنباط المعاني وتاليفها مع التعبير عنها بكلام يطابق الحال وتدوينها ويقال لصاحبها منشئ

وللعرب في هذا الفن مولفات منها صبح الاعشى في صناعة الانشا للامام العلامة ابي العباس احمد القلقشندي كاتب الانشا في مصر المتوفى سنة ٨٢١ للهجرة (سنة ١٤١٨م)

والمحاضرات وهو علم تحصل بهِ الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام وفائدتهُ الاحتراز من الخطا في تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيهِ الاصلية والفرق بينهُ وبين علم المعاني هو انهُ في المعاني يطبق المتكلم كلامهُ على مقتضى الحال ويطبق كلام الغير على الخواص اللائقة بحالتهِ ذاتها واما في المحاضرات فهو ينقل كلام البلغا فيما يناسب محلهُ على طريق الحكاية

وقال بعض المولفين ان واضع هذا الفن رجل من اليونانيين يقال لهُ

هليودور الايميسي وكان قبل عصر ثاودوسيوس القيصر القسطنطيني ألف فيهِ نثرًا ثم برع في ذلك مولفو الرومانيين ايضًا وللافرنج في هذه الاعصر المتاخرة اليد الطولى فيهِ فلا يبارون بذلك وهو معدود عندهم من الاداب المعتبرة

واما ادخالهُ بين العرب فهو من جملة الفنون التي اخذوها من اللغات الاجنبية وكان ذلك في ايام الخليفة ابي جعفر المنصور لما ترجم كاتبهُ عبدالله بن المقفع الخطيب الفارسي كتاب كليلة ودمنة من اللغة الفارسية الى العربية فكانت ترجمتهُ هذه اساسًا لهذا الفن الذي من جملة الذين الفوا فيهِ اخيرًا من ادباء العرب ابن حيّان التوحيدي صاحب كتاب المحاضرات والمناظرات واسمهُ علي بن محمد بن عباس ولهُ مولفات كثيرة غير ذلك يقال ان اباهُ كان يبيع التوحيد ببغداد وهو نوع من التمر بالعراق وعليهِ حمل بعض الذين شرحوا ديوان المتنبي قولهُ

يترشفنَ من فمي رشفاتٍ هنَّ فيهِ احلى من التوحيدِ

توفي ابن حيان سنة ٤٠٠ للهجرة (سنة ١٠٠٩ م)

والتاريخ وهو علم تُعرَف بهِ احوال الطوائف الماضية وبلدانها ورسومها وعاداتها واشخاصها وصنائعها وانسابها وسائر احوالها وموضوعهُ الاشخاص الماضية من الانبياء والاولياء والعلماء والملوك والسلاطين والوزراء والحكماء وغير ذلك وغرضهُ الوقوف على الامور الماضية وفائدتهُ الاعتبار من الاحوال الماضية والانتصاح بها

قال شيشرون الفيلسوف الروماني التاريخ هو شاهد الازمنة نور الحقيقة مدرسة الحيوة رسول السلف الى الخلف وزاد اخر في هذا التعريف قولهُ استاذ الملوك والرعايا ومعلمهم

غير ان هذه الصفات التي وصف بها هذا الفيلسوف وغيرهُ هذا العلم لا تكون

حاصلة بالتمام الاّ متى كان مَنْ يتعاطى هذه الصناعة مستوفيًا لما اوجبهُ اكابر اهل العلم وفضلائهم عليهِ من الامور التي يلزم العمل بمقتضاها وهي ان يكون فيلسوفًا حكيمًا يعلم الناس خاليًا من الاوهام والوسواس فلا يكون في رايهِ مغرضًا ولا متحاملاً ولا يفهم من كتابهِ بلدهُ ولا دينهُ ولا طائفتهُ ولا يسبق قلمهُ بما دل على مذهبهِ وغرضهِ بل يظهر من كلامهِ كأنَّهُ لا مذهب لهُ الاّ الحق قال بعض المولفين ان توفر هذه الشروط في مورخٍ واحد ولو انهُ من المتاخرين ليس الاّ انموذجًا ومثالاً وجودهُ في الاذهان اسهل من وجودهِ في خارج الاعيان

وحيث ان هذا العلم لم ينتظم في سلك العلوم المعتبرة الاّ بعد ان اتسعت دائرة الافكار واخذت الحوادث في الكثرة والانتشار واحتاجت الى التقييد والاعتبار فقد قسم اربابهُ الزمان بالنسبة اليهِ الى ثلاثة اقسام سوف ياتي الكلام على كلٍّ منها بمفردهِ

وهذا التقسيم هو عداء عن الزمن السابق على ظهورهِ اعني بهِ الزمن الذي لم تُعرَف الى الآن حوادثهُ مع كثرة بحث المتاخرين عنها ولم يظهر منها الاّ شيء يسير لانهُ لما كانت القرون الاولى الصاعدة نحو القدمية حبلى بالعلوم والمعارف ولم تلد بعد فن الكتابة على يد قابلة فينيقية بتلك الاحرف القليلة التي متى عرفها الانسان بعلاماتها تمكن من معرفة جميع العلوم بها كما سبقت الاشارة الى ذلك في الكلام على فن الكتابة كانت بنات افكار اهل تلك الاعصر تهيئ ادواتٍ صعبة لاشتغال الامم المتاخرة وخاصةً في هذه الايام بفك شيء من تلك الطلسمات التي كانوا يسدون بها خلل افتقارهم الى فن التاريخ المعدوم الآلات الضرورية بينهم بحسب نيرة كل امةٍ وحذقها وما يؤديها اليهِ اجتهادها من الرموز والاشارات فكان البعض من قبائلهم عند ما يعقدون عهدًا مع اخرين على امرٍ من الامور او تجري بينهم حادثة تستحق الذكر لابد لهم اما من اقامة بناء او عمل انصبةٍ من الحجارة ذات وضع غريب اما في شكلهِ او بالنسبة الى طبيعة مكانهِ لكي كلما نظروا شيئًا من مثل ذلك يتذكروا اسبابهُ او سئلوا ممن

مجهولةٌ يفيد ونهم عن بواعثهِ ودواعيهِ كما نقرا عن امورٍ كثيرة من هذا القبيل معلومة الاسباب في الكتاب المقدس او مجهولتها بالكلية كما في رحلات السيَّاح ولم يزل حتى الآن توجد هذه الطريقة التاريخية عند العالم المتمدن اذ انهُ يقيم في بعض الاحيان ابنيةً واقواسًا تذكارًا لنصراتهِ وتماثيل للبعض من عظمائهِ تخليدًا لذكرهم

ومنهم من كان يستعمل قلمًا ذا صورونقوش مختلفة في الرسم والاوضاع كقدماء المصريين الذين لم تزل بقايا اثارهم هذه على البرابي والمسلات وتوابيت الموتى ونظيرهم الصينيون ايضًا وهم لا زالوا يستعملونهُ الى ايامنا هذه ومنهم من كان ينظم الحوادث والوقائع شعرًا تسهيلاً للحفظ كاليونانيين

غير انهُ كما اضاعت تقلبات الازمنة تلك الرموز والاشارات القديمة ولم تتمكن والحالة هذه اهل القرون الاخيرة من معرفة حقيقة الاسباب التي وضعت لاجلها وكل ما تكلموهُ عن بعضها انما هو بالحدس والتخمين كذلك ما اخذ من كلام الشعراء هو غير وافٍ بالمقصود كبعض حكايات في العوائد والاخلاق والحروب وحماسة الشجعان انما الوقائع المهمة التي حصل بها تغيير عظيم على الارض بقيت مجهولة وما تحدث بهِ الشعراء منها فهو كما قال بعضهم محض حكايات غير صحيحة الروايات

لكن بالنظر الى نظم الحوادث على الوجه المذكور يكون اوميروس اوَّل شعراء اليونانيين الذي كان يعيش في القرن التاسع قبل الميلاد وقد مرَّ ذكرهُ في الكلام على الشعر هو اول مورخٍ للزمان لان من اشعارهِ عرفوا بعض شيءٍ بالنسبة الى الروم ايلي والاناطولي وهذا هو اصل علم التاريخ على راي البعض

وقولي على راي البعض نظرًا لما يمكن ايرادهُ على ذلك من الاعتراضات التي هي محل للنظر الآن يكون ذلك اصلاً لعلم التاريخ بالنسبة الى اليونانيين والرومانيين والاَّ فان اسفار موسى النبي المكتوبة بخط القلم في اثناء القرن الخامس عشر قبل الميلاد وسوف ياتي الكلام على ما فيها من الفوائد التاريخية

فضلاً عن غيرها في البحث الرابع من هذه المقالة هي اولى بوصف كونها اصلاً لعلم التاريخ بالنسبة الى العالم اجمع من اشعار هذا الشاعر الجاهلي الذي ظهر بعد ذلك النبي بستة قرون ولم تجمع اشعارهُ هذه وتصحح من اغلاط اقلام الناسخين الذين تداولوها بعد ان اخذوها بالنقل الشفاهي مشحونةً بالزخارف الشعرية وتحسينات الرواة الاَّ بواسطة الاسكندر المكدوني في اواخر القرن الرابع قبل الميلاد ايضًا

ثم ان القسم الاول من الاقسام الثلثة التي ذكرت فيما مر هو الزمن الذي يعتبرهُ الافرنج زمن طفولية هذا الفن حيث ان المورخين فيهِ كانوا لايتعلقون الاَّ بالاغراض السهلة كذكر الحادثة والزمان والمكان والاشخاص حذرًا من الضياع فقط ويهملون ذكر الامور المهمة كارتباط الوقائع بعضها مع بعض والنسبة بين الامم والدول وكيفية الاختلاط الواقع بينهم ولذلك قالوا ان مهد التأنس والاجتماع الانساني هو مهد التاريخ ايضًا يعني ان زمن وجود الانسان بالقرب لاصل الفطرة هو كذلك زمن وجود التاريخ في مهد الطفولية لكنهُ مع عدم كما لهِ كان سببًا قويًا في التمدن ومنشئًا للاعتبارات

وكان بهذه المثابة من مورخي اليونانيين فرقيد وهيلانيكوس المولود سنة ٤١١ قبل الميلاد ومن مورخي الرومانيين والربوس قاطون الذي كان موجودًا سنة ٧٠٠ قبل الميلاد وفابيوس فيكطور الذي هو اول من كتب تاريخ وطنهِ من الرومانيين وكان موجودًا سنة ٢١٦ قبل الميلاد

واما القسم الثاني فهو زمن صبوة هذا الفن عند ما كثرت المخالطات والمعاشرات وشرع المورخون في كتابة تواريخ الحروب واستحقوا ان يكونوا هم الاولى باسم مورخين حقيقةً ولكن بالنسبة لمن تقدمهم فقط لكونهم غير خالين من العيوب بالنسبة الى حقيقة هذا الفن حيث انهم كانوا ينظرون فيهِ الى مقتضيات الاحوال والى حالة الاخلاق والعوائد وطبائع اهل الزمان الذي هم فيهِ قال بعض المولفين ما الفائدة من المورخ اذا كان حائدًا عن الانصاف

مهمل الحقيقة مائلاً الى الغرض النفساني ويرى جميع ما ظهر في وطنهِ حقاً سواء كان كذلك ام لا حتى كأنَّ كتاب التاريخ ديوان مدح لبلاد مولفهِ ويقال بان هذه العيوب كانت عند الرومانيين اشد مما كانت عليهِ عند اليونانيين لانهُ كان لهم ميل زيادة على ذلك الى اظهار كون اصلهم سماويًّا فذكروا في تواريخهم ابشع الخرافات كالحكاية المذكورة في كتاب تيتلوه عن اللبوة التي ارضعت رومولوس الذي بنى هو واخوهُ روموس مدينة رومية سنة ٧٥٣ قبل الميلاد وكحكاية نهر رومية المسمى نهر التبرة بانهُ رفعتهُ كاهنة في ذلك الزمن حتى بلغ السفينة التي كانت تجرها بمنطقتها وكانوا متى تكلموا على حروبهم ونهبهم واختلاساتهم ذكروها انها كسب حلال بطريق الاستحقاق واستظهروا من قوتهم وتدابيرهم على علاماتٍ فهموا منها انهم يتملكون على جميع بلاد الدنيا ويحكمون اهل الارض وكل اقليم تغلبوا عليهِ اعتقدوهُ ملكاً كسائر الاملاك والعقارات وان اليونان والرومان رجالاً ومن عداهم من الامم فانهم طوائف اعجام لا يعدون رومانيين

وهناك عيوب اخرى الَّا انهُ لم يزل يشترك معهم بها بعض المتاخرين ايضاً وهي اغراض غير غيرة الوطن كحب الطائفة مثلاً او الملة او الجنس فاذا كان المورخ من طائفة الاشراف فانهُ يميل في كتابهِ الى طريقة تحكيم الكبار وتوليتهم لامور الدولة ومن كان عكس ذلك كان ميلهُ بالعكس ايضاً الى انهُ ينسب الكبار الى الظلم وعدم العدل والتولع بالزينة وكونهم ارباب بخل وشح ويظهر ميلهُ لى الجمهورية وامثال ذلك مما يضاد واجبات المورخ

واول المورخين في هذا القسم من اليونانيين كان هردوطا وهير ودتوس الهاليكرناسي الذي ولد بعد غزوة اكزرسيس بن دارا ملك العجم لبلاد اليونانيين وذلك سنة ٤٨٥ قبل الميلاد ولذلك لقب بابي التاريخ اذ بهِ كان افتتاح هذا العمر للتاريخ فهو اول من شرع في ان يحاول معرفة اصل الامم التي يريد ذكرها في كتابهِ ويبحث عنها في كتب المتقدمين مع غاية التجلد والصبر

والتعقل والتفكر لكنهُ كان يعتني بالامور العجيبة والاوهام الخرافية ويتملق اليونانيين بالمدح ليستميلهم اليهِ

ثم ظهر بعد هذا المورخ كثيرون من مورخي اليونان المعدودين في هذا القسم لكن اشهرهم كان توقيديد اوتوسيديد الذي كان من جملة المحاربين في غزوة مورة وجمع فيها تذكرات صحيحة الف منها كتابهُ المتعلق بهذه الغزوة واغزنيفون بن غريلوس الذي ولد في اثينا سنة ٤٥٠ قبل الميلاد وتخرج في الفلسفة والسياسة على سوقراط والف كتاباً سماهُ قوروبوديا يشتمل على حكم ادبية واحكام سياسية

قال بعض المولفين ان هولاء المورخين الثلاثة يعني الذين مرَّ ذكرهم هم اكابر المورخين في ذلك الزمن ارباب التاليف الفصيحة العبارة المشحونة بالحكمة والفلسفة فان هردوط كان يميل في تاريخهِ الى العبارات الشعرية وطوقيديد يسلك فيها طريق الجد والفلسفة واما اغزينفون فانهُ كان ياتي كذلك على طريق الجد والفلسفة لكن بمزيةٍ تجتذب القلوب وتستميل الالباب وحاصل الامر انهُ بهولاء المورخين الثلاثة ظهر فضل بلاد اليونانيين وانها اول بقعةٍ خرج منها كبار المورخين

ثم ان اشهر مورخي هذه الامة بعد من ذكرناهم هم بوليب ودانوس الهاليكرناسي وثيودور الصقلي وبلوتاركه

وبعد ان كان التاريخ آخذاً في الانتشار عند اليونانيين وكل مورخ يهتم فيهِ زيادةً عمن تقدمهُ ذهب رونقهُ من بينهم دفعةً واحدةً واخذ في الانتعاش عند الرومانيين الذين كان سبب تاخرهم فيهِ في ماسلف هو لان حروف الهجا اليونانية لم يتم استعمالها لهم الاَّ بالبطيء وكان انموذج تواريخ اليونان مجهولاً في الابتداء عند قبيوس فيكطور وبيزون وقاطون الذين مرَّ ذكرهم فلذلك كتبوا تواريخهم مجرد دفاتر مفيدة للوقائع لاكتب تاريخ حقيقة وبقي التاريخ عندهم يابس العبارة الى زمن المورخ سالستة الذي لم يكن لهُ فضل في التاريخ الاَّ

الايضاح والاختصار خاليًا عما ينتظرهُ السامع من المناسبات

لكن لما اخذت هذه الامة بان ترتقي في درجات الحضارة والزينة والرفاهية بعد ان افتتحت بلاد اليونانيين وادخلت علومهم الى مدينة رومية حينئذٍ ظهر بها انموذج التواريخ اليونانية المذكورة وبحث مورخوها ان ينسجوا على منوالها فاكتسبت مولفاتهم التاريخية اسلوب تلك المولفات وان يكن بقي عندهم شيء يسير من الاختلاف الناشيء من اختلاف العوائد والاخلاق الاّ انها اشتملت على الفصاحة والبلاغة وكثرت عندهم اكابر المورخين

وكان اوّل من نسج على هذا المنوال سالسته الذي مرّ ذكرهُ وبعدهُ بيسير ظهر المؤلف تيتلوه وهو رجل نشأ في مدينة بندو وقيل ابونه والف تآليف مفيدة اشهرها التاريخ الروماني من تاسيس مدينة رومية الى موت القيصر دروزوس في بلاد النمسا وكان موت هذا المورخ في سنة ١٧ م وقد ذكرنا في ما مر ما ينتقد عليهِ من العيوب في تاريخهِ المذكور

وبعدهُ ظهر تاسيت في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي وكان يعتبر التاريخ من جهة الادب وحسن السلوك والسيرة لكونهِ كتب تاريخهُ في عصرٍ فشت فيهِ الفواحش فشنع في كتابهِ على عموم الفساد وزاد عند الرومانيين حماسًا اخر ونقدمًا ثانيًا بذكر حسن السير والاخلاق لانهُ لما جس قلوب البشر كشف القناع عن مداراة الملك تيبر الشنيعة وحيلتهِ وازال الغطا عن جبر الملك نيرون وقساوتهِ وبلادة اقلودس وغباوتهِ وسلك في عبارتهِ التوسط في الخطابة والانشاء ولم يشم من كلامهِ رائحة المداهنة والتملق ومع ذلك قد ذكروا لهُ عيبًا وهو انهُ اذا اطلع الانسان على تاريخهِ دون غيرهِ من كتب المورخين ربما صعب عليهِ فهم عباراتهِ لانهُ فرض ان مسائل التاريخ ووقائعهُ معلومة تفصيلاً قبل تاليفهِ فحققها من غير ان يفصّلها

ثم بعد هذا المورخ اخذت رومية في الضعف كما ضعف اليونانيون قبلها وذلك باغارة البربر على اقاليمها من ابتداء سنة ٢٤١ م الى حين تمموا فتحها سنة

٢٩٥م فانحطت درجة التاريخ فيها كسائر العلوم والاداب قال بعض المولفين ان هذه الايمبراطورية التي كانت تفتخر في عصر الانطونينيين (وهم قياصرة رومية) بوجود المورخين الذين هم مثل تاسيت وبلوتارك مضى عليها بعد ذلك نحو ثلاثة قرون قلّ ان وجد فيها مورخ لاتيني او حدث فيها شيء من الامور المهمة الاّ ان بعض المختصرين للتواريخ المتفاوتين في البراعة والتملق للقياصرة او التشنيع عليهم حكوا عيوب الديوان ومصائب الايمبراطورية وبعض سطوات حربية الى ان ظهر المولف اميان مرسلين في القرن الرابع للتاريخ المسيحي الذي فيه انقسمت هذه المملكة العظيمة الى قيصريتين غربية وشرقية وهو يستحق ان يكون في درجة تيتلوه وسلوست وكان اخر المورخين الوثنيين وبعده ظهر المورخون الذين يجمعون الحوادث السنوية سنةً بعد اخرى

اما القيصرية الشرقية فكان كرسي سلطنتها خاليًا من المواد المرغوبة التي يستمد منها التاريخ كالحوادث التي ينبغي ان يتخلد ذكرها والمآثر العظيمة التي يجب نشرها ويضاف الى ذلك عدم وجود المورخين المستكملين لما يلزم لهذا الفن مع وجود الاستعباد واستقامة الراي عند الحكم ووجود الاوهام المختلفة وسلامة الذوق مع فساد الاداب قال بعض المولفين من العجيب ان يُرى في مثل هذا التاريخ الواسع عدةٌ من المولفين العظام والمولفات المعتبرة

والى الآن يحفظ عند الافرنج بعض اثار مرغوبة من الارساليتين اللتين كان ارسلهما ديوان القسطنطينية في عهد القيصر ثاودوسيوس الثاني وفي ايام يوسنتيانوس فان احداهما بينت لهم كيفية معيشة اتيلا المنزلية وهو احد الملوك الونداليين الخشنين بالمغرب الذي صدر منهُ الخراب العام والابادة المستأصلة حتى انهُ لقب نفسهُ بلاء الله وذلك من سنة ٤٣٣ الى سنة ٤٥٣م ويكاد انها هي التي بقيت عندهم من تاريخ القسطنطينية الذي الفهُ بروسقوس البينومي ولو وصلت اليهم قصة نونيوس بتمامها لعرفوا بواسطة الارسالية الثانية اخبارًا صحيحة تتعلق ببلاد الحبشة واليمن بالنظر الى حالتهما القديمة وكان نونيوس هذا مرسلاً

من طرف القيصر يوستنيانوس الى الحبشة والعرب الحميرية وغيرهم ليدعوهم الى مساعدته في محاربته مع قباذ ملك الفرس وابنه كسرى انوشروان سنة ٥٢١م

وكذلك سجل الحوادث السنوية الذي ابتدي بجمعه في هذه الدولة من ابتداء القرن الخامس الى نهاية القرن السابع بل ونصف الثامن الذي به ظهرت الدولة العباسية في العرب الذين كانوا شارعين وقتئذٍ في تمزيق هذه المملكة التي استولى عليها اخيرًا بتمامها العثمانيون تحت راية السلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٣م كان له مزية على سجل الوقائع بسلطنة المغرب نظرًا لانسجام عباراته وسلاسة اقلام كتبته مع ما انضمَّ اليه من غير كتب تاريخية مفيدة لمجرد الازمنة خالية عن الفضل الّا انها جُمِعَتْ اخيرًا من خرابات هذه المملكة وآل امرها الى ارشاد متاخري المورخين لمعرفة بعض شيءٍ من مجهول تلك الازمان

وذلك لان البربر الذين هاجموا المملكة الغربية على ما ذكرنا ومزقوها وتوزعوا اقاليمها كانوا ارجعوا فن التاريخ فيها كغيره من سائر الاداب الى ما كان عليه من الخشونة الاصلية في عصر طفوليته حيث لم يكترث هولاء الفاتحون به الّا لما اختلطوا اخيرًا باهالي البلاد الاصليين وتركوا اوهامهم الفاسدة وصاروا يبحثون عن ابائهم واجدادهم وما حصل لهم وكيف كانت احوالهم وعوائدهم وحالة معيشتهم كما فعل نظيرهم بعد مدةٍ وجيزة رواة العرب الذين سوف ياتي الكلام عليهم في محلهِ هنا بعد ان استولوا على قسمٍ كبيرٍ من المملكة الشرقية فكان ذلك اصلًا للتاريخ الجديد الذي اتسع اخيرًا باتساع العلوم

وكان اول من كتب تاريخ هولاء الامم جماعة من اقدم المولفين واكثرهم صيتًا وشهرة وهم بولس ورنفريد وجرناديس او يورننديس وغريغوريوس دوطورس ورجل يقال له فروسرد ايضًا كتب تاريخ الفرنساوية والانكليز وغيرهم والى الآن تستحسن صورة تاليفه الخالصة المشحونة بالفوائد وفي ذكرهُ اداب قدماء الافرنج (والافرنج اسم يشمل جميع القبائل المتبربرة التي فتحت المملكة الرومانية وتسلطت عليها على ما سبقت الاشارة اليه) نبَّه على اشيا غريبة

تدل على ان اوّل تاريخ الافرنج وابتداءهُ قبل ابتداء تاريخ القدماء ولذلك استحسن الافرنج البحث عن الاشياء ومعرفتها وكان هذا جزءًا من علم التاريخ فكثرت فروعهُ وتشعبت وظهرت صعوبتهُ

ومن ثم تعرض المورخ ميلون ومنتفيكون ونيان وغيرهم من مورخي الافرنج الاوائل للكشف عن علم الازمان واضطروا الى المناقضة والمنازعة في الازمنة ليحققوا ما ظهر فيها من الاوهام التي بها يجهل الانسان هذا الفن ومن جراء ذلك حصل لمتاخري المورخين منهم عاقة عن حكاية نفس السير والاوصاف بالمنازعة في الازمنة والامكنة

وكانت اوروبا وقتئذٍ لا زالت عرضة للمصائب والفتن التي كانت تتزايد الى القرن الحادي عشر حتى انهُ لم يبقَ للتاريخ ولا لغيرهِ من انواع المعارف والاداب اثر وبقيت روايات الوقائع الماضية منسية ضائعة لا وجود لها الّا في تلك التواريخ المملوة من الوقائع والحوادث الباطلة لان الاحوال كانت قد تغيرت بعد موت كرلوس الاكبر بل منذ افتتح الاسلام بر مصر في القرن السابع للتاريخ المسيحي حيث انقطعت المخالطات بين اهالي مصر وشعوب اوروبا وبطل استعمال ورق النيل الذي كانوا يستعملونهُ في ذلك الوقت للكتابة وكان يحضر اليهم من بر مصر فاضطروا الى استعمال الجلود وكان ذلك من جملة الاسباب التي اطفأت مصباح نور المعارف واضاعت عدة مولفات قديمة حتى ان الديورة التي كانت في ما سلف ملجأً للعلوم ومخازن للكتب لم يبقَ سوى في بعضها نسخة واحدة من القنداق لخدمة القدّاس

ولا زال الحال على هذا المنوال الى ان ظهرت صناعة الورق المعتاد في القرن الحادي عشر من القطن وبعدهُ عمل من الخرق في سنة ١٣٤٦ م ثم اخترعت ايضًا صناعة الطباعة سنة ١٤٣٦ م كما سبقت الاشارة الى ذلك جميعهِ في الفصل الثامن من المقالة الاولى من هذا الكتاب فخرجت اوروبا حينئذٍ من ظلمات الجهالة واخذت تنتشر فيها سواطع الانوار ومن ثم ظهر في القرن

الخامس عشر المذكور ببلادايطاليا فيلبس دوترلي وميشاويل وغيشاردبن وباكس نروي وبولس بوده واشتهروا بجودة الفكر وحسن التعبير في ما الفوهُ من تواريخ بلادهم وكذلك اشتهر في فرانسا روبرت جاجين ومونسترليت واوليويير دولامرش وفيلبس دوكومينه الذي الف رسائل تتعلق بالملك لويس الحادي عشر كاد يُعدبها من نظراء تاسيت الذي مر ذكرهُ وفي القرن السادس عشر ظهر في فرانسا ايضاً تاريخ الشوالبي بيار ورسائل المارشال دوفلورنجه ورسائل الاخوين مرتين وغليوم دوبلاي التي هي بالنسبة لتاريخ فرنسيس الاول كرسائل سولى بالنسبة الى تاريخ هنري الرابع الذي تولى مملكة فرانسا سنة ١٥٨٦م

وكان يظهر من اوّل وهلةٍ انهُ ينبغي للمورخ بان لايغير مذهبهُ بل يبقى على طريقةٍ واحدة في رايهِ لكن لما كانت الاحوال تختلف كما هو مشاهد مثلاً عند القدماء فان التاريخ كان مقتصرًا على ذكر امةٍ واحدة وان تكلم على غيرها فيكون بالعرض وكذا كان في زمن الرومانيين حيث كانت الدنيا مملكة واحدة ولم توجد وقتئذٍ سياسة خارجية الاّ قليلاً واما في زمن المتأخرين لم يكن الامر كذلك بل كانت دول المهاجمين الذين افتتحوا اوروبا على ما سبقت الاشارة اليهِ تختلف في الاحكام اما الولايات فمتحدة في الاعتبار وملاحظة التساوي والتعادل فكان ذلك مما يوجب المورخ ان يختبر السياسات ويذكر اوصاف الاخلاق والعوائد نعم ان بوليب المورخ الروماني الذي مر ذكرهُ كان احدث التاريخ السياسي انما كان مقصدهُ ذكر اختلاف عوائد كل من الرومانيين والقرطاجنيين واما في هذه الاعصر فان اكثر من عشرين امةً يجثون عن مثل ذلك لانهُ اذا وجد ضرر لامةٍ من هذه الامم تاثر بهِ جميع من عداها فاذا شرع مورخ ما في تاديةجميع ذلك ليشفي غليل كل امةٍ احوجهُ الامر الى بسط الكلام في التاريخ والى اتساعهِ اتساعًا عظيمًا خصوصًا من اراد الاستيعاب فانهُ يكون مشروعًا لا ينفذ كما فعل المورخ دوثوفي الكلام على الازمنة الجديدة ولم يبقَ من

الازمنة القديمة الاَّ شيء يسير بالنسبة لما ذكرهُ فلو كان الف كتاباً عظيماً عن الازمنة القديمة لكونهِ اهلاً لذلك لكان احسن ومن هنا يظهر ان التاريخ الجديد يحتاج الى توقيع مخصوص لكل شيء بخصوصهِ حتى يتم شانهُ ويكون خيراً ما جمعهُ على وجهٍ ناقص

وممن يستثنى ممن ارخ في القديم والجديد وتخلص من تلك الورطة هو المعلم بوسوة المورخ الفرنساوي وكان رجلاً عريق الحسب والنسب ولد بمدينة ديجون سنة ١٦٢٧ م وذهب الى باريس سنة ١٦٤٢ م وفاق اقرانهُ بكثرة معارفهِ وشاع صيتهُ نظراً لمولفاتهِ العظيمة ومات سنة ١٦٧٤ م فانهُ اجاد حيث امكنهُ ان يجمع بين الزمن القديم والزمن الجديد مع عدم الاخلال بالمقصود وفي عصرهِ ظهر في بلاد المانيا المعلم لبينتس المشهور

اما القسم الثالث من عمر التاريخ الذي وصل فيهِ الى سن الرجولية التامة عندهم فهو القرن الثامن عشر اذ انهُ يمتاز بسلوك المورخين فيهِ مسلك الاختصار خوفاً من الملل والسامة ويُنظر فيهِ الى الاخلاق والعوائد والاراء والمذاهب وغرائب النوع البشري واوائل اجتماعات الامم وما كانت عليهِ احكامهم واصولهم ولغاتهم وصنائعهم الاولية ومعائشهم واختلاف عقولهم وما هي المضار والمنافع المترتبة على اختلاف السياسات وما اصل قوة الامم وغناهم وما عقل مشاهير الناس وخصالهم الذميمة والحميدة التي اثرت في اهل بلادهم وما سبب تقدم التمدن والصنائع والعلوم ويسمى التاريخ الفلسفي والادبي ومن اغراضهِ اختلاط الامم بعضها ببعض بالنسبة للروابط السياسية والتجارات والاحكام ومحبة الجنس لجنسهِ

وهذا القرن هو الذي ظهر فيهِ في انكلترا ثلثة من المورخين افتخر بهم وطنهم وهم غليوم وهوم وروبرتسون ولما كان للتاريخ غرضان الاوَّل ان يعجب المورخ اهل زمانهِ والثاني ان يعلمهم التاريخ وكانت الفلاسفة تميل للغرض الثاني كان ممن امتاز بذلك هذا الاخير اعني بهِ المعلم وبرتسون المشار اليهِ وهو صاحب

كتاب اتحاف الملوك الالباء في تقدم الجمعيات في اوروبا جعلهُ مقدمة لتاريخهِ المسمى اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شرلكان ذكر فيهِ مع الايضاح جميع الوقائع والحوادث التي كانت سببًا في التغييرات المتوالية التي اعترت حالة اوروبا السياسية منذ انقراض الدولة الرومانية الى ابتداء القرن السادس عشر وقد تُرجمت مولفاتهُ هذه الى العربية وطبعت في مصر

وظهر كذلك في فرانسا ثلاثة ايضًا وهم مونتسكيو وولتير وجانجاك روسو وهذان الاخيران هما اللذان انشأا الثورة الشهيرة فيها سنة ١٧٩٢ م واحدهما وولتير هو اوّل من سلك مسلك الاختصار الذي اشرنا اليهِ هنا في كتابهِ المسمى بميل الطوائف واخلاقهم لكن مع كونهِ شهيرًا بالفلسفة قلّ من يثق بمؤلفاتهِ العديدة التي صنفها بل طُرد ايضًا عن وطنهِ وعن كل موضع اراد النزول بهِ لكفرهِ وقدحهِ في الاديان وفي كثير من الملوك ولد سنة ١٦٩٤ ومات سنة ١٧٨٧ م واما مونتسكيو المولف العظيم المذكور اولاً فانهُ ولد سنة ١٦٨٩ م وعلق اما لهُ بالتاليف منذ كان عمرهُ عشرين سنة في كتابهِ المسمى عظم دولة الرومانيين وانقراضها وفاق في السياسة والفلسفة الى ان الف كتابًا سماهُ روح الشرائع يشتمل على احكام جميع الامم واصول ادابهم وقوانينهم واسبابها ومسبباتها وهو اشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية مبني على التحسين والتقبيح العقليين ويلقب عند اهالي اوروبا بابن خلدون الافرنجي كما ان ابن خلدون المورخ العربي المذكور يقال لهُ عندهم مونتسكيو المشرق ولهُ كتاب اخر سماهُ بالمراسلات الفارسية اشبه بميزان شنع فيهِ على عوائد الشرقيين والغربيين واظهر بهِ مذام كلٍ منهما ومحامدهُ ومن زمن هذين المولفين اعني بهما مونتسكيو وولتير تغير سلوك التعليم التاريخي تغيرًا عظيمًا لانهما اول من نسج على منوال التاريخ الفلسفي بتركهما التدقيق الذي يعطل تقدم التاريخ

فصل

في دخول هذا الفن بين العرب

واما العرب فان غاراتهم على المملكة الشرقية هي التي كانت السبب في دخول معرفة التاريخ عندهم حتى قيل انهم لما كانوا لا يعرفونهُ يعني قبل ذلك الوقت ما كان يوجد لهُ اسم في لغتهم بل وضع لهُ هذا الاسم بعد ان تولى الخلافة الامام عمر بن الخطاب سنة ١١ للهجرة (سنة ٦٣٢م) وكان الداعي اليهِ على ما ذكرهُ مورخوهم المال الذي احضرهُ ابو هريرة من البحرين واستكثرهُ الخليفة المشار اليهِ وتعب في قسمتهِ واحتاج ان يتخذ بيت المال باشارة الهرمزان الفارسي لاجلهِ وكان قد سالهُ عن الطريقة التي يستوضحون بها زمن كتاباتهم وما يضبطون بهِ اوقاتهم فقال لهُ الهرمزان المذكوران لنا حساباً نسميهُ ماه روز ومعناهُ حساب الشهور والايام فعربوا كلمتهُ هذه وقالوا مؤرخ (ولئن زعم بعضهم ان التاريخ هو قلب التاخير) ثم جعلوهُ اسماً للتاريخ واستعملوهُ وطلبوا وقتا يجعلونهُ اولاً لتاريخ دولتهم فوقع اتفاقهم على السنة التي هجر بها صاحب الشريعة الاسلامية مدينة مكة وسكن المدينة وكان ذلك على ما حققهُ العلامة الفاضل رفاعة بك الطهطاوي يوم الجمعه في ١٦ تموز سنة ٦٢٢م

قال بعض المولفين ان العرب في زمن جاهليتهم كانوا يوقتون اوقاتهم بطلوع النجوم لعدم معرفتهم الحساب واوقات سنتهم يحفظونها بالانواء حتى انهم كانوا يسمون الوقت الذي يحل بهِ الاداء نجماً تجوزاً لان الاداء لا يعرف عندهم الا بالنجم انتهى كلامهُ وكانوا يذكرون ما لهم من الوقائع ربما بدون ان يعرفوا بالتدقيق مقدار ما مر عليها من السنين كما هو الواقع في الاميين من ابناء

عصرنا هذا الذين يذكرون وقائع شهيرة جرت في الاعصر الخالية ولا يعرفون زمن وقوعها فيقولون مثلاً الحروب الصليبية او فتوح القسطنطينية بدون ان يميزوا ايّة واقعةٍ منها كانت قبل الاخرى ولا كم من السنين مرّ بعد وقوعها وكذلك اغلب العرب كانوا يترغون بذكر بعض حروب اسلافهم ووقائعهم من غير ان يعرفوا بالتدقيق ازمنة وقوعها او ايتها كانت قبل غيرها وانما كانوا يميزونها باضافتها اما الى اسماء بعض الامكنة كيوم الكديد بين بني سليم وبني كنانة ويوم البيداء بين بني حمِيَر وبني كلب واما الى اشياء اخر كقولك عام الفيل وبنيان الكعبة

والظاهر ان كل ما عرف لهم من هذا القبيل لا يتجاوز بداية التاريخ المسيحي ايضًا لانهُ على ما ذكروا ان كنانة وهي احدى قبائل العرب ارخت من موت كعب بن لوي حتى كان عام الفيل وهو العام الذي ملك فيهِ النجاشي اليمن وذلك سنة ٥٢٩م وجعل الملك عليهِ ارباط ابا ابرهة الاشرم صاحب الفيل فاضافوا الواقعة الى فيلهِ وقالوا عام الفيل كما ذكرنا وارخوا بهِ وكان بين موت كعب المذكور والفيل (٥٢٠) سنة وكان بين الفيل والفجار (٤٠) سنة ثم عدّوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكان (٦) سنين ثم عدّوا من وفاة هشام الى بنيان الكعبة فكان (٩) سنين ثم كان بين بنائها وبين الهجرة (١٥) سنة فتكون جملة هذه السنين (٥٩٠) سنة وحيث كانت الهجرة سنة ٦٢٢ للتاريخ المسيحي فيكون مبدأ هذه السنين بعد التاريخ المسيحي المذكور بنحو (٣٢) سنة هذا ما كان من امر التاريخ الزمني

واما فن التاريخ الذي نحن بصددهِ فان العرب لم تلتفت اليهِ الا في القرن الثاني بعد الهجرة لاشتغالهم بالغزو والفتوحات الاسلامية التي ألهتهم عن مثل هذه العلوم والفنون الى ان نسوا البداوة واستولى عليهم الترف والرفهة عند ما استراحوا وتمهدت سطوتهم في زمن الخلفاء العباسيين الذين شرعوا بطلب ذلك منذ استيلائهم على كرسي الخلافة سنة ١٣٢ للهجرة (سنة ٧٥٠م)

كما وقع ذلك لفاتحي اوروبا

ولمن المعلوم بان كل ما هو معروف الآن من اخبار جاهلية العرب غير ما جاءت بهِ الكتب الدينية فانما وصل الى الاسلام برواية الرواة الآتي ذكرهم قال ابن خلدون المغربي في تفسيرهِ قول عبيدة بن دهبل احد الشعراء القدماء في شطر بيتٍ تبكي الديار كما بكي ابن حرامٍ ان هذا الشاعر اراد بذلك شاعرًا قديمًا يقال لهُ امرء القيس بن حرام دثر شعرهُ لانهُ لم يكن للعرب كتاب لبدائتها وانما بقي من اشعارها ما ذكرهُ رواة الاسلام وقيدوهُ من محفوظ الرجال وقال غيرهُ ان الله اختص العرب باربع العمائم تيجانها والحبي حيطانها والسيوف سيجانها والشعر ديوانها وانما قالوا ذلك لانهم كانوا يرجعون الى الشعر عند اختلافهم في الانساب والحروب لانهُ مستودع علومهم وحافظ ادابهم ومعدن اخبارهم قال الشاعر

الشعرُ يحفظ ما اودى الزمان بهِ والشعر الخر ما ينبي عن الكرمِ
لولا مقال زهيرٍ في قصائدهِ ما كنت تعرف جودًا كان في هرمِ

وكثيرًا ما ساعد الشعر الرواة المذكورين الذين كانوا يطوفون احياء العرب ويقيدون بعد البحث لغاتهم ويتلقون عنهم الاحاديث الشائعة بينهم بالنقل الشفاهي عن البعض من امرائهم وشجعانهم ووقائعهم وعوائدهم وادابهم وماكلهم وملابسهم وخيولهم ومواشيهم ومعارفهم وانسابهم الى غير ذلك مما جمعوهُ في موءلفاتهم الكثيرة

وكان اوّل من ابتدا في ذلك من الرواة المذكورين ابو القسم حماد الراوية بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي مولى بني بكر بن وائل وهو الذي يُضرَب بهِ المثل في الحفظ فيقال احفظ من حماد وهو الذي جمع السبع الطول وهي المعلقات التي كانت العرب تسجد لها كما اشرنا الى ذلك في الكلام على الشعر الّا انهُ كان غير ثقةٍ في نقلهِ ويزيد في الاشعار ما ليس منها توفي سنة ١٥٥ للهجرة (سنة ٧٧١م)

وتلاهُ في ذلك ابو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الطائي الثعالبي البحتري الكوفي وكان على ما قيل يرى راي الخوارج وتوفي سنة ٢٠٧ للهجرة (سنة ٨٢٢م) والاصمعي وهو ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن عاصم بن عبد الملك بن اصمع بن مظهر بن رياح بن عمرو بن عبد الله الباهلي المشهور في سعة الرواية وكثرة الحكايات والنوادر الى ان ضُرِبَ بهِ المثل في ذلك فيقال اروى من الاصمعي ويقال انهُ الف نحو مئتي مجلد جمع فيها روايات العرب واحاديثها توفي سنة ٢١٧ للهجرة (سنة ٨٣٢م) وابو عبيدة مُعمر بن المثنى التيمي البصري النحوي وهو اوّل من فسّر الغريب اي البعيد عن الفهم من اللغة وتصانيفهُ كذلك تقرب المئتين وكان يبغض العرب فاوعب تاليفهُ من مثالبها توفي سنة ٢١٨ للهجرة (سنة ٨٢٣م) وابو الفرج الاصفهاني واسمهُ علي بن الحسين ويتصل نسبهُ بمروان بن الحكم اخر خلفاء بني امية كان شديد العناية باخبار العرب ايضاً وهو صاحب كتاب الاغاني الذي وقع الاتفاق بانهُ لم يكتب مثلهُ في بابهِ توفي سنة ٣٥٦ للهجرة (سنة ٩٦٦م)

ثم ان هولاء الرواة المذكورين بعد ان دوّنوا في طواميرهم ما اخذوهُ عن العرب على ما ذكرنا لم يمكنهم ان ينسقوهُ على اسلوب التواريخ المعتادة بل وضعوا موّلفاتهم على سبيل مجاميع حكايات ونوادر متفرقة والبعض منهم لم يكتفوا بتدوين بعض قصص المشاهير من الشجعان بحسب ما كانت تترنم بهِ ربما مع المبالغة تلك القبائل التي ينسبون اليها بل زخرفوها بكل ما وصلت اليهِ مبالغاتهم من التمنيقات بنوعٍ يفوق ما جرت بهِ عادة امثالهم من اوائل المورّخين الذين كانوا البداءة في جمع اخبار اصولهم القديمة ولذلك كانت غالبًا محمولة على الخرافات ومعظمها خالٍ عن الفائدة نظير قصة عنتر وامثالها والظاهر ان الذي حملهم على ذلك هو ما غُرِس في خلقهم طبعًا من الكرم والعشق والميل الى الاستقلال بحيث لم تَعُد تقنعهم فيهِ غرائب النوادر المحتملة الوقوع

ولم يظهر في العرب من أُطلق عليهِ اسم مؤرّخ الآ في اواخر القرن الثالث من الهجرة عند ما تمكنت الفتوحات الاسلامية في اسيا وافريقية والاندلس وبعد ان انتبهوا لما طالعوهُ من كتب القدماء التي تُرجمت الى لغتهم في صدر الخلافة العباسية لفوائد المؤلفات التاريخية من تواريخ اليونانيين التي وان كانوا اهملوا ترجمتها لازدرائهم بها كما سبقت الاشارة الى ذلك في الفصل الخامس من المقالة الاولى الآ انهم لابد من كونهم عرفوا بواسطتها فضل هذا الفن والاضطرار اليهِ قال صاحب تذكرة الحكام ان التاريخ مع كونهِ معدودًا من العلوم العربية لم تولف فيهِ العرب الآ في الازمنة الاخيرة

ومع كثرة ما الفهُ بعد ذلك الكتبة الاسلاميون من التواريخ العربية لم تكن مؤلفاتهم جديرة بان تتصف الآ بما يتصف بهِ التاريخ في القسم الثاني من عمرهِ اذ لم يسلم شيء منها من الانتقاد الكلي في نظر اكابر اصحاب هذا الفن المدققين من الافرنج الآ من كان مثل ابن خلدون المغربي وهو العلامة وليّ الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي الذي يسمونهُ مونتسكيو المشرق كما ذكرنا في ما سلف فالظاهر ان كل امةٍ فاتحة لابد من ان توجد تواريخها على ذلك النسق الذي لايمكن نسخهُ الآ بواسطة التزام المولف الحقوق الطبيعية العامة المستندة الى المعارف الصحيحة فان ملطبرون الفرنساوي صاحب كتاب الجغرافية الشهير ينتقد على ابن حوقل صاحب كتاب المسالك والمالك والمفاوز والمهالك الذي كتبهُ في سنة ٣٦٧ للهجرة (سنة ٩٧٧م) حيث لم يتكلم فيهِ عن غير بلاد الاسلام الآ بوجهٍ اجمالي ولم يرد ان يتكلم عن بلاد النصارى والحبشة الآ يسيرًا لكونهِ يابى ان يثني عليهم بشيء من الحكمة والعدل والدين وانتظام الاحكام وكذلك ينتقد ايضًا على ابي الفدا سلطان حماه في تاريخهِ المؤلف في اثناء القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) حيث لم تكن بلاد النصارى باوروبا واقاليم افريقية المسكونة بالسودان جديرة عندهُ بالاعتناء والاهتمام مع ان تاريخ هذا المولف الشهير يعتبرهُ سائر الافرنج بانهُ

هو التاريخ الحقيقي للاسلاميين

نعم ان ملطبرون المذكور استثنى قطب الدين المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ للهجرة (سنة ٩٥٧ م) من هذه الخلة اذ انهُ دون سائر مورخي العرب الذين لا يتكلمون غالبًا عن غير ممالكهم وبلادهم وان تعرضوا لذكر شيء اخر فلا يكون الاَّ بالعرض قد ذكر في كتابهِ المسمى بمروج الذهب جميع الممالك المعروفة في اقسام الدنيا الثلاثة لكن ابن خلدون المذكور بعد ان اثنى عليهِ ايضًا قائلاً انهُ شرح في كتابهِ احوال الامم والافاق لعهدهِ في عصر سنة ٣٣٠ للهجرة (سنة ٩٤١ م) غربًا وشرقًا وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم وصار امامًا للمؤرخين يرجعون اليهِ واصلاً يعولون عليهِ في تحقيق الكثير من اخبارهم قد اعاب عليهِ امورًا غيرها منها ما ذكرهُ عن دواب بحرية زعم انها صدَّت الاسكندر عن عمار الاسكندرية فاتخذ تابوتًا من الخشب وفي باطنهِ صندوق زجاج غاصَ فيهِ الى قعر البحر حتى صوَّر تلك الدواب الشيطانية التي رآها وعمل تماثيلها من اجسام معدنية ونصبها حذا البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعاينتها (مع انهُ كان يلزم ان نقبل عليها لانها من جنسها فلا تخافها) فتم لهُ بذلك ما يريد من بناء الاسكندرية ومنها ما نقلهُ عن تمثال الزرزور الذي برومية تجتمع اليهِ الزرازير في يوم معلوم من السنة حاملةً للزيتون ومنهُ يتخذون زيتهم ومنها ما نقلهُ ايضًا عن مدينة النحاس وانها مدينة كلُّ بنائها من النحاس بصحراء سجلماسة من بلاد المغرب ظفر بها موسى بن نصير في غزواتهِ هناك وانها مغلقة الابواب وان الصاعد اليها من اسوارها اذا اشرف على الحائط صفق ورمى بنفسهِ فلا يرجع اخر الدهر واعاب ايضًا البكري في ما ذكرهُ في تاريخهِ الذي سمَّاهُ العبر وديوان المبتدا والخبر مقتفيًا بهِ مسالك المسعودي المذكور لعصرهِ ليكون اصلاً يقتدي بهِ المؤرخون من بعدهِ وذلك عن مدينة زعم انها بنيت تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة الاف باب وفي ما حكاهُ ايضًا عن اناء

من نحاس ذكر انهُ ظهر في حفرٍ وقع في بلد قابس من بلاد الجريد بافريقية وكان مختوماً بالرصاص فلما فُضَّ ختامهُ صعد منهُ دخان الى الجوّ وانقطع فكان ذلك مبدأ امراض الحميات في تلك المدينة يريد ان الاناء المذكور كان مشتملاً على بعض الطلسمات لرفع العفن والوباء عنها واعاب ايضاً ابا جعفر محمد بن جرير الطبري نسبةً الى طبرستان بالموصل المتوفى في بغداد سنة ٣١٠ للهجرة (سنة ٩٢٢م) والثعالبي النيسابوري ابا منصور عبد الملك صاحب يتيمة الدهر المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة (سنة ١٠٣٧م) والزمخشري جار الله ابا القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الذي كان امام عصرهِ وقدوة دهرهِ في العلوم العربية ولهُ جملة تصانيف ومؤلفات جميلة جليلة وقد توفي في خوارزم سنة ٥٣٨ للهجرة (سنة ١١٤٣م) في ما ذكروهُ جميعهم عن ارم ذات العماد وهي مدينة زعموا انهُ يعثر عليها اهل الرياضة والسحر ذات عماد اي اساطين بناها شداد بن ارم بن عوص بن عاد في صحاري عدن لما سمع وصف الجنة فقال لابنينَّ مثلها واقام في بنائها (٣٠٠) سنة وكان عمرهُ (٩٠٠) سنة فجعل قصورها من الذهب واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الشجر والانهار المطردة

وما اعاب بهِ هذا المورخ الفاضل المغربي مورخي العرب على الاطلاق هو امر تلاعبهم في الاسماء والالفاظ التي ينقلونها عن الاعاجم فاذا وقع حرف متوسط بين حرفين فيردونهُ تارةً الى هذا وتارة الى هنا وكذلك يحذفون اشباع الحركات وبالجملة فانهم يتصرفون في الاسماء الاعجمية بتبديل حروفها وتغييرها وتقديم بعضها على بعض فلذلك قلّ ان يُفهم من كتبهم حقيقة اسمٍ او لفظةٍ غريبة عن لغتهم

القسم الثاني من اقسام الفلسفة النظري

نبذة في ما يتضمنه هذا القسم من انواع العلوم والفنون حسب راي الاقدمين

حيث قد ذكرنا في صدر هذه المقالة بان العلوم الفلسفية عند الشرقيين تقسم الى قسمين عملية ونظرية ثم بيّنا هناك ايضًا ما هو القسم الاوّل العملي وتكلمنا بالتالي على نوعيهِ وما تحتهما من الفروع في اصطلاح العرب بقدر الامكان وذلك في البحث الاوّل والثاني من القسم المذكور فقد بقي علينا ان نتكلم هنا على القسم الثاني النظري وهو عندهم ينقسم ايضا الى اعلى وهو العلم الالهي واوسط وهو العلم الرياضي ويحصرونهُ في اربعة فروع وهي الهندسة والهيئة والعدد والموسيقى وادنى وهو العلم الطبيعي الذي كان رتبهُ ارسطاليس على ثمانية اجزاء بثمانية كتب حدَّدها الشيخ الرئيس ابن سينا في مختصر ترجمهُ بالمقتضيات والعلوم التي تتفرع عليهِ وتنشأ منهُ عشرة وهي الطب والبيطرة والزردقة والفراسة وتعبير الرويا واحكام النجوم والسحر والطلسمات والسيميا والكيميا والفلاحة ولا زال اكثر المتأخرين منهم يعني اهل عصرنا هذا لا يسمحون برفض ما كان من هذه العشرة فاسدًا بطبيعتهِ لا حقيقة له في الوجود وانما يزعمون ضياعهُ ويجمعونهُ بقولهم بطل علم السكّر يريدون بذلك السيميا والكيميا والرصد الذي هو الطلسمات او ضرب منها وهاك تعريف كلٍّ من هذه العلوم عندهم على حدتهِ

الكلام على العلم الاعلى الالهي

هذا العلم يبحث فيهِ عن الموجودات كلها من حيث تعيينها وثبوتها وتحقيق

حقائقها وما يعرض بها ونسب ما بينها وما يعمها وما يخصها من حيث هي موجودات مجردة عن المادة وعلائقها وموضوعه الموجودات واخواتها من هذه الحيثية ويُعبّر عنه بالفلسفة الاولى وبالعلم الالهي لاشتمالهِ على العلوم الالهية وبالعلم الكلي لعمومهِ وشمولهِ لكليات الموجودات وبعلم ما بعد الطبيعة لتجرد موضوعهُ عن المواد ولواحقها وزمرة الحكماء الباحثين فيهِ رئيسهم ارسطو وكتابة فيما بعد الطبيعة حاصل بحصولهِ

(تنبيه)

لكلٍّ من اصحاب الاديان الموجودة قديمًا وحديثًا راي مخصوص في ذلك كما يتضح من التفاصيل الآتية في البحث الرابع من هذه المقالة

الكلام على العلم الاوسط الرياضي

الهندسة علم يبحث فيهِ عن مقدار الامتداد ومساحتهِ والامتداد يطلق على الابعاد الثلاثة وهي الطول والعرض والعمق والهندسة في اللغة الحد والقياس اصلهُ اندازه فارسية

الهيئة

علم يبحث فيهِ عن احوال الاجرام البسيطة العلوية والسفلية من حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها وفي اللغة الهَيْئة والهِيئة حال الشيء وكيفيتهُ وشكلهُ وصورتهُ

العدد

علم يبحث فيهِ عن العدد وخواصهُ وفي اللغة العدد الحسبان والاحصاء

الموسيقى

وهي علم يبحث فيهِ عن الالحان وتوقيعها للغناء والتطريب وهذه اللفظة يونانية اصلها مُوسيكي وتطلق على طائفة من الات الطرب تؤخذ معًا

البحث الثالث

في الطبيعيات وهي العلم الادنى من القسم الثاني المذكور

الطب في الاصطلاح علم باصولٍ تُعرَف بها احوال ابدان البشر من جهة الصحة وعدمها لتحفظ حاصلةً وتحصل غير حاصلةٍ وفي اللغة الطب مثلثة علاج الجسم والنفس والمراد هنا ما يختص بالجسم فقط

البيطرة علم معالجة امراض الخيل

الزردقة علم معالجة امراض الطيور

الفراسة علم بقوانين تُعرَف بها الامور الخفية بالنظر الى الامور الظاهرة وموضوعهُ العلامات والامور الظاهرة في بدن الانسان

تعبير الرؤيا

يراد بهِ تفسير الرؤيا والاحلام والاخبار باخر ما يؤول اليهِ امرها غير انهم يقولون اذا كانت جلية فلا تحتاج الى تعبير اما المحتاج الى التعبير منها فما كان بالمحاكاة والمثال ويقسمونها الى ثلاث رؤيا من الله وهي الجلية ورؤيا من

الملك وهي المحاكاة الداعية الى التعبير واضغاث احلام وهي من الشيطان لانها كلها باطل

احكام النجوم

علم يبحث فيه عن احوال الشمس والقمر وغيرها من الكواكب وموضوعهُ النجوم من حيث يمكن ان تُعرَف بها احوال العالم ومسائلهُ هي كقولك كلما كانت الشمس مثلاً على هذا الوضع المخصوص فهي تدل على حدوث امر كذا في هذا العالم ويطلق على هذا العلم علم التنجيم ايضاً

السحرُ

قيل هو اخراج الباطل في صورة الحق وهو في اصل اللغة الصرف وسمي سحرًا لانهُ يصرف الشيء عن جهتهِ وقيل هو عمل يتقرب بهِ من يتعاطاهُ الى الشيطان ومعونة منهُ مما لا يستقل بهِ الانسان وقال اخرون ان السحر خمسة انواع وزعم بعضهم ان لهذه الانواع الخمسة اصلين وهما السحر الابيض اي الالهي والسحر الاسود اي الشيطاني فالاول يمكّن صاحبهُ من ان يستخدم الشيطان بالتقوى والتعزيم والثاني يجعل صاحبهُ خادمًا للشيطان بعبادتهِ وتكريمهِ والكفران بالله وبكتبهِ وعندهم ان الاول حلال والثاني حرام

الطلسمات

جمع طِلَّسْم او طِلَّسْم عبارة عن تمزيج القوى السماوية الفعالة بالقوى الارضية المنفعلة بواسطة خطوط مخصوصة يستخدمها من يتعاطى هذا الفن ليدفع كل موذٍ وربما اطلق ذلك على تلك الخطوط نفسها وهي معرب تالِسْما باليونانية

السيميا

علم يطلق على غير الحقيقي من السحر وهو الاشهر وحاصلهُ احداث

مثالات خيالية لا وجود لها في الحس وقد يطلق على ايجاد تلك المثالات بصورها في الحس وتكون صورًا في جوهر الهواء والسيميا لفظة عبرانية معربة يحصل من معناها اسم الله

الكيميا

علم يراد بهِ تحويل بعض المعادن الى بعض وعلى الخصوص تحويلها الى الذهب بواسطة الاكسير اي حجر الفلاسفة او استنباط دواء لجميع الامراض

الفلاحة الحراثة وصناعة الفلاح

فصل

في طريقة تحصيل العلوم عند الافرنج وكيفية تقسيم تعليمها وتوصلهم الى حقيقة علم الطبيعة بوجهٍ اجمالي اذ لا سبيل الى تفصيل ذلك ولاسيما اذا قُرن بكيفية استدلالهم على كل فائدة من الفوائد الحاصلة منهُ نظرًا لكثرة الايادي وجهد الباحثين في عامة الاقطار المتمدنة وانصبابهم ولو مئات من السنين على اغتنام نتيجة كل ما يتصورون امكان الحصول عليهِ من اية خاصةٍ عرفوها في اي فرعٍ كان من فروعهِ حتى كان هذا العلم عندهم ليس من علم الطبيعة المذكورة في كتب الاقدمين كما يتضح ذلك من التفاصيل الآتية

قد ذكرنا في الفصل السابع من المقالة الاولى كيفية انتشار العلوم في عامة اقطار اوروبا وانصباب اهل العلم فيها بنوعٍ اخص على العلوم الطبيعية المذكورة مع ترك ذلك التصلب في زعامة الراي ولو كان على الغيّ وغير ذلك من الامور التي كانت سببًا في فساد المعارف القديمة والتزام الانقياد باتفاقٍ عام الى كل ما تحكم العقول السليمة بصحتهِ بعد بذل الجهد التام منهم اجمالاً وافرادًا بدون ادنى ملل وخاصةً منذ مدت الملوك العظام ساعد العناية في حماية العلوم

واسعاف العلماء عقب اقتحام اخطار تلك الحروب الصليبية ومعرفة ما كانوا عليه من الجهل بالنسبة الى الامة العربية سيّما بعد ان افتتحوا مدينة القسطنطينية وراوا ما كان باقيًا فيها من عظم اثار التربية القديمة ومن ثم اقتدى بعضهم بالمامون العباسي الذي مر ذكرهُ في الفصل الخامس من المقالة الاولى فصرفوا همتهم في استخراج دفائن العلوم ومنهم من اقتفوا اثار كرلوس الاكبر الذي كان تولى الامبراطورية في سنة ٧٧٢م ببذل ما في خزائنهم على ان ينشئوا لها في اقاليهم وبلادهم المدارس والمكاتب والبعض منهم ربطوا لذلك من الاوقاف ما يقوم ريعهُ بسد احتياجات المعلمين ويكفيهم مونة الاهتمام بامر المعاش ليتفرغوا بكليتهم الى خدمة هذه العلوم وتقويتها وكان اوّل من شرع في هذا المشروع الحسن لويس السابع ملك فرانسا الذي تولى المملكة سنة ١١٣٦م وتبعهُ ليوبولد و دوق فيرينسا الاعظم سنة ١١٤٦م ثم الدوق هنريكوس ثالث اولاد يوحنا الاول موّسس دولة البورتغال سنة ١٣٨٣م والمركي نيقولاوس الثالث حاكم بلاد فرارة من ايطاليا سنة ١٤٤١م والفونس الاول ملك نابولي سنة ١٤٤٣م والبابا نيقولاوس الخامس الذي ارتقى الى الكرسي سنة ١٤٤٧م ويوحنا المديسي من بلاد توسكانا الذي صار اخيرًا بابا باسم لاون العاشر سنة ١٥١٣م وكرلوس الثاني الذي تملك انكلترة في سنة ١٦٦٠م وبطرس الاكبر ايمبراطور المسكوب الذي تولى سنة ١٦٨٢م وكرلوس الثاني عشر الذي تولى مملكة اسوج سنة ١٦٩٧م وفريدريك الاكبر ملك بروسيا سنة ١٧٧٢م وكثيرون غيرهم لا يسعنا ان نستوفي ذكرهم جميعهم هنا

وقد احتوت هذه المدارس على جميع انواع العلوم والفنون التي ولئن كان البعض منها معروفة مباديهِ للشرقيين في الازمنة القديمة فان كثيرًا منها ربما لم يكن معروفًا عندهم بالكلية وهي قسمان عام وخاص

القسم العام

وهو لعموم التلامذة وفيهِ عدة فنون لابد لكل منهم ان يحصلها وهي المعروفة بالرياضيات ومنها

الحساب

ويسمى في اللغات الافرنجية الارثماطيقي وهو احد العلوم الرياضية الخالصة كما يأتي الكلام على ذلك واهمها ايضًا وباب لِما وراءهُ من العلوم التعليمية فضلاً عن الاضطرار اليهِ في الاعمال الحكمية والتجارية والاجوبة الفرضية وقد حدَّهُ بعضهم بانهُ علم يبحث فيهِ عن الاعداد من حيث ما يعتريها من الاعمال وقال اخرون انهُ علم يستخرج بهِ المجهولات العددية من معلوماتٍ مفروضة

والعدد اجتماع الاحاد وهو الكمّ المنفصل المؤلف من تكرار الواحد ومن خواصهِ قبول الزيادة الى ما لانهاية وهو قسمان صحيح وكسر وزاد بعضهم ثالثًا وهو ما تركب منها وسماهُ عددًا مشتملاً على الكسور ويتعلق بهذه الاعمال اربعة وهي الجمع والطرح والضرب والقسمة

ويراد بالكسر في الحساب ما لايبلغ سهمًا واحدًا تامًّا والنزر القليل والعدد الذي يكون اقل من واحد كالنصف والثلث والربع وما فوق ذلك او دونهُ ومنهُ الكسر العشري وهو عبارة عن كسر يكون مخرجهُ (١) مع صفر او اكثر عن يمينهِ والكسر القيراطي وهو قسمة المتجزئات الى اربعة وعشرين قيراطًا وهو اوّل عدد لهُ نصف وثلث وربع وسدس وثمن صحاح من غير كسر فيطرد التقدير بهِ

والظاهر ان الاصابع هي اول الطرق التي استعملها الانسان في الحساب

ولذلك كان اوّل عقد في العدد هو عقد العشرات والثاني عقد عشرات العشرات التي هي المئات والثالث عقد عشرات المئات التي هي الالوف الى آخره والمظنون ان السبب في ذلك ان الاصابع عشرة فكان الانتقال من عقدٍ الى آخر من عشرة الى عشرة ولما كانت الاصابع لا تكفي في تمييز عشرة عشرة احتاج الامر الى طريقةٍ أخرى فاتخذوا علامات أُخَر فاخذوا صغار الحصى وحبوب القمح وغيرها واستعملوها لتمثيل المعدودات كما هو الآن عند همَل اميريكا وغيرها حتى ان بعض قدماء البلاد الماضين لا يوجد في لغاتهم ما يمكن التعبير به عما فوق العشرات فانهم كانوا يعبّرون عن المئة وسبعة وعشرين مثلاً بقولهم سبعة وعشرتان وعشرة عشرات وذلك لان الاقدمين كانوا يذكرون العدد الاصغر قبل الاكبر فيبتدئون بالاحاد ثم بالعشرات ثم بالمئات وهكذا كما قال بعضهم انهُ يوجد في كتب العبرانيين واليونانيين ما يدل على ذلك وهو ايضاً اسلوب اللغة العربية في ما دون المئة

ثم وضع حكماء الهند من زمن مجهول الارقام التسعة المعروفة بالارقام الهندية ولئن كان قد استدلّ بعضهم من التواريخ على ان واضعاهم اهالي فينيقية وقدماء اهل مصر وان هاتين الامتين هما اول من جمع الاعداد والحساب ونظاما في عقد الترتيب حتى ان فيثاغورس الفيلسوف اليوناني رحل من بلاد اليونانيين الى مصر ليتلقى فيها هذا العلم وقيل ايضاً ان الفينيقيين هم اول من استعمل القوائم والدفاتر وخلاصة الامر هي انهُ بواسطة هذه الارقام قد تبحَّر متأخرو الامم في علم الحساب وتنوعوا وتفننوا فيهِ حتى وصلوا الى درجةٍ لم يبقَ معها لهم اكتفاء بمجرد طرقهِ المالوفة بل صاروا محتاجين الى ما هو اعمّ منها للاسباب الآتي ذكرها

الجبر

ولما بحث علماء الحساب فيهِ على ما ذكرنا وجدوهُ غير كافٍ لحل جميع

المسائل الاعدادية لانهُ لا ينتج طرقًا عامة لحل جميعها فاخترعوا طرقًا اخرى اعم من طرقهِ وهذه الطرق تسعف الانسان وتعينهُ على حل اغلب المسائل المذكورة وسموها علم الجبر ولذلك كان هذا العلم مشابهًا لعلم الحساب الرقمي الاَّ انهُ اعم منهُ لكون طرقهِ تحل بها اغلب المسائل المقدارية معتبرة كاعداد وحيث ان هذه المسائل تؤُول الى طرق علم الحساب فيعلم ان علم الجبر لا يصعب الاَّ في تركيب المعادلات واستخراج المجهولات واذا علمت طريقة حل مسئلةٍ اجريت في جميع المسائل المشابهة بها

وحيث كان المبحوث عنهُ في هذا العلم هو المعادلة بين المعلوم والمجهول من الاعداد من غير نظر الى كمياتٍ معينة رمزوا الى تلك الاعداد في تراكيب المعادلات بالحروف الهجائية والى اعمال الاعداد باشاراتٍ رقمية طلبًا لاجراء الاعمال بلا تخصيص مثال ولاختصار وضع التناسب بين الاعداد وتعلقها ببعضها وسهولة الطرق التي تدل على حسابها فاستعمال الاشارات المذكورة تعرّف طرق علم الحساب الجبري التي من جملتها الطرق الخمسة وهي الجمع والطرح والضرب والقسمة والجزر وهذه الطرق تخالف طرق علم الحساب في ان طرق الحساب تجري في الاعداد وهذه تدل عليها فقط بعد معرفة الشروط الواقعة على الاشياء المعلومة والمجهولة

وكذلك وضعوا اشارات للدلالة على الجمع والطرح والكميات التي تتقدمها العلامة الاولى تسمى ايجابية والتي تتقدمها الثانية يقال لها سلبية والتي تتقدمها كلتاهما تسمى ملتبسة والتي لا تتقدمها علامة تقدَّر لها علامةٌ ايجابية اي علامة الجمع ومن الاشارات المرقومة ما يدلُّ على المساواة بين كميتين وما يدل على كميةٍ اعظم من كمية وللضرب والقسمة الخ

فالجبر اذًا علم يبحث فيهِ عن نسب الكميات باستعمال الحروف واشارات اخر والاحرف التي تنوب عن كميات عددية فيهِ ليس لها قيمة في ذاتها ولكن تفرض لها قيمة معلومة في كل مسئلةٍ على مقتضى شروطها وقد تكون تلك القيمة

معلومة وقد تكون مجهولة ولذلك خصصوا بعض الحروف للعلومة و بعضها للمجهولة

ويقال بان اول من استنبط هذا الفن هو ديوفانتوس احد علماء اليونان في الجيل الرابع او الخامس ب م ثم اتصل الى اوروبا بواسطة العرب سنة ٩٥٠م لكنهُ لم يصير فيها مشتهرًا كغيرهِ من سائر العلوم الاَّ في بدء القرن السابع عشر

الهندسة

موضوع هذا العلم قياس الامتدادات الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق كما ورد في الكلام عليهِ في طبيعيات الاقدمين قال الفاضل رفاعة بك الطهطاوي من ارجوزةٍ نظمها فيهِ

موضوعهُ قياس الامتداد فسرهُ بالثلاثة الابعاد
والطول والعرض كذا والعمقِ وشرح هذي غير مستخفي

فالامتداد يُعبَّر بهِ عن الفراغ المشغول باجسام محسوسة بالفعل او بالوهم سواء كانت كبيرة ام صغيرة

والجسم يطلق على معنيين احدهما ما يسمى جسمًا طبيعيًا لكونهِ يبحث عنهُ في العلم الطبيعي وهو جوهر يمكن ان يُعرض فيهِ ابعاد ثلثة متقاطعة على زوايا قائمة وثانيهما ما يسمى جسمًا تعليميًا اذ يبحث عنهُ في العلوم التعليمية اي الرياضية (التي نحن بصددها) وهو كم قابل الابعاد الثلثة المتقاطعة على الزوايا القائمة ويسمى ثخنا ايضًا كالكتاب والعلبة والطيلسان مثلاً اذ كل من ذلك وغيرهُ لهُ طول وعرض وعمق فالجسم هو عبارة عن مجموع هذه الابعاد الثلثة معتبرة مع بعضها ويسمون عُظم الجسم حجمًا ايضًا

واما ما كان ليس لهُ الاَّ بعدان فقط كالطول والعرض فلا يسمونهُ جسمًا بل سطحًا وما كان ليس لهُ الاَّ بعد واحد فقط فيسمونهُ خطًا وهو الطول وما كان مجردًا في الذهن عن الابعاد الثلاثة المذكورة فيسمونهُ نقطة والخطوط انواع معروفة في كتب الفن

ويسمون كرة او جسمًا كرويًّا كل جسمٍ يكون جميع نقطهِ على بعدٍ واحد من نقطة الوسط المسماة المركز وما يجوز من المركز الى جانبي الكرة يسمونهُ قطر الكرة فان دارت الكرة على هذا الخط سمي محور الكرة وطرفا المحور يسمونهما قطبين وكل مستوٍ يقطع الكرة بخطٍ على سطحها دائرة اما كبرى واما صغرى واما متوازية

والدائرة هي سطح مستوٍ منتهٍ بخط منحنٍ جميع نقطهِ على بعدٍ واحد من نقطة الوسط المساة مركزًا والخط الذي تنتهي بهِ الدائرة يسمى بالمحيط ومحيط الدائرة الكبرى او الصغرى (٣٦٠) جزءًا يسمونها درجات وكل درجة (٦٠) جزءًا يسمونها دقائق وكل دقيقة (٦٠) جزءًا يسمونها ثواني وقد جدَّد متاخرو حكماء الفرنسا وبين اصطلاحًا اخر وهو ان الدائرة تعتبر اربعة ارباع وكل ربع (١٠٠) درجة وكل درجة (١٠٠) دقيقة وكل دقيقة (١٠٠) ثانية وكل ثانية الخ

وتكون مساحة الجسم بقياسٍ يسمونهُ مترًا مكعبًا اعني كل وجهٍ من اوجههِ مترًا مكعبًا ويستعملون في حسابها نفس الاشارات التي تستعمل للجبر وهي تدل على ما دلت عليهِ هناك ايضًا

وهذا الفن لهُ دخل عظيم في الاعمال العظيمة والاشغال المهمة ويتوقف على معرفتهِ كثير من العلوم كعلم الهيئة والمساحة ومقادير عروض واطوال البلاد في فن الجغرافيا وتطلبهُ الاستحكامات الحربية ايضًا كعمارة القلاع والمتاريس وغيرها ورسم مراكز الجنود والمعسكرات وحفر الخنادق ورمي القنابر وانشاء الجسور والسفائن ومن فروعهِ العلم الآتي

علم المناظر

وهو علم تعرف بهِ كيفية مقدار الاشياء بسبب قربها وبعدها عن نظر

الناظر والغرض منهُ رسم الاجسام ذات الابعاد الثلاثة التي مرَّ ذكرها او الموضوعة على مستويات مختلفة او على مستوٍ واحد ليس لهُ الاَّ بعدان فقط ولاجل معرفة طريقة ذلك تلزم معرفة القضايا الآتية وهي

الحيز هو الجزء المشغول بالجسم من الفراغ وان شئتَ قُلْ هو محل اقطار الجسم الثلاثة اعني الطول والعرض والعمق والفراغ هو الخلا اللانهائي الموجود فيهِ جميع الاجرام الفلكية التي تكوَّن منها العالم ولا يتأتى للعقل ان يتصور لهُ حد فاذًا لا غاية لهُ وكل ما امكن مسهُ من الاجسام فلابد ان يشغل جزءًا من الفراغ بحسب ما هو عليهِ من صغرٍ او كبر وهذا الجزء هو المسمى بالحيز

ومن حيث ان كلاًّ من الفراغ والحيز مبهم لا تتضح دلالتهِ الاَّ بتعيين جهة حصروا جهات القياس في اقطار الجسم الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق تعيينًا لجهتهِ ومن حيث ان الشيء لا يكون كبيرًا او صغيرًا او طويلاً او عريضًا او عميقًا الاَّ بمقابلتهِ لغيرهِ فقد جعلوا المقاييس المعروفة اصلاً لتعيين المقدار بالوزن والكيل وكل ذلك ليزول الابهام بالكلية ويتضح الامر اتضاحًا كليًّا

فوضعوا القيراط وهو لفظ يوناني معرب اصلهُ كيراتون يزن عندهم حبة خرنوب ونصف دانق وقد مر ذكرهُ في الكلام على كسور الاعداد ولكنهُ يستعمل هنا بمعنى عرض الاصبع والقدم وهو في القياس ما بين اطراف ابهام الرجل وطرف الكعب واما عند الرياضيين اعني هنا فهو عبارة عن سبع المقياس والشبر وهو ما بين طرف الابهام وطرف الخنصر والذراع وهو اربع وعشرون اصبعًا مضمومة سوى الابهام والتواز وهو ستة اقدام

غير ان هذه المقاييس لما كانت مختلفة بين القبائل اجتهد الفرنساويون في تحرير عمل مقياسٍ عام لتكون المقاييس متماثلة عند عموم الناس فاختاروا لقياس المسافات نوعًا منها واقتدى بهم اهل اوروبا في ذلك وهذا النوع هو الميتر وذلك لان كل المقاييس مأخوذة منهُ وهو جزءٌ من عشرة ملايين من

ربع خط الزوال الارضي وهذا الميتر اذا قوبل بالقدم القديم الذي طولهُ (١٢) قيراطًا كان (٣) اقدام و(١١) خطًّا من قيراط واحد و(٢٩٦) جزءا من الف جزء من خط

ومن ثم اذا ضُرب الميتر في عشرة او مئة او الف او عشرة الاف تحصلت الاحاد المتكررة المشهورة وهي ديكاميتر اي عشرة امتار وايكتوميتر اي مئة ميتر وكيلو ميتر اي الف ميتر ومريا متر اي عشرة الاف ميتر واذا قُسم الميتر على عشرة او مئة او الف تحصلت الكسور المشهورة وهي ديسي ميتر اي عشر الميتر وسنتي ميتر اي عشر عشر الميتر اي جزءا من مئة من الميتر وميللي ميتر اي جزء من الف فاذا رُقمت كسورٌ متتالية نُطِقَ باسم الرقم الاخير مضافًا اليهِ ما قبلهُ على التوالي ففي مثال ما اذا رُقم هكذا (٢،٤٣٥٦) يقال ميتران واربعة الاف وثلاثمئة وستة وخمسون دي ميللي ميتر فتكون الكسور اجزاء من عشرة الاف من الميتر

وجعلوا لقياس سطح الارض الآر وهو مقياس مربع كل جانب منهُ عشرة امتار والاستير وهو ميتر مكعب

وجعلوا لقياس الحيز الليتر وهو ديسي ميتر مكعبًا من الماء المقطَّر

واما احاد الوزن فهي الكيلو جرام ويسمى الرطل الاعشاري ويعادلهُ ديسي ميتر مكعبًا من الماء المقطر ووزنهُ القديم (٣٢) اوقية و(٥) دراهم و(٣٥) قمحة و(١٥) جزءا من مئة من القمحة والاوقية (٨) دراهم والدرهم (٧٢) قمحة والجرام (١٨) قمحة و(٨٣) جزءا من مئة جزء من القمحة ويعادلهُ سنتي ميتر مكعبًا من الماء المقطر والديسي جرام وهو قمحة واحدة و(٨٨) جزءا من مئة من القمحة ويعادلهُ ميللي ميتر مكعبًا من الماء المقطَّر اي جزء من الف جزء من الميتر والسنتي جرام وهو (١٩) جزءا من مئة من القمحة ويعادلهُ جزء واحد مكعب من الماء المقطر من عشرة الاف جزء من الميتر والميللي جرام وهو جزآن من مئة من القمحة ويعادلهُ سنتي ميللي ميتر مكعبًا من الماء المقطر

الجغرافيا

او الجغرافية علم يبحث فيهِ عن هيئة الارض واقسام سطحها وانواع اهلها وحواصلها الى غير ذلك ويقال لها رسم الارض ايضًا وهي لفظة يونانية مركبة من جي اي ارض وجرافي اي وصف فيكون تحريرها رسم الارض والعالِم بها يقال لهُ جغرافي وهي على اقسامٍ كما ياتي

اولاً اذا نظر الى الارض من جهة شكلها او سكونها او تحركها ونسبتها لِما عداها من الاجرام الفلكية فتسمى بالجغرافية الرياضية او علم هيئة الدنيا

ثانيًا اذا نظر اليها من جهة مادتها الترابيَّة او المائيَّة وما يتعلق بذلك مما يظهر على سطحها مثل الجبال فتسمى بالجغرافية الطبيعية اي المتعلقة بطبيعة الارض

ثالثًا اذا نظر اليها من جهة اختلاف اهلها في الدين والملة فتسمى بالجغرافية الدينية

رابعًا اذا نظر اليها من جهة اختلاف اهلها في التدبير والسياسة والرسوم والقوانين فتسمى حينئذٍ بالجغرافية السياسية او التدبيرية

خامسًا اذا نظر اليها من جهة التغييرات والتقلبات الحاصلة بطول الازمان المختلفة في الارض وفي اجزائها بالنسبة للدين والسياسة ونحو ذلك سميت بالجغرافية التاريخية

فهذه هي الاصول وإلاَّ فالقسمة غير منحصرة كما يتضح ذلك من كتب هذا الفن

التاريخ

هذا الفن قد تكلمنا عليهِ في القسم الثاني من هذا المؤلف بما فيهِ الكفاءة

الرسم

وهو التخطيط وتصوير الادمي والبهيمة والازهار والاماكن والبلاد وما شاكل ذلك من جميع انواع المنظورات

القسم الخاص

وفيهِ كذلك عدة فنون لكنها تتوزع على الطلبة بحسب رغبة كل منهم وهي

علم تدبير الامور الملكية ويتشعب عنهُ عدة فروع منها الحقوق الثلاثة التي يعتبرها الافرنج وهي الحقوق الطبيعية والحقوق البشرية والحقوق الوضعية وهذا الاخير قد ترجمنا منذ مدةٍ رسالةً صغيرة الحجم في جزئهِ الاول المختص في اوقات الصلح من التركية الى العربية وهي تاليف البارون اشلختنا او طوقار النمساوي وطبعت سنة ١٨٧٣م

وعلم احوال البلاد ومصالحها وما يليق بها وعلم الاقتصاد في المصاريف وتدبير المعاملات والمحاسبات وحفظ بيت المال وادارتهِ

ومن ذلك يتفرع ايضاً فن معرفة الاستشارة في مصالح الدول يعني علم السفارة ومنها الابجية وهي رسالة البلدان التي لا بد لمن يتقلدها من معرفة الالسن والحقوق المذكورة وسائر الاصطلاحات

علم تدبير الامور العسكرية كترتيب العساكر البرية وفن القبودانية والامور البحرية وفن اطلاق المدافع وترتيبها وهو فن الطوبجية وفن سبك المعادن وصناعة المدافع والاسلحة . والميكانيكا وهو معرفة جرّ الاثقال

علم اللغات

وهو تحصيل اللغات القديمة والحديثة سواء كانت مهجورة ام مستعملة بقواعدها وادابها واصطلاحاتها ومن فروعها فن الترجمة يعني ترجمة الكتب اذ انهُ من الفنون الصعبة وخصوصاً ترجمة الكتب العلمية فانهُ يحتاج الى معرفة اصطلاحات اصول العلوم

علم النقاشة

ومن فروعهِ فن الطباعة ونقش الاحجار ونحوها

علم الزراعة

وهو علم يبحث فيهِ عن الفلاحة ومعرفة انواع الزرع وزرع الاشجار وحفظها من البرد وتطعيمها وتطبيع النباتات الغريبة المنقولة من غير اقاليم على الاقليم التي تنقل اليهِ ونقليم الاشجار غير المثمرة لاخراج ثمرها وتعليم من يريد السفر الى بلادٍ ليميز نباتها وتدبير الابنية في الحقول بالبناء اللائق بها ومعرفة ما يختص بذلك من الات الحراثة المدبرة للمصاريف . ومن فروعهِ تدبير المياه ايضاً كصناعة القناطر والجسور والارصفة والنواعير والحياض ونحو ذلك

علم الطب

قد سبق تعريفهُ في الكلام على هذا الفن عند الاقدمين ومن المعلوم انهُ مأخوذ في البداءة عن الاستقراء والتجارب ويقال انهُ اوَّل من شرع في ذلك

هم اهل بابل التي هي اوّل مدينةٍ بنيت على وجه الارض بعد الطوفان فكانوا ياتون بالمرضى و يضعونهم في الازقة ومعابر الطرق بقصد انهُ اذا مرّ عليهم احد ممن قد اصيب بذلك الداء المصاب بهِ المريض براهُ فيعلمهم سبب شفائهِ من تلك العلة سواء كان بواسطة تجربةٍ خصوصية منهُ او بالاستفادة من غيرهِ وكانوا يكتبون اسماء العلاجات التي يتحققون افادتها على الواحٍ ويعلقونها في هيكل شيدوهُ لوثنٍ من معبوداتهم زعموهُ اله الطب واقتدى بهم في ذلك كثيرون من شعوب الارض كالمصريين الذين يحكى عنهم بانهم اتقنوا هذه الصناعة وكان الطبيب عندهم لا يتفرغ الاّ لمعالجة مرضٍ واحد من الامراض والظاهر انهم هم اول من ادخل في هذا الفن كثيرًا من الاوهام الفاسدة فانهُ يقال بانهم كانوا يتخابرون في تطبيب المرضى مع الارواح كما يفعل الآن السبيرتزميون في اوروبا ومن ثم استعمل استخراج الدم من العروق بواسطة الفصد نحو سنة ١٥٦٤ وتعاطي المقيء سنة ١٥٠٤ والضمادات سنة ١٤٩٤ قبل التاريخ المسيحي وكذلك العبرانيون وربما كان سليمان الحكيم بن داود ملك اسرائيل الذي خلف اباهُ على المملكة سنة ١٠١٤ قبل الميلاد اول من تكلم على خواص النباتات والحيوانات اذ قد كتب عنهُ بانهُ تكلم عن الاشجار من الارز الذي في لبنان الى الزوفا الذي ينبت في الحائط وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك وبعدهُ اشتغلت فرقة منهم ايضًا يقال لها الاسينية بعلم الطب وتعليمهِ وكانت تفحص عن القوة المولدة للنباتات والجمادات نحو سنة ٢٠٠ قبل الميلاد

واما السبب في كون هذا الفن يُنسَب لليونانيين فهو لكون ان اوّل من دونهُ في الكتب كان رجلاً منهم يقال لهُ بقراط (هيبقراط) ظهر نحو سنة ٤٦٠ ق م وكان بنو اقليميوس يتداولونهُ قبلهُ خلفًا عن سلف لسانًا لا كتابةً والظاهر انهُ اتصل بهم عن رجلٍ يقال لهُ اسكولاب كان تلقنهُ عن رجل اخر يقال له شيرون القنطوري ولذلك نظم اليونان هذين الطبيبين في صف الالهة وشحنوا

بلادهم من الهياكل لاسكولاب المذكور بزعمهم انهُ اله الطب ثم لما ظهر بقراط المذكور وكتب عدة فصول في هذه الصناعة وهي التي شرحها اخيرًا ابن القفّ قالوا ينبغي ان يكون بقراط هذا اوّل من اخترع الطب المؤسس على النظر في احوال المرضى والتجريبات ورتب لذلك المرستانات اعني بيوت الصحة ولما ظهر ارسططاليس الفيلسوف المولود في سنة ٣٨٤ ق م وكان معلمًا للاسكندر المكدوني شرع في تشريح الحيوانات للفحص عن طبائعها وخصوصياتها وكان ذلك بامر هذا الملك ونفقتهِ وبعدهُ ظهر في المدرسة البطليموسية بالاسكندرية المعلمان هروفيلوس وفيلبوس وباشرا تشريح الاجسام البشرية ايضًا وذلك في القرن الثالث بعد الميلاد ثم لما ظهر جالينوس نحو سنة ١٥٠ بعد التاريخ المسيحي والف في هذا الفن تآليف جليلة وتصانيف كثيرة وظهر معهُ روفس وغيرهُ فوسعوا دائرتهُ وكانوا يعتقدون تضمنهُ لعلم الفلك حيث زعموا ان للاجرام السماوية دخلًا في امراض البشر وتاثيرًا في اجسامهم . قال بقراط ان الطبيب الذي لا يعرف علم النجوم لا يعتمد عليهِ فانهُ يلزم ان يتحرى اصلح الاوقات لاعطاء الدواء وكذا قال غالينوس من بعدهِ وكانا يزعمان ان بحران المريض ياتي في اليوم السابع والرابع عشر والحادي والعشرين وهي الايام التي ينتقل فيها القمر من حال الى حال بل قد جعلا ايضًا جسم الانسان بمنزلة عالم صغير فنزلا القلب فيهِ منزلة الشمس في الافلاك والدماغ منزلة القمر وزعما ان المشتري يتولى الرئة والمريخ يتولى الكبد وزحل يتولى المرّة والزهرة تتولى الكليتين وعطارد يتولى الات التناسل وامورًا مثل هذه لا زال بعضها في اعتقاد جهلاء الاطباء حتى ايامنا هذه ومن الشقاء ايضًا ان الاطباء اليونانيين المذكورين كانوا مثل فلاسفتهم في تشعبهم الى عدة مذاهب بعضها عدو لبعض واختلافهم في اصول العلوم اوصلهم الى عمليات متناقضة فكان الانسان منهم يشتغل مدة حياتهِ في الرد على غيرهِ وتاييد مذهبهِ

واما علماء هذا الفن في زمن قياصرة الرومانيين فكانوا من الماهرين لكنهُ

لم يتقدم تقدماً بيناً من عهد القياصرة الانطونيين الى زمن اول الخلفاء العباسيين ومع ذلك كان ناجحاً بمكتب الاسكندرية وبرع فيهِ غالينوس المقدم ذكرهُ كما برع امينوس سكاس في الفلسفة الافلاطونية الجديدة ثم في اوائل القرن الخامس الف ثيودورس برسيان كتاباً في الطب باللسان اليوناني وترجمهُ الى اللغة اللاتينية وهو (٤) مجلدات الاول في الادوية العامة المسهلة والثاني في ما تُعرَف بهِ الامراض والثالث في الامراض الخاصة بالنساء والرابع في المجربات الطبيعية وبعد ذلك بنحو نصف قرن الف الحكيم ابسيوس الاميدي كتاباً اقتفى فيهِ اثر غالينوس المذكور غير انهُ لم يكن اسير عباراتهِ ومع كون هذا الحكيم كان رئيس شمامسة ومتولي حرس القيصر يوستنيانوس قد يُشمّ من رائحة كتابهِ روائح مذهب افلاطون الجديد لان مؤلفهُ اقتبس منهُ ما تعلمهُ بمكتب الاسكندرية من الاوهام الباطلة الخيالية فكان يقول بتاثير الطلاسم والسحر وبعض اسرارٍ اخرى. وقد ذهب بعض المؤلفين بان اعظم قدماء الاطباء بعد بقراط وغالينوس المذكورين هو اسكندر الترالي صاحب المولفين الشهيرين احدهما في الادوية والثاني رسالة تتعلق بدود الاحشاء لم يتبع فيهما من انواع الدلالات الّا التجربة والاختبار ثم ظهر في القرن السابع بولس الايجيني فلخص مسائل الطب في مختصر ضمنهُ كل الانواع وهو مقبول عند الناس ولاسيما الجزء السابع منهُ الذي تكلم فيهِ على التشريح وهذا الحكيم هو اول من اشتغل من قدماء الاطباء بفن الولادة وفي ايامهِ ظهر اخر شروح كتاب بقراط

ولما كان علم الكيميا التي هي احدى العلوم النظرية فرعاً من فروع الطب سرت اليهِ الاوهام الفاسدة والشعبذات ايضاً قال بعض المؤلفين ان الحكيم استفان الاسكندراني الف كتاباً في القرن السابع المذكور يدَّعي فيهِ ان لهُ قدرة على عمل الذهب وانهُ لا مانع اذاً من ان يقال بان مذهب افلاطون الجديد هو اصل اختراع علم الجبر (لان واضعهُ ديوفانتوس كان من اصحاب هذا المذهب وكان اوّل من اشتغل بتعليم الكميات اللامتناهية ما بين القرن الرابع

والقرن الخامس بعد الميلاد) والكيميا الكاذبة المذكورة (التي يدعي بعملها استفان المذكور)

ثم لما ظهر العرب واستولى المسلمون على الملك استخدم الخلفاء من بني امية وبني العباس اطباء من اليهود والنصارى كجويه اليهودي وبختيشوع وغيرهما وكان من جملتهم يوحنا بن ماسويه وكان طبيبًا بارعًا عند الخليفة هرون الرشيد ومن مولفاتهِ كتاب البرهان وكتاب البصيرة وكتاب الحميات وكتاب الفصد والحجامة وكتاب الجذام وكتاب الاغذية وكتاب المعدة وكتاب في الادوية المسهلة وكان لهُ تلميذ يسمى ابا زيد حنين بن اسحق العبادي الف في زمن الخليفة المامون بن هرون الرشيد المشار اليهِ كتبًا في الطب منها كتاب في الاغذية وكتاب في تدبير الناقهين وكتاب في الادوية المسهلة وذكرهُ بعضهم فقال ان حنين بن اسحق الاسرائيلي كان من اجل علماء الطب في عصرهِ وضع كتابًا في هذه الصناعة نظرًا وعملًا وجعلهُ على طريق السوال والجواب ولذلك يقال لهُ كتاب مسائل حنين واتى بعدهُ ابن اختهِ وتلميذهُ حبيش الاعسم بن الحسن فزاد فيهِ زيادات مهمة ثم انتدب لشرحهِ الشيخ عبد الرحمن بن احمد بن ابي صادق النيسابوري فشرحهُ شرحًا مستوفيًا في مجلدين كبيرين وهو من عمد كتب الطب العربية ثم لما تُرجمت الكتب الفلسفية والطبية وغيرها الى اللغة العربية في زمن الخليفة المامون المشار اليهِ ترجمت كذلك كتب بقراط وجالينوس وغيرهما من الاطباء والكيميا وبين بما هي عليهِ من تلك الاوهام والخرافات التي اشرنا اليها وانكب القوم على مطالعتها وسلك المولفون وفحول الاطباء من الاسلام على موجبها ومنهم الشيخ ابي بكر محمد بن ذكريا الرازي الذي كان ماهرًا في فن الطب والمنطق والهندسة والموسيقى وكان اخذ الطب عن الحكيم ابي الحسن بن زيد الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة فالف في هذه الصناعة كتبًا من جملتها الحاوي وهو نحو (٣٠) مجلدًا . جمعهُ من صحف متفرقة كان اخذها جالينوس الذي تقدم ذكرهُ عن اثار دائرة من كلام بقراط

الذي هو اول من كتب في الطب على ما تقدم ولذلك قالوا بان الطب كان معدوماً فاوجدهُ بقراط وكان ميتاً فاحياهُ جالينوس وكان متفرقاً فجمعهُ الرازي وكان ناقصاً فكملهُ ابن سينا البخاري توفي ابو بكر الرازي في سنة ٣٢٠ للهجرة (سنة ٩٣٢م) بعد ان عمي وكان سبب عماهُ انهُ الف كتاباً لابي صالح منصور بن نصر الساماني في اثبات صناعة الكيميا فقال لهُ منصور كل ما احتجت اليهِ من الالات احضرهُ لك كاملاً حتى تخرج ما ضمنتهُ كتابك الى العمل فلما عجز عنهُ قال لهُ منصور ما اعتقدت ان حكيماً يرضى بتخليد الكذب في كتبٍ ينسبها الى الحكمة ثم حمل السوط على راسهِ وامر ان يضرب بالكتاب على راسهِ ايضاً حتى يتقطع فكان ذلك باعثاً لنزول الماء في عينيهِ وعمي واما ابن سينا البخاري المذكور فانهُ فاق كل من تقدمهُ ولذلك يلقبونهُ بالشيخ الرئيس ومن مؤلفاتهِ كتابهُ الاوسط الذي كان الفهُ في جرجان ثم كتاب القانون وكتاب الشفاء والنجاة توفي سنة ٤٢٨ للهجرة (سنة ١٠٣٦م) وبعدهُ ظهر ابو علي يحيى بن عيسى بن جزلة صاحب كتاب المنهاج الذي رتبهُ على الحروف وجمع فيهِ اسماء الحشائش والعقاقير والادوية توفي سنة ٤٩٣ للهجرة (سنة ١٠٩٩م) ثم ظهر بعدهُ ابو الصلت امية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الاندلسي والف كتابا في الادوية المفردة توفي سنة ٥٢٩ للهجرة (سنة ١١٣٤م) وبعدهُ ظهر الامام فخر الدين الرازي ابو عبد الله محمد بن عمر التيمي البكري الطبرستاني الذي فاق اهل زمانهِ في علم الكلام والمعقولات وعلم الاوائل ولهُ التصانيف المعتبرة في فنونٍ عديدة منها في الطب شرح الكليات للقانون ولهُ غير ذلك مما يطول شرحهُ ومن نظمهِ

المرء ما دام حيًّا يستهان بهِ ويعظم الرزء فيهِ حين يفتقدُ

توفي بمدينة هرات سنة ٦٠٦ للهجرة (سنة ١٢٠٩م) وغيرهم كثيرون اضربنا عن ذكرهم خوف الاطالة

ولما كانت العرب تؤلّف هذه المؤلفات العظيمة وتتدارس العلوم والفنون الهندسية والفلكية والطبية والكيماوية والنباتات والمنطق والطبيعيات وتشتغل

في التقطير وصناعة التخمير وغير ذلك مما سبقت الاشارة اليهِ في الفصل الخامس والفصل الثامن من المقالة الاولى من هذا الكتاب كانت الافرنج سكان الممالك الغربية التي كانوا سلبوها من السلطنة الرومانية غارقين في بحور الجهل والحالة السيئة التي ذكرناها في اخر الفصل الرابع من المقالة المذكورة حتى انهُ من القرن الثامن الى القرن الحادي عشر ما وجد احد من المصنفين عندهم يكون اهلاً لان ينتفع بقراءة كتابهِ ثم ولئن كان بعد الحروب الصليبية التي انتشبت بقصد استخلاص الاراضي المقدسة من سنة ١٠٩٦م ظهرت تحسينات كثيرة في اوروبا واخذ التمدن في الانتشار شيئًا فشيئًا على ما تقدم في الفصل السادس وغيرهِ الى نهاية المقالة المذكورة ايضًا الآن الطب بنوعٍ خصوصي لم يحصل على شيءٍ من التقدم الى اواخر القرن الخامس عشر من التاريخ المسيحي حتى انهُ لما استعار الملك لويس الحادي عشر في سنة ١٤٧١م من جمعية الطب البشري بمدينة باريس مولفات الفخر الرازي المقدم ذكرهُ رهن هذا الملك في نظيرها مقدارًا جسيمًا من امتعتهِ الثمينة ولم يقتنع منهُ بمجرد ذلك بل التزم ان يقدم معهُ كفيلاً من الملتزمين . فاين هذا مما هم عليهِ الآن بعد ان ظهر فن الطباعة في سنة ١٤٣٦م واخذت الكتب في الانتشار وأُنشئت لهذا الفن فضلاً عن غيرهِ المدارس الكبرى والصغرى وتعينت لهُ فحول المدرسين وظهرت العلماء فيهِ الذين نقحوهُ وخلصوهُ من تلك الاوهام والضلالات وكان اول من فاز بهذا الفخر بلاد ايطاليا التي ظهر في قسم نابلي منها مؤلفات بوحنا بلك الادبية التي عارض فيها علم التنجيم وقال ببطلانهِ وكان هو اول من قال بذلك وفي قسم توسكانا ايضًا لورانت الميديشي الذي حكمها في سنة ١٤٧٢م وكان اول من اعتنى بشان هذا العلم ولم يتساهل قط في ما يكون بهِ تهذيبهُ وتخليصهُ من الاوهام الباطلة وترقيه الى درجات الكمال واذا اردنا ان نشرح بالتفصيل عن ما جدَّ بعد ذلك من العلماء المحققين الذين اجتهدوا من كل شعبٍ من شعوب اوروبا وفي كل مملكةٍ من ممالكها ومدرسةٍ من مدارسها في

ترقية هذا الفن وتنقيحهِ وتهذيبهِ بكامل فروعهِ وما اكتشفوهُ واثبتوهُ في مولفاتهم العظيمة التي لاتحصى الى ان اوصلوهُ الى الحالة التي هو عليها الآن لاحتجنا الى مراجعة موءلفاتٍ كثيرة ليس لها وجود في لغتنا العربية والى تاليف كتابٍ مخصوص ذي حجم كبير ايضاً كيف لا وكل من اظهر منهم فائدةً فيهِ غير مسبوقٍ اليها غمرتهُ الخيرات ومدَّت الملوك اياديها اليهِ بالعطايا والتشريفات وحسبك انهُ لما عرف الطبيب جنّر الانكليزي تطعيم الجدري من البقر في سنة ١٧٧٦م انعمت عليهِ الدولة الانكليزية بمبلغ (٣٠) الف ليرا استرلين مع انهُ كان معروفاً قبلهُ تطعيم الجدري من الجدري من سنة ١٧١٣م وما ذاك الاَّ نتيجة الطريق العظيم الذي سلك فيهِ هولاء الافاضل وهو اولاً الصبر والمثابرة على الامر الذي يتصورونهُ الى ان يخرجوهُ من دائرة التصور الى حيز العمل كما وقع لوليم هارفي الطبيب الانكليزي الذي بعد ان تصور بفكرهِ حركة دوران الدم في جسم الانسان منذ سنة ٦٩٨م بقي يرددها في فكرهِ (٣٠) سنة الى ان وثق بها غاية الوثوق واشهرها في سنة ٧٢٨م وبمثل هذه الاناة صاروا وسيلةً ليس الى اتقان صناعه الطب فقط بل والى اكتشاف امورٍ مهمة يدور عليها الآن محور اشغال العالم فان جليبير طبيب ملكة الانكليز اكتشف الكهربائية في سنة ٤٦٧م ثم اخذ العلماء يشتغلون في الفحص عن فوائدها الى ان عملوا التلغراف سنة ٨٤٤م وكذلك بابين الطبيب الفرنساوي فانهُ شرع بعمل الالات البخارية في سنة ٦٩٠م ولم تنجز الاَّ في سنة ١٨٠٧م ثانياً وعساهُ هو الاساس الاصلي التي بنيت عليهِ كل حكمتهم وخلاصتهُ هي اتفاق الكلمة على الوقوف عند ظهور الحق وعدم التشعب في الاراء ورفض الثبات على الغي كما كان يفعل الاقدمون ثم لا ينظمون في سلك ارباب هذه الصناعة الاَّ من يكون قد اتقن الدروس الآتية وهي

اولاً العلوم الطبيعية والكيماوية وسوف ياتي الكلام عليهما وخاصةً علم النباتات الذي هو فرع من الطبيعيات اذ منهُ يحصل الاقراباذين وهو معرفة تركيب

الادوية وشرحها ومنافعها

ثانياً التشريح ومنهُ تحصل معرفة منافع الاعضاء وفن الجراحة الصغرى ويقال لهُ التشريح الخاص وعلم الاربطة والعمليات الجراحية

ثالثاً الباثولوجيا وهو الفن الذي يبحث فيهِ عن جميع الامراض الباطنة ومراكزها وعلاماتها واسبابها ومنهُ تحصل معرفة مزاج المريض وما يجب لهُ من العلاج

رابعاً قانون الصحة وهو علم يبحث فيهِ عن وسائل المحافظة على صحة الاجساد البشرية وغير ذلك مما تتكفل بايضاحهِ كتب الفن

فصل

في تقسيمهم هذه المعارف الى علوم وفنون

ويقسمون جميع هذه المعارف الى علوم وفنون وهما عند العرب في الغالب شيء واحد وانما يفرق بين كون العلم علماً مستقلاً بنفسهِ او الة لغيرهِ

اما العلوم عند الافرنج فهي الادراكات المحققة المذكورة بطريق البراهين كالرياضيات والطبيعيات والالهيات وتقسم الى رياضيات وغيرها

فالرياضيات هي ما مرّت الاشارة اليهِ في قسم التعاليم العامة كالحساب والهندسة والجبر والمقابلة ويقسمونها ايضاً الى خالصة وغير خالصة او مختلطة فالرياضيات الخالصة هي علم الحساب الغباري والهوائي وعلم الجبر والمقابلة وعلم الهندسة ونحو ذلك واما الرياضيات المختلطة فهي علم الحيل وفن تحريك الاثقال ونحوها فتكون الرياضيات الخالصة هي ما تبحث عن الكميات والاشياء

القابلة للزيادة والنقصان والرياضيات المختلطة هي ما يدخلها اشياء خارجية من علم الطبيعة وغيرهِ

وغير الرياضية هي الطبيعيات والالهيات فالطبيعيات هي تاريخ الطبيعيات وعلم الطبيعة وعلم الكيميا وسوف ياتي الكلام على ذلك واما الالهيات فهي ما يسمى علم ما وراء الطبيعيات او ما فوق الطبيعيات والكلام عليهِ يكون في البحث الرابع من هذه المقالة

والفنون هي معرفة صناعة الشيء على حسب قواعد مخصوصة وتنقسم الى فنون عقلية وفنون عملية فالفنون العقلية هي ما يكثر قربها من العلوم مثل الفصاحة والبلاغة والنحو والمنطق والشعر وامثال ذلك مما سبق الكلام عليهِ في البحث الثاني من هذه المقالة وهو المختص بالاداب وكذلك الرسم والنحاتة والموسيقى فان هذه الفنون عقلية لانها تحتاج الى قواعد علمية وقد ذكرت في ما مرّ من هذا القسم الذي نحن بصددهِ الآن واما الفنون العملية فهي الحِرَف المعروفة لا حاجة لايضاحها

الكلام على العلوم الطبيعية

الطبيعيات ما ينسب الى الطبيعة وهو اولاً علم الفلك . ثانياً الكرة الارضية وما يختص بها من متفرعات هذا العلم كالجيولوجيا وتاريخ الطبيعيات المتضمن لعلم المعادن وعلم النباتات وعلم الحيوانات ويقال لهُ علم المواليد الثلاثة وعلم الكيميا واما الطبيعة بخصوصها فهي علم نتعرف منهُ الخواص العامة للاجسام باعتبار كونها كتلاً كما يتضح ذلك من التفاصيل الآتية

الفلك

ويبتدأُ فيهِ اولاً بعلم الهيئة وهي هيئة الدنيا ويقال لهُ بلسان الافرنج

قسمغرافيا والكلام فيهِ يكون على السما وهي الفراغ اللانهائي الذي يظهر للرائي نظير قبوةٍ شبيهة بسطح باطن كرةٍ عظيمة مثبتة فيهِ جميع الاجرام الفلكية ولا يتأتى للعقل ان يتصور لهُ حدًّا فاذًا لانهاية لهُ ولا يُعرف السكون المطلق الَّا لهُ

ومن ابحاث هذا العلم نُعرف هذه الامور وهي ان محور العالم هو خط مستقيم تدور حولهُ بحسب الظاهر جميع الكواكب وان القطبين هما طرفا هذا المحور يقال لاحدهما الشمالي والثاني الجنوبي وان سمت الراس هي نقطة السماء الموضوعة على راس الراصد ونظير السمت او سمت القدم هو ما تحت اقدام الراصد وان الاشياء المتقاطرة اي المتسامتة بالاقدام هي الاماكن والسكان التي توجد في نقطتين من مركز الكرة بينهما غاية البعد ويكونون في نهاية القطر وان النقط الاصلية في الجهات الاربع وهي نقطة الشمال ونقطة الجنوب ونقطة الشروق ونقطة الغروب ونُعرف بالاختصار ايضًا ما هي دائرة الافق ودائرة الاستوا ودائرة الزوال والدائرة الكسوفية والاعتدالان والانقلابان والمداران ومنطقة البروج واسباب اختلاف الليل والنهار التي منها يتحقق دوران الارض على نفسها حول الشمس لا انها هي راكزة والشمس والنجوم دائرة حولها كما كان بزعم الاقدمون

واما علم الفلك الذي يسمونهُ اوسترونوميا فمنهُ يُعرف بان العالم يُطلق عندهم على مجموع الاجرام السماوية المالئة للفضا وان الارض هي جرم من تلك الاجرام وليس للعالم حدٌّ معلوم وان هذه الاجرام السماوية تُقسم باعتبار حركاتها او طبيعتها الى نجوم تسمى بالشموس وكواكب سيارة وتوابع او اقمار او سيارة السيارة وهي نجوم تدور حول الكواكب السيارة ونجوم ذوات اذناب وكلها مثبتة بحسب الظاهر في هذه القبوة العظيمة الشبيهة بباطن سطح كرةٍ على ما ذكرنا

وحيث اعتقد متاخرو الحكماء من الفلاسفة بان الشمس من الكواكب الثابتة وان الارض هي التي تدور فقد قسموا هذه النجوم الى مرتبتين احداهما النجوم الثوابت او الشموس والاخرى الشموس والكواكب التي تدور حولها وتسمى المرتبة

الشمسية او المجموع الشمسي ولذلك جميعهِ تفاصيل طويلة يتكفل هذا العلم بتوضيحها والبحث عن مسافات ابعادها عن بعضها ومقادير اجرامها ونحو ذلك

ومن هذين العلمين تُعرف صحة قياس الزمان الذي الهُ القدماء وقسمهُ القبائل من المتقدمين والمتأخرين الى اقسام كثيرة متنوعة كانت في الغالب جعلية وان الاقرب للصحة والضبط هو ما كان مؤسساً على حركات هذه الاجرام السماوية بواسطة الارصاد الفلكية وتلك الاقسام المستعملة هي القرن والسنة والشهر والاسبوع واليوم والساعة والدقيقة الخ فالقرن (١٠٠) سنة والسنة هي المدة التي تتم الشمس فيها دورة كاملة وتسمى بالسنة المدارية والسنة الارضية وهي (٣٦٥) يوماً و(٥) ساعات و(٤٨) دقيقة و(٧٥) ثانية وتنقص قليلاً عن السنة النجمية اي الدورة الكاملة للارض وهي (٣٦٥) يوماً و(٩) ساعات و(١٠) ثوانٍ وتنقسم السنة الى (١٢) شهراً والشهر الى اسابيع والاسبوع الى ايام واختار قديماً هذا التقسيم السريان والعبرانيون والعرب والهنود والصينيون ووصل الينا منهم وهو الاثر القديم الذي بقي للآن من المعارف الفلكية القديمة ومدة الشهر تختلف من (٢٨) يوماً الى (٣١) والاسبوع (٧) ايام وجعل القدماء لتلك الايام السبعة سبعة كواكب لكل يوم منها كوكب وهي الشمس والقمر والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وزحل واليوم النجمي قدرهُ الاوسط (٢٣) ساعة و(٥٦) دقيقة واليوم الحقيقي وهو اليوم الشمسي او الفلكي (٢٤) ساعة اعتبرهُ بعضهم من الزوال الى الزوال وبعضهم من نصف الليل الى نصف الليل واليوم الظاهري اي الاعتيادي يبتدي من طلوع الشمس وينتهي بغروبها ومدة اليوم الفلكي لم يظهر فيهِ اختلاف محسوس منذ (٢٥٠٠) سنة الى الآن ومدة الساعة لا تتغير اصلاً وتنقسم الى (٦٠) دقيقة والدقيقة الى (٦٠) ثانية والثانية الى (٦٠) ثالثة كما سبقت الاشارة الى ذلك في الكلام على الهندسة

وكان من عدم التدقيق في معرفة حركة الارض السنوية حصول الاختلاف في التاريخ بين الشرقيين والغربيين وذلك ان المصريين القدماء

كانوا حصروا الدوران السنوي في (٣٦٥) يومًا ثم وجد الملك يوليوس قيصر الروماني الذي عاش قبل المسيح بنحو (٥٠) سنة وقد مرّ ذكرهُ ان الدوران السنوي يكمل في (٣٦٥) يومًا و(٦) ساعات فقسم السنة الى شهورٍ على ترتيبها الحاضر ووضع اسمهُ في شهرين منها وهما تموز وآب فانهُ سمى تموز يوليوس وآب اغستوس ولئلا تضيع الست ساعات المذكورة زاد في السنة يوما كاملاً كل سنة رابعة في شهر شباط فتكون تلك السنة (٣٦٦) يومًا وسميت كبيسة وقُبل ذلك في كل العالم ثم بعد ذلك وجدت حقيقة السنة بانها (٣٦٥) يومًا و(٥) ساعات و(٤٨) دقيقة و(٤٩) ثانية اي اقل من سنة القيصر المذكور باحدى عشرة دقيقة واحدى عشرة ثانية فعلى ترتيب قيصر تكتسب السنة يومًا كاملاً في كل (١٣٠) سنة ثم في سنة ١٥٨٢ م اذ كانت السنة قد اكتسبت (١٠) ايام اصلح البابا غريغوريوس الثالث عشر الحساب واسقط من تلك السنة (١٠) ايام بين رابع تشرين الاول وخامس عشرة اعني ارّخ اليوم الخامس خامس عشر وقُبل هذا الاصلاح في اوروبا ولم يُقبل في الشرق لاسبابٍ سوف ياتي ذكرها ومنذ زمان قصير الى الآن لم يزل الشرقيون ماشين على الحساب القديم فاكتسبت سنتهم (١٢) يومًا واما الغربيون فاسقطوا اليوم الذي اكتسبتهُ السنة من زمان البابا غريغوريوس في سنة ١٧٥٢ م ثم حسبوا سنة ١٨٠٠ م التي كانت كبيسة بمقتضى الترتيب الجاري اعتيادية اي بدون زيادة يوم الكبس واعتمدوا على ان يحسبوا سنة ١٩٠٠ م كذلك وكل سنة واقعة الرابعة مئة بعد ذلك اعتيادية ايضًا وعلى هذا الترتيب لا تتغير السنة يومًا في كل (٥٠٠٠) سنة واما الشرقيون فان بقوا على هذا الحساب الحاضر فعن قليل يكتسبون يومًا اخر وبعد (١٣٠) سنة كذلك يومًا اخر وهلمّ جرًّا

تنبيه

الشرقيون يسلكون في كل عملياتهم على مقتضى الحساب الغربي ما عدا

امورهم الدينية فقط والسبب في ذلك هو ارتباط الكيكلس الكنائسي عندهم بحيث يقع عيد الفصح في وقتٍ من شانهِ ان لا يكون الأ بعد فصح اليهود المربوط حسابهُ عندهم بحسب التوراة على نسق حساب السنة القديمة التي يحسبها اليهود حتى الآن (١٢) شهرًا قمريًّا ويضيفون اليها في كل ثلاث سنوات شهرًا فيجعلون اذار في السنة الرابعة اذاربن اي شهرين قمريين يسمونهما بهذا الاسم كانهما شهر واحد لاجل موافقة السنة الشمسية وهكذا ايضًا كانت تفعل العرب مدة طويلة قبل ظهور الاسلام

الكرة الارضية

قد ذكرنا في ما مر اعتبار علماء الفلك الارض جرمًا من تلك الاجرام السماوية المالئة للفضا وقد عدّوها نجمةً بجملة النجوم السيارة حول الشمس بعد ان كان القدماء في الاعصر السالفة يعتبرونها سطحًا كبيرًا عريضًا مبسوطًا محاطًا من جميع جهاتهِ بالبحر المحيط الذي لا حدّ لهُ ولا نهاية وذلك السطح مغطى بالسماء التي هي قبوة عظيمة وكانوا يظنون ان الكواكب والشمس والقمر تغيب في ذلك البحر الذي لا شاطي لهُ غير انهُ لما لم تتفق اخيرًا الفلاسفة على هذا الراي ووجد بينهم من عرف الشكل الصحيح لتلك الكرة ووقف على الموضع الذي عينتهُ لها القدرة الالهة من الفضاء العميق اثبتوا ما فتح الله عليهِ بهِ فصار هو المعوّل عليهِ في هذه الازمنة اذ اقام على ذلك المتاخرون من الادلة والبراهين ما لا التباس فيهِ ولا ريب يدانيهِ

وكذلك قسموا سطحها بما انقسمت بهِ الكرة السماوية من الدوائر واستعملوها كلها لقياس الارض فجعلوا دوائرها الموازية لدائرة الاستوا وتمتد الى الاقطاب (١٨٠) دائرة اما دوائرها التي تكون اعمدة على دائرة الاستوا وتمرّ بالقطبين فتقسمها الى (٣٦٠) جزءًا متساوية وهكذا الخ

واثبتوا ايضًا مماثلتها لغيرها من الكواكب السيارة بحركتين احداهما رحوية على محورها والثانية انتقالية حول الشمس فالاولى هي التي نقطعها في (٢٤) ساعة وتسمى بالحركة اليومية والثانية نقطعها في (٣٦٥) دورة وربع حول الشمس وتسمى بالحركة السنوية وهما اللتان سبق الكلام عليهما في الفلك

ثم قسموا ايضًا المواد المختلفة التي تتركب منها هذه الكرة على اربعة احوال وهي اجرام جامدة واجرام مائعة واجرام هوائية وسوائل غير قابلة للوزن فالجامدة هي التي يتألف منها الجزء الجامد من الارض والسائلة تغطي معظم ذلك الجزء اذ تشغل المواضع المنخفضة من سطح الارض وتترك الاجزاء المرتفعة مكشوفةً فتنشأ عن ذلك البرور والجزائر . والهوائية تحيط بالاجرام الجامدة والمائعة . واما الغير القابلة للوزن فهي التي يعسر ضبطها وحفظها في الةٍ من الالات المخترعة من البشر كالضوء والحرارة والكهربائية ثم تكلموا على كل من هذه الاحوال بحسب ما وصلت اليهِ اجتهاداتهم من التحقيقات النظرية والعقلية عن اوضاعهِ وصفاتهِ وتاثيراتهِ وموثراتهِ واسبابهِ ومسبباتهِ في فصل معين تحت اسم مخصوص كما يتضح ذلك مما ياتي

١ أَأَيدوغرافيا

ومعناهُ شرح الجو الهوائي وهو يحتوي على تعريف الجو المسمى ايضًا بكرة الهواء ووصف الغبار الجويّ والهواء والابخرة الجوية والاثار العلوية المسماة بالكائنات الجوية ومنها المائية كالضباب والسحاب والندى والطل والصقيع والمطر والثلج والبَرَد بفتح الراء . ومنها الضوئيّة كالفجر والشفق وضو الشروق وقوس قُزَح والسراب والاكاليل اي الهالات والشموس المتخيلة والاقمار المتخيلة . ومنها النارية كالكهربائية الجوية والصاعقة والرعد والفجر الشمالي والضاء

المنطقي والنيران الطيارة والشهب الساقطة والنار المسماة عندهم بنار سنتلم والاكر النارية والحجارة الساقطة من الجو . والرياح ومن انواعها المنتظمة والدورية والنسمات والمختلفة والعواصف والتلاقيح والقواصف والزوابع

٢ ايدروغرافيا

ومعناهُ شرح المياه وهو يشتمل على تعريف الماء ووصف البخار حالة كونهِ غازاً والماء المائع اي السائل والينابيع والجداول والغدران والسيول والنهيرات والانهار والحياض والربوات وفرش النهيرات والانهار ومها بطها والمساقط والشلالات وفيضان المياه ومصب النهيرات والانهار وانواع البحيرات ومياه الحفر المعدنية ومنها السميّة والعدنية والصوانية والمفلسة للاجسام التي تلامسها ودرجة حرارة المياه العدنية والبحر المحيط المسمى اوقيانوس وعمقهُ وطبيعة العمق وشكالهُ ومرارة المحيط وملوحتهُ وحرارتهُ وفصفوريتهُ ولون مياههِ ومساواة سطحهِ وحركاتهُ والتيارات العمومية والخصوصية والمويجات والامواج والصفائح الموجية وعمق التيارات وسرعتها وانواعها ومنها التيارات الاستوائيّة والمخصوصة والكوكبيّة اي المد والجزر واقسام البحر المحيط والماء الجامد والجليد والثلوج الدائمة والكتل الجليدية وسقوط الهدفات الثلجية والجليد القطبي وتناقص المياه

٣ الجيولوجيا

وهو لفظ يوناني مركب من جي اي ارض ولوغوس اي كلام والمعنى كلام عن الارض وهو علم يبحث فيهِ عن طبقات الارض واسباب هيئتها الطبيعية لكن

ليس عن الظواهر العامّة الناتجة من فعل الاجسام في بعضها ولا عن النواميس الطبيعية العامّة المستولية على تلك الظواهر اذ ان ذلك يتكفل بايضاحهِ علم الطبيعة بخصوصهِ الذي سوف نجعلهُ خاتمة كلامنا في هذا القسم بل من وجوه أخرى تسموها الى جزئين الاول يسمونهُ جيوغنوزيا اعني معرفة الجواهر الارضية وهو يشرح الارض شرحًا طبيعيًا يعتبرونهُ انهُ هو الجيولوجيا الصحيحة الحقيقية وغايتهُ معرفة القشرة الظاهرة الرقيقة الارضية التي يمكنهم الوصول اليها اذا ارادوا البحث عنها . والثاني يسمونهُ جيولوجيا حدثية لكونهِ يشتمل على نتائج قريبة للعقل ماخوذة من اشياء مرصودة في اصل الارض او في تكوين القشرة الظاهرة المذكورة وفي الاسباب المختلفة التي احدثت فيها تنوعاتٍ متتابعة

فالاول الذي هو الجيوغنوزيا يشتمل على وصف الارض وطبقاتها وهي الاراضي الاولية والمتوسطة والثانوية والثالثية والجرفية والنارية والجبال وعلو الرئيسة منها عن مساواة المحيط وما كان منها باوروبا وامريكا واسيا وافريقية وبعض طرقات جبال اوروبا وفيهِ يذكر ايضًا علو بعض محالٍ مسكونة من الكرة وارتفاع الحد الاسفل للثلج الدائم في عروض مختلفة وعلو بعض الابنية وكذلك الكلام على الاودية والسهول وتقسيم الارض والاقطار والدوائر المستوية في الحرارة والدوائر المتساوية في الشتاء والدوائر المتوازية في الصيف وتقسيم جغرافي للكائنات الالية كالحيوانات والنباتات والبراكين اي جبال النار والاراضي المحترقة او الملتهبة والزلازل والكائنات الحفرية والحالة التي توجد عليها هذه الكائنات وطبيعة الارض التي تحويها واقسام الكائنات المذكورة واجناسها ومنها النباتات الحفرية والحيوانات المسماة عندهم بالزووفيت اعني النباتية الحيوانية والحيوانات المفصلية والرخوة والفقارية (حيث ان تقسيم هذه الكائنات الالية هنا هو على نوع جغرافي كما ذكرنا فلا يستحيط بعلم التاريخ الطبيعي المختص بالمواليد الثلثة الذي سوف نتكلم عليهِ في ما ياتي بعد استيفاء الكلام على ما نحن بصددهِ)

واما الثاني الذي هو الجيوجينيا فقد عرفوهُ بانهُ علم تعرف بهِ بنية الكرة وتركبها وما اعتراها من التغييرات من ابتداء وجودها الى الآن وما يعتريها من ذلك في ما لا يزال وبهِ تعرف ايضًا مواضع المواد النافعة الموجودة في طبقاتها وطرق كشف تلك المواد بلا واسطة وبالجملة فهو علم تعرف بهِ الجبال والمعادن والمحاجر ومحصولاتها بلا واسطة علمٍ اخر

وهو يشتمل اولاً على اراء الباحثين في عمر الارض وما ذهب اليهِ بعضهم بكونها ازلية وما يعتقدهُ الاكثرون بحسب ما يستنتج من الكتب الدينية وطريقة ترجيح هذا الاخير بواسطة اعتبار الستة ايام المذكورة في التوراة لخلق الارض ادوارًا غير معروفة مقاديرها

ثانيًا يبين القواعد الاصلية التي يتخذونها اساسًا لهذا الجزء وهي ثنتان الاولى الحرارة المركزية وما يقيمونهُ من الادلة على وجودها وما يخطر لهم من الاراء عن اسبابها والثانية النتوات الارضية كالجبال ونحوها وما يرونهُ سببًا لها وما يظنونهُ من ازمنة حدوثها بمقتضى الادلة العقلية التي عولوا عليها

ثالثًا يقسم عمر الكرة من تكونها الاولي الى هذا الزمن ادوارًا اكتفوا منها بما بينتهُ الابحاث التاريخية من انقسام عمرها انقسامًا طبيعيًا مؤسسًا على حوادث مينرالوجيا اي معدنية وزيولوجيا اي حيوانية الى اربعة ادوار. اولها الزمن السابق على وجود الاجسام النامية وهو زمن تكون الاراضي الاولى. الثاني الزمن الذي فيهِ سكنت الحيوانات البحر فقط وانتشر النبات وهو زمن الاراضي الوسطى والاراضي الثانوية. الثالث الزمن الذي ظهر فيهِ الحيوان المربع القوائم وسكنت حيوانات اخر البر والمياه العذبة وهو زمن الاراضي الثالثة. الرابع الزمن الذي ظهر فيهِ الادمي وبقية الحيوانات البرية والبحرية ودام على الكرة ويعتبرون هذا الزمن زمن الاراضي الطوفانية والسابقة الطوفانية

رابعًا يقيم الادلة على الطوفان العام في الدور الرابع الذي نحن فيهِ من الرواسب العظيمة من الحصى الاستداري الموجود في جميع جهات الارض ومن

الحجارة الضالة وفي كتل حجرية مفصولة عن امكنتها وموجودة في السهول على ابعادٍ عظيمة من جبالها الاصلية وكذلك الاتجاه العام الذي في اغلب الاراضي ذات الحصى المستديرة والحجارة الضالة المذكورة وغير ذلك مما لا تسعنا تفاصيله في هذا المختصر غير انهم يجعلون لهذا الطوفان اسبابًا طبيعية كمصادمة احد ذوات الذنب للارض بالزوابع او غير ذلك ولا يخفى ما هنالك من عدم المنافاة لقصد الباري تعالى في الغاية المطلوبة من وقوع هذا الحادث العظيم اذ انه على اية صورة وقع وباي سببٍ حصل فلا تكون تلك الصورة ولا ذلك السبب الا مسخرين بامرهِ تعالى لانفاذ احكامهِ الالهية وكذلك يدّعون بانهم لا يقدرون ان يثبتوا ظهور الادمي على سطح الكرة قبل الطوفان المذكور حيث لم يتحقق عندهم وجود انسان حفري في طبقة من طبقات الارض حتى ولا عثروا على اثار صنعةٍ من صنائعهِ ويستنتجون من ذلك بان الادمي اما انهُ لم يكن موجودًا قبل الطوفان واما ان تكون بقاياهُ لا زالت مخبوة في جزءٍ من الارض مغطى الآن بالبحور او في جزءٍ من الاجزاء التي لم يتمكن الطبيعيون من التفتيش فيها

اما وجه مطابقة ما ذكروهُ من الحوادث على ما هو مذكور في سفر التكوين فهو اولاً ان اليوم الاول والثاني من الايام الستة اللذين كانا لخلق الدنيا وترتيب المادة اي خلق الكرة مجردة عن الاجسام الآلية هما بلا شك الدور الاول الخاص لتكون الاراضي الاولى . ثانيًا ان اليوم الثالث الذي كان لحسر المياه وتجمعها وتكوين الاشجار هو ايضًا في الحقيقة اول الزمن الثاني المتميزة اراضيهِ بالدفائن النباتية . ثالثًا ان اليوم الرابع كان لخلق الشمس والقمر وبقية الافلاك غير انهُ لما كان من جملة ما ذكر في سفر التكوين خلقُ اللهِ النورَ في اليوم الاول فكان بعضهم يرون هذا بعين الانتقاد لما يزعمونهُ فيهِ من التناقض اما الآن فقد عدلوا عن ذلك حيث تحقق عندهم بان النور ليس هو ناشئًا عن الكواكب ولا تعلق لهُ بها انما هو في الجو كالسيال الكهربائي في جميع الاجسام يحتاج في ظهورهِ لسببٍ كما يحتاج السيال المذكور ولا سبب لظهورهِ الا الاجسام المنيرة فان فيها

خاصية اظهارهِ لنا لكن في وسط الجو الصافي فاذًا حيث كان النور خاصًا بالجو امكن ان يكون خلقًا اخر غير خلق الكواكب وجدَ في اول يوم كما تبين في السفر المذكور اما المراد بخلق الكواكب فهو كشفها من سطح الارض وظهور اضاءتها ولا بد ان ذلك كان بعد صفاء الجو ما كان متلبدًا فيهِ من الابخرة المائية والقارية والمعدنية المختلطة ببعضها (وقد عُبّر عن هذه الحالة في التوراة بظلمةٍ كانت على وجه الغمر) ومن المعلوم ان صفاءهُ كان تدريجًا ولم يقرب من الكمال الاّ بعد تكوّن الاراضي الاولى والمتوسطة فيكون ذلك وقع في اليوم الرابع الذي ذكر عنهُ ايضًا ان فيهِ كان خلق السمك وجميع الحيوانات البحرية وبوّيدءُ حوادث الزمن الثاني عندهم اذ ان اراضيهُ لا تحتوي الاّ على دفائن نباتية وحيوانية بحرية.

رابعًا ان اليوم الخامس قد كان لخلق الحيوانات البرية وهو يوافق الدور الثاني المتميزة اراضيهِ باثار هذه الانواع وكذلك اليوم السادس كان لخلق الانسان الذي تتوجت بخلقهِ خلقة ما تقدمهُ من سائر انواع المخلوقات ولا ريب ان البحث في القشرة العليا للكرة يثبت ذلك اذ لا يوجد فيها الاّ اثارهُ ولم تستتر بتكوين اخر ولا شك ان هذه اراضي الدور الرابع الذي نحن فيهِ

ثم لا بأس ان نورد هنا ما ذيل بهِ هذه المطابقة المعلم بوبيه العالم الشهير صاحب الاصل الذي لخصنا منهُ هذا الجزء الذي نحن بصددهِ اذ يقول وهذا غريب من هذا الكتاب (اعني التوراة) حيث احتوى القليل من اسطرهِ على النتائج المهمة التي لا يمكن تحصيلها الاّ بعد المعارف والعلوم الموجودة الآن مع انها لم تكن موجودة عند وجودهِ وحيث ان هذه النتائج التي حكمت جميع الفلاسفة بتضاربها وبكونها بهتانًا وجدت موافقة لحوادث لم تكن معلومةً لاهل القرن الذي وجد فيهِ هذا الكتاب بل لم تخطر لهم ببال واستمرت مجهولة الى هذا الزمن وكان هذا الكتاب الفائق في عصرهِ بالنظر لهذا العلم هو فائق ايضًا بالنظر الى ما فيهِ من الاخلاق والفلسفة والطبيعة فيلزم الشخص التسليم بان هذا الكتاب فائق نوع فوقان لا تصل اليهِ معرفة البشر ولا انظارهم

ثم ان هذا المؤلف ينهي مولفهُ المذكور بالكلام على ما يتعلق بصورة الكرة في حال سيولتها وما كانت عليهِ في كل دورٍ من ادوارها ويبين العلامات المميزة لاراضي تلك الادوار وما يوجد فيهما من المواد النافعة في الفنون والصنائع وطريقة فلاحتها وانواع محاصيلها فعلى من اراد الاطلاع على ذلك بتفاصيلهِ ان يراجع مؤلفهُ او غيرهُ من الكتب الجميلة المولفة في هذا العلم النفيس

علم التاريخ الطبيعي

وهو علم يبحث فيهِ عن المواليد الثلثة وهي المعدنيات والنباتات والحيوانات ومعرفة هذه الموضوعات وما وضع فيها من الاسرار والدقائق الغريبة وما بين بعضها بعض من المناسبات وما يطرأ عليها من الكون والفساد وغير ذلك من الامور التي تظهر للعالم قدرة الخالق وسموّ حكمتهِ الباهرة يتوقف عليها من الفوائد للجنس البشري ما سوف ياتي الكلام عليهِ في محلهِ ولذلك كان يُعتنى في قصبات الممالك المتمدنة وكراسيها بايجاد بساتين النباتات وهي بساتين سلطانية فيها كل ما تعرفهُ البشر من المعادن والنباتات والحيوانات فالمعادن تكون في اروقة فيها مملوة بالمعادن النفيسة وسائر الاحجار سواء كانت غشيمة او طبيعية ليقابل الدارسون في علم المعادن ما يطالعونهُ في كتبهم عليها وكذلك يزرع في اراضيها كل النباتات الاهلية التي يعالجون تطبعها عندهم بقوة الصناعة والحكمة فيطالع ايضاً طلبة العقاقير والحشائش دروسهم ويقابلون ما في الكتاب على ما يرونهُ وياخذون نوعاً من كل صنف من الحشائش ويضعونهُ في نحو ورقة ويكتبون اسمهُ وخاصيتهُ وهكذا ايضاً يوجد في تلك البساتين محلات حاوية على جميع مراتب الحيوانات غريبة او اهلية بريّة او وحشية كالدب الابيض والسبع والضبع والنمورة والسنانير الغريبة والابل والجواميس وغنم بلاد التبت

وزرافة سنار وفيلة الهند وغزلان البربر والايل وبقر الوحش وانواع القردة والثعالب وجميع انواع الطيور المعروفة للافرنج وكل ما يراهُ الناظر حيًّا في هذا البستان يراهُ كذلك ميتًا ايضًا محشوًّا بالتبن على صورتهِ وهو حي كالبوّ الذي كانت تعملهُ العرب للناقة اذا مات ولدها لتراهُ وتدرّ عليهِ وكثير من هذه الحيوانات لايمكن ان توجد لهُ اسماء في اللغة العربية كحيوانات بلاد اميريكا ونباتاتها واشجارها وكلها موضوعة في هذه البساتين كالعينة او الانموذج من كل شيء ومكتوب على كل منها اسمهُ

فالمعدنيات ويقال لهذا العلم بلغتهم المينارولوجي يبحث فيهِ عن المركب التام الذي لم يتحقق نموهُ ويسمى بالمعدن ايضًا وقيل المعدني ما لا نفس لهُ من المركبات وقد قسموا هذه المعدنيات الى ارواح كالنوشادر والزرنيخ واجساد كالذهب والفضة واحجار كالياقوت والماس والغاية المقصودة من هذا العلم معرفة فوائد المعادن وكشفها واستخراجها للحصول على منافعها

والنباتات ويقولون لهذا العلم بلغتهم البوتانيك يبحث فيهِ عن كل مركب تام ذي نموٍّ غير متحقق الحس والحركة الارادية وقيل هو جسم مركب لهُ صورة نوعية اثرها المتيقن الشامل لانواعها التنمية والتغذية مع حفظ التركيب وقيل النبات كمال اول لجسم طبعي آلي من جهة ما يتولد ويزيد ويغتذي وغايتهُ معرفة حقيقة النباتات وطوائفها وخاصياتها ومنابتها وهذا العلم هو غير علم الزراعة الذي سبق الكلام عليهِ

والحيوانات جمع حيوان نقيض الموتان سمي بهِ جنس الحي مما بهِ حيوة وحس كالانسان والفرس ونحوهِ بخلاف ما بهِ حيوة فقط دون الحس كالشجر فانهُ داخل في جنس الحي دون الحيوان ويُعرَّف الحيوان بانهُ جسم حي نامٍ حساس متحرك بالارادة والبحث في هذا العلم كالبحث في علمي المعادن

والنباتات من جهة الانواع والاشكال والصفات وكيفية الوجود ان كان على سطح الارض او في جوفها وكيفية النمو والحيوة الى غير ذلك واقل ما يمكن تحصيله من فوائد هذا العلم هو ان جميع انواع الحيوانات من البعوضة الى الفيل في طبقة متقاربة من التعقل والادراك ما خلا الانسان وربما كان الصغير منها اشد ادراكاً من الكبير كالنمل مثلاً الذي يجمع في الصيف من الحب ذخيرةً لفصل الشتاء ويقرض ذلك الحب لئلا ينبت من الرطوبة ويفوتهُ الانتفاع بهِ وهذا لا يدركهُ الفيل وكلها مخلوقة لخدمة الانسان تحت طوائف معلومة وكل طائفة منها تنضم الى بعضها منفردة بنفسها ولكل قبيلةٍ كبير منها تنقاد اليهِ كما في النحلة التي يقال لها ملك النحل والصل الذي يقال لهُ ملك الحيات ونحو ذلك وكلها يولد معها الادراك الذي وهبها اياهُ الخالق لحفظ حياتها وتدبير معاشها فلا تاكل ما يضرها ولا تلقي بانفسها من مكان شاهق وتفرّ مما يؤذيها خلافاً للانسان الذي هو في التركيب نظيرها ولا ينفصل عنها الاّ بقوة العقل والنطق التي لا توجد في غيرهِ على الحالة التي توجد فيهِ فانهُ في حال طفوليتهِ لا يدرك شيئًا سوى ثدى امهِ ثم تنمو قواهُ العقلية متتابعة في ازمنةٍ مختلفة كالقوة الحافظة في سن الصبوة والشجاعة والنخوة في سن الشبوبية والقوة الحاكمة في الكهولة والذاكرة في الشيخوخة

علم الكيميا

يبحث فيهِ عن معرفة تركيب الاجسام وحلها لا عمل الذهب والفضة من معادن اخر كالقصدير والرصاص كما يزعم البعض من اصحاب الخرافات فان هذا لا تعتقدهُ الافرنج اصلاً وهذا العلم هو الاساس المتين لجميع العلوم والصنائع والمهن حتى لا يدعي احد عالمًا ولا صانعًا ما لم تكن عندهُ معرفة بهِ ولا سيما الاطبا فانهم احوج الناس اليهِ ومنهُ تحصل صناعة الورق وعمل البارود والسكر وما

شاكل ذلك . ويقال ان اصل هذا العلم من مصر وعنها اخذ اليونانيون سنة ٦٠٠ ق م واقدم مولف تكلم عن هذا العلم هو جولبوس ماترنيوس فرنيكوس كان في زمن قسطنطين الملك باني القسطنطينية سنة ٣٤٠ ب م

واما علم الطبيعة بخصوصه فهو علم تتعرف منه الخواص العامة للاجسام باعتبار كونها كتلاً والحركات الميكانيكية التي تفعلها تلك الاجسام في بعضها وتعيين النواميس التي بواسطتها تتفاعل الاجسام في بعضها قال بعض المؤلفين ان هذا العلم عند الافرنج ليس من علم الطبيعة المذكورة في كتب الاقدمين وهو يقسم خواص الجسم الى رتبتين خواص عامة لجميع الاجسام وخواص مختصة ببعضها وتسمى بالخواص الخاصة

المرتبة الاولى

هي امتداد الجسم وقبوله للانقسام وتشكله وعدم تداخله وكونه ذا مسام وقبوله للارتخاء والتفرق وللتكاثف والتجمع والضغط والانحصار والتحول واللين والمط والانبساط والحركة والسكون

فالخاصة الاولى التي هي امتداد الجسم يراد بها اشتماله على الابعاد الثلاثة وهي الطول والعرض والعمق او الارتفاع فكل جسم أيًا كان ولو صغيرًا لا بد من احتوائه على هذه الابعاد الثلاثة

والخاصة الثانية التي هي قبول الانقسام يراد بها التجزي الى اجزاء اذ انه بواسطة الالات يمكن تقسيم كل الاجسام ولو الذرات الى اجزاء صغيرة جدًا وهذه الاجزاء الى اجزاء اخر وهلم جرًا ولو في الوهم ويستدل على ذلك بالروائح مثلاً فان حبة المسك الموضوعة في مكان يتجدد فيه الهواء كل يوم يشم لها رائحة قوية مدة عشر سنوات وقد صح ايضًا بالتجربة ان اوقية الذهب الفرنساوية الموضوعة

في المسلكة لتصنع سلكًا كالمسمى بالقصب يمكن قسمتها وتجزئتها الى (٦٧) مليونًا و(١١٦) الفًا من الاجزاء التي كل جزء منها قدر خط فرنساوي والخط هو جزء واحد من اثني عشر جزءًا من اصبع ومما يدل ايضًا على تجزئة الاشياء التي يتوهم الانسان عدم تجزئها ما يظهر بواسطة آلة نظر الاشياء الدقيقة المسماة بالميكروسكوب يعني النظارة المكبرة من ان مياه النزز تشتمل على نباتات وحيوانات دقيقة اصغر من حبوب الرمل بمليون وهذه الحيوانات الصغيرة بهذا المقدار من الصغر لها من الاعضاء ما هو موجود في غيرها من الحيوان كالمعدة والكبد والطحال والقلب والدم والعظام الصغيرة وغيرها وكذلك النباتات الصغيرة التي هي اصغر من حبوب الرمل بمليون فيها ما في غيرها من النباتات كالزهر والرائحة وغير ذلك فهذه المواد تدرك بالحواس قسمتها ولئن كان العقل يستغرب ذلك

الخاصة الثالثة التشكل يعني كل جسمٍ لهُ شكل ايًا ما كان مثلاً كل جسم ينتهي بسطوح وهذه السطوح مرتبة على نوعٍ من التناسب بترتيب خاص هو شكلها فكل جسم لهُ شكل وكل الاجسام متشكلة

الخاصة الرابعة عدم التداخل والكمون وهذه الصفة هي التمانع بين عدة اجسام والتنافر بينها من شغلِ مكان واحد في زمان واحد فلا يتأتى لعدة اجسام ان تشغل في زمان واحد مكانًا واحدًا بل بعضها يطرد الآخر

الخاصة الخامسة صفة المساميّة اي كون كل جسم لهُ مسام يعني وجود الفراغ بين اجزاء الجسم مثل مسام البدن ومنافذهِ فمن الاجسام ما تكون مسامهُ ظاهرة ومنها ما تكون مسامهُ خفية غير ممكنة الروية وقد صح بالتجربة ان كل جسم ايًا ما كان لهُ مسام وتخلل بين اجزائهِ ومنافذ قال بعض الحكما ان جزءًا عظيمًا من الاغذية مائعة او جامدة يخرج من مسام البدن عرقًا غير محسوس وبعضهم عيّن ذلك الجزء فجعلهُ خمسة اثمان الاغذية وقال بعضهم ان البيض يخرج من قشرهِ ابخرة متصاعدة من اجزائهِ البياضية فتضيع صفتهُ فينفسد بالكلية

واذا دُهن ظاهر قشر البيض بصمغ مكي محلل في العرق بان طلي ظاهر القشرة براقٍ من هذا الصمغ فان البيضة تمكث مدة سنة كاملة طرية لا تغير فيها ولا فساد اصلاً ومما يدل على ذلك ايضاً ان حجر الماس الذي هو اكثف الاحجار واصلبها واعظمها تجمعاً واقلها تفرقاً وتخلخلاً يكون بالضرورة اقلها مساماً ومع ذلك لابد له من هذه الصفة لان شفافيته اللامعة تدل على قيام المسامية به لان اللمعان انما يكون بدخول النور فيه بسائر جهاته فلا شك في وجود المسام فيه وقالوا ان الجسم البشري المتوسط تكون مساحة سطحه (١٤) قدماً مربعاً وفي كل قدم (١٤٤) مليوناً من المسام فتكون جملة المسام الموجودة في الجسم المذكور بليونين اي الفي الف مليون وستة عشر مليوناً

الخاصة السادسة قبول التفرّق يعني قبول الاجسام للزيادة وكبر الحجم بالحرّ والهواء دائماً تعتريه هذه الخاصة العامة

الخاصة السابعة قبول التجمع والتكاثف وهي تصاغر الاجسام باعمال البرد وذلك لان الحرارة المفرّقة لاجزائها اذا ذهبت رجعت الاجزاء الى الحالة الاصلية وانضمت الى بعضها

الخاصة الثامنة قبول الضغط والانحصار والانقباض عند الكبس والعصر وتحويل الجسم الى اصغر ما يمكن وذلك ان الاجسام جميعاً ذات مسام كما سلف فهي متفرقة الاجزاء يعني يوجد بين اجزائها فراغ متخلل فاذا جُمعت اجزاؤها وقربت بعضها من بعض فان حجمها يصغر فجميع الاجسام حينئذٍ قابلة للعصر والتداخل يعني التقارب بين اجزائها بالكبس والحصر ولكن منها ما يكون قبوله للانضمام بالحصر هين جدًّا مثل السيالات والمائعات بل بعضهم يقول ان هذه الخاصة من خواص الجوامد فقط

الخاصة التاسعة التحول والرجوع اي اللين وهي ان الاجسام التي تُعصر وتكبس تحاول دائماً الرجوع الى حالتها الاصلية مثل البولاد مثلاً فانه متحول ليّن مرن اذا لويته يميل الى الرجوع الى الحالة الاولية فمن الاجسام ما تكون فيه

هذه الصفة قوية ظاهرة مثل العاج ومنها ما قبولهُ لذلك هين غير محسوس

الخاصة العاشرة قبول الانبساط والامتطاط والتفرُّق بغير الحرارة وهي تفرُّق اجزاء الجسم بذهاب الموانع او بنفسها فهي ضد انحصارها بالكبس مثل تطريق المعادن وانفراشها

الخاصة الحادية عشرة قبول الحركة والسكون اما قبول الحركة فهو صلاحية كل جسم لان ينقل من مكان الى اخر بواسطة قوة كافية في زحزحتهِ من محلهِ واما السكون فهو راحة الجسم على حالتهِ

ولفظ الحركة المطلق لا يقال الاَّ لحركة الاجسام المتحركة في المسافة بدون ان تقابل باجسامٍ اخر ولا يعرف جسم لهُ هذه الحركة . وما يُقال في الحركة يُقال مثلهُ ايضًا في السكون فان السكون النسبي مشاهد كثيرًا اذ من الاجسام ما هو ساكن بالنسبة للاجسام المتحركة يقينًا كصاري السفينة مثلاً فانهُ ساكن بالنسبة للسفينة ولكنهُ متحرك بالنسبة الى البحر الذي هو جارٍ فيهِ وكالشجر فانهُ ساكن بالنسبة الى الارض متحرك بالنسبة الى الشمس فان الارض هي التي تدور حول الشمس واما السكون المطلق فلا يعلم وجودهُ في العالم فان جميع الاماكن وجميع الكرات السماوية مشاهد تحركها ولا يُعرَف السكون المطلق الاَّ للفراغ اللانهائي فقط

ثم ان التحرك انواع اذ منهُ الحركة المطلقة والحركة النسبية والحركة البسيطة والحركة المركبة والحركة المستقيمة والحركة المنحنية وحركة الانعكاس وحركة التنقل والانحراف

فالحركة المطلقة هي تغيير موضع الجسم بالنسبة لسائر الاجسام القريبة منهُ

والحركة النسبية هي تغيير وضع الجسم بالنسبة لبعضها لا للجميع

والحركة البسيطة هي حركة الجسم المهتدي الى جهةٍ واحدة بقوة واحدة او متعددة مثل حركة السفينة بمجرد التيار

والحركة المركبة هي تحرك الجسم بعدة محركات فعالة فيهِ في زمن واحد والى

جهاتٍ مختلفة مثل حركة السفينة بالماء والقلوع والمجاديف اذا تعددت جهة عمل كلٍ من هذه الاشياء

والحركة المستقيمة هي الحركة صوب خط مستقيم

والحركة المنحنية او المعوجة هي ما تقع صوب خطٍ منحنٍ

والحركة المنعكسة او حركة الانعكاس هي حركة جسمٍ يصادم مانعًا قويًا في طريقهِ فيرجع بعد المصادمة ويعود وينعكس

والحركة التنقلية او الانحرافية هي حركة الجسم الذي يتغير سيرهُ بسبب عبورهِ في جسمين سيالين مختلفي التكاثف ومرورهُ على احدهما بعد مرورهِ على الآخر

ثم ان للحركة البسيطة التي مر ذكرها ثلاثة اصول مطردة الوقوع الاصل الاول ان كل جسمٍ اخذ في التحرك صوب جهةٍ مع درجة من السرعة فانهُ يجب ان يستمر على حركتهِ في هذه الجهة وعلى هذه الدرجة بشرط ان لا يتغير حالهُ بحدوث اسباب اخرى الثاني التغييرات التي تحصل للجسم هي دائمًا على التناسب مع الاسباب المحدثة لها يعني ان التغيير على قدر العلة المحصلة لهُ الثالث الدفع دائمًا مساوٍ للعمل او للعصر والكبس يعني ان الجسم يكون متحركًا على السوى بكبس الكابس ودفع الدافع يعني انك اذا ارسلت مثلاً حجرًا فوجد مانعًا دفعهُ فان سرعة حركة الدفع تكون على قدر حركة الرمي

وللحركة المركبة اصل وهو ان الجسم الذي يتحرك بواسطة علل متعددة عاملة في زمن واحد على جهاتٍ متعددة فانهُ اما ان يقف ويسكن او يتحرك بحركة تابعة لنسبة العلل بينها في السرعة وتارةً تقع الحركة المركبة مستقيمة وتارة منحنية فتهتدي صوب خط مستقيم اذا كان الجسم موكولاً في الحركة الى موثراتٍ متحدة النسبة في العمل بسبب عدم تغيرها وبسبب استوائها او تناسبها في التغير وتهتدي صوب خطٍ منحنٍ اذا تغيرت نسبة الموثرات بان صار بالتغير احدها قويًا او ضعيفًا والآخر لم يتغير او تغير معًا واختلفا في التغير

اما سرعة الجسم المتحرك فتُعرَف بالمسافة التي يقطعها في زمنٍ معلوم فهي تقاس بالمسافة والزمن فليست السرعة الاّ نسبة المسافة للمدة ومن القضايا المتعارفة في علم الطبيعة ان سرعة الجسم المتحرك تكون على حسب طول المسافة وقصر المدة يعني ان الجسم يكون سريع السير على قدر اعظم ما يسيرهُ من المسافة في اقل ما يمكن من الزمن فاذا اردت ان تعرف سرعة جسم متحرك فاقسم المسافة التي يقطعها على المدة التي يقع فيها الفعل فالخارج بالقسمة هو درجة السرعة

وقوة الجسم المتحرك تساوي جملة القوى الجزئية الموجودة متفرقة في جميع اجزاء هذا الجسم وكيفية معرفة هذه القوى الجزئية هي ان تضرب سرعة الجسم المتحرك في زنة مادتهِ فالخارج بالضرب هو قوة ذلك الجسم فاذا فرضنا جسماً ثقلهُ يساوي اربعة يتحرك بسرعة قدر ثلاثة فان قوة الجسم تساوي اثني عشر بضرب الثلاثة في اربعة واخذ الحاصل بالضرب

والقوة هي العلة المؤثرة بالقوة او بالفعل في الجسم المسلطة عليهِ والقوى انواع منها القوة المحركة وهي قوة جسم واحد او متعدد مستعمل لتحريك اخر

ومنها القوى الميتة او الضائعة وهي ما تعمل في مانع متعاصٍ عليها فلا يمكن ان تؤثر فيهِ الحركة اصلاً ولكن تحاول فيهِ حتى تجعلهُ مائلاً نوع ميل للتحرك

ومنها القوة الحيَّة او المثمرة وهي قوة جسم متحرك يعمل في جسمٍ اخر حتى يذهب المانع

ومنها القوى المركزية او الوسطية يعني المتوجهة جهة المركز او الوسط وهي قوتان يؤثران في المتحرك احدهما تحاول تقريبهُ من الوسط والاخرى تحاول ابعادهُ عنهُ فيجعلانهِ يتحرك على خطٍ منحنٍ والاولى تسمى قوة الجذب صوب المركز والثانية تسمى قوة الدفع عن المركز مثل القوى الماسكة للكواكب السيارة في الفراغ فالقوة الجاذبة صوب المركز تجذبها صوب مركز الشمس والقوة الدافعة تدفعها عنهُ

ومن القوى ايضاً قوة جذب الاجسام وهي قوة بها كل الاجسام يميل بعضها الى بعض وتسمى الجاذبيّة

واما قوة ثقل الاجسام فهي قوة يتهيأ بها الجسم للهبوط على النقطة التي تسامته من سطح الارض فيتنزل على خطٍ مستقيم وهذا هو نتيجة من نتائج الجذب

ومن القوى ايضاً قوة الهزّ والتموج وهي حركة الجسم الثقيل المعلق بخيط او نحوه في شيء ثابت فيصنع هذا الشيء المتحرك حول هذا الشيء الثابت ويصنع قوساً بعمل ثقله فالجملة تسمى ثقالة ومركز الثقل تسمى مركز الهزّ والجهة الواقعة تسمى مركز الحركة

ومن الحركات ايضاً حركة الدفع والدفع هنا هو حركة جسم مقذوف خارج العمود الى الافق وعليه يعمل الثقل مثل حركة الرصاصة والحجر والقوة التي تدفع هذا الجسم تسمى القوة الدافعة وهي غير القوة الدافعة الى المركز

المرتبة الثانية

هي الالوان والاشكال والروائح المختلفة في الاجسام ولا حاجة لبسط الكلام عليها هنا

استطراد

الصوت وهو حركة تموج ينطبع اثرها في جسم ذي حس ومنها ينتقل بواسطة الهوا الى صماخ الاذن وقد وصل علماء الطبيعة من الافرنج الى معرفة المدة التي يقطعها الصوت من مكان الى اخر فكانت سرعة حركة الصوت في كل ثانية (١٧٠) قامة فرانساوية بالقامة المسماة تواسة وقد صح بالتجربة ان هذه السرعة متحدة لا تتاثر بتغيير الرياح وشدتها ولا بقوة الصوت ومن الحوادث الصوتية حادثة الصدى وتوضيح ذلك ان الصوت اذا صادف مانعاً مثل جدار او صخرة او قبة او نحو ذلك فانه ينعكس بالهواء الذي هو كامل اللين فتحصل منه شيء شبيه به وهو الصدى الذي يتغير سيره على حسب وضع الحائل والمانع

من عبور الصوت حتى انهُ ربما وقع ان المتكلم لا يسمع الصدى وان انساناً اخر يسمعهُ من غير ان يسمع المتكلم واذا كانت عدة موانع موضوعة في جهات مختلفة فان كل مانع يحدث منهُ صدى وهذا هو علة وجود اصدية تكرر ما يقولهُ الانسان عدة مرات ويقال انهُ يوجد محل موضوع بهذه الكيفية يكرر اربعة عشر مقطعاً يعني قولاً مشتملاً على اربعة عشر حرفاً في النهار وفي الليل يكرر سبعة عشر ثم ان الصوت يسري داخل المياه والاخشاب فاذا كان الانسان على شاطي نهر ودق الغواص في قعر النهر الناقوس مثلاً فانهُ يسمع رنتهُ وصوتهُ سماعاً جيداً واذا دق انسان براس دبوس او راس ابرة على طرف لوح خشب طويل عظيم فوضع انسان اخر اذنهُ على الطرف الاخر من هذه الخشبة فانهُ يسمع صوت هذه الابرة فاذا وضع انسان ثالث اذنهُ في وسط هذه الخشبة فانهُ لا يسمع شيئاً

ومن المعلوم ان الحواس الظاهرية للانسان خمسة وزاد بعضهم سادسة وهي ما يدرك بها الالم واللذة من اول وهلةٍ وربما سماها بعضهم افعال الروح وقال بها الفخر الرازي ومتاخرون من علماء الانكليز وهل هي بجملتها موجودة في سائر الحيوانات ام لا وظاهر كلام بعضهم انها موجودة في جميع الحيوانات الّا ان ايداعها فيها على حسب الحاجة فكل نوع من الحيوانات يختص بها على ترتيب كما ل مختلف ففي الانسان الحاسة الاولى من حواسهِ هي حاسة اللمس والثانية حاسة الذوق والثالثة حاسة البصر والرابعة حاسة السمع والخامسة حاسة الشم وفي البهائم الاولى حاسة الشم والثانية حاسة الذوق والثالثة حاسة البصر والرابعة حاسة السمع والخامسة حاسة اللمس واما في الطيور فاول الحواس البصر والثانية هي السمع والثالثة حاسة اللمس والرابعة الذوق والخامسة الشم

فهذا هو ملخص علم الطبيعة وهو بالنسبة الى الاصل كالاثر بالنسبة الى العين ومن ثم كان لا يعرف حقيقة هذا العلم العظيم الذي بهِ يتوصل اساطين اهل الارض للحصول على غاياتهم وادراك نتائج تصوراتهم وافكارهم العميقة الّا

من كان منهم كيف لا وهم يصرفون مدة حياتهم في تحصيل سائر العلوم والفنون ليتصلوا الى درجة الاشتغال بهِ فهم العلماء حقيقةً لتبحرهم في كثير من العلوم العقلية لكنما يعتنوا افرادًا واجواقًا بكل فرع من فروع العلوم الطبيعية ويبحثوا فيهِ عن حقائق الموجودات الكونية وما يتعلق بها على سطح الارض او في الجو كما يبحث مثلاً عن كيفية وصول انوار الكواكب الينا وعن القوة الدافعة والجاذبة فيها وعن الابخرة والغيوم والندا والمطر والبرق والرعد والصواعق والزوابع واتجاه حركات الرياح وغير ذالك من الامور الفلكية ولا سيما عن خواص الاجسام الارضية كالكهربائية والمغناطيسية والسيلان والجمود وكيفية مسير الصوت وحدوث الزلازل وما هي الفوائد التي يمكن استحصالها من كلٍ منها

كمراكب النار وطرق الحديد والتلغراف وغير ذلك من

الاختراعات العجيبة التي اوجدوها لحد الآن

بدقة عقولهم وغزارة

علومهم

والى هنا ينتهي البحث الثالث من المقالة الثانية ويليهِ البحث الرابع في ما وراء الطبيعيات يطبع على حدتهِ جزءًا مخصوصًا يسمى بسوسنة سليمان في اصول العقائد والاديان ويباع في المحلات التي يباع بها هذا الكتاب فمن احب مطالعتهُ فليطلبهُ هناك

جدول ما وقع من الغلط في هذا الكتاب

وجه	سطر	خطاء	صواب
٣	٣٤	عرضة	غرضة
٨	٩	دازيس	ازيس
١٣	١٩	واما	وانما
٣٣	٣٠	المتعلقة	المتعقلة
٣٦	٨	فترابنو	تيرابنو
٣٦	١٣	تيرانو	تيرانيو
٤٠	٧	تريشنياريا	تريشيناريا
٤٥	٣٠	على	عليه
٤٩	١	اكسونياء	اكسونيانسه
٤٩	٢	نسه	
٤٩	٢١	وسنبنوسا	وسبينوسا
٤٩	٢٣	لحقوق الطبيعة	لحقوق الطبيعة كما يتضح ذلك من الفصل الاتي
٦٦	٣٠	وفيلوس	وفيلبوس
٧٣	٦	نحو القرن الرابع او السادس	بين القرن الرابع والخامس
٧٣	١٣	الحسبي	الحنبلي
٧٦	١٩	ان	ان
٨٣	٩	وبستانًا الخ للنباتات	وبستانًا للنباتات
١٣٠	٢٠	والشعراء او	والشعراء

جدول ما وقع من الغلط في هذا الكتاب

وجه	سطر	خطاء	صواب
١٤٧	١٩	الى اصلاح بعض ما شذّ بهِ قلمهِ في تلك	الى اصلاح ما شذّ بهِ قلمهُ في بعض تلك
١٥٢	٢٣	منارون	شارون
١٦٦	١١	فصح	فصيح
٢١٦	٩	بعد الميلاد	قبل الميلاد
٢٢١	١٨	التي	الذي
٢٢٧	١٦	الالمة	الالمية
٢٢٨	٢١	والضاء	والضماء
٢٢٥	١٦	طبعي	طبيعي
٢٢٧	١	اخذ	اخذهُ